وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2-
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ

الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن (5-8ه/11-14م).

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: **إشراف أ. الدكتور:**
سفيان صرصاق عبد العزيز بوكنة

السنة الجامعية: 1432-1433ه/2011-2012م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن (5-8ه/11-14م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

سفيان صرصاق

إشراف أ.الدكتور:

عبد العزيز بوكنة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.الدكتور محمد الأمين بلغيث.................................**رئيسا**

أ.الدكتور عبد العزيز بوكنة ....**مقررا**

الدكتور عبد الحميد خالدي.......................................**عضوا**

السنة الجامعية: 1432-1433ه/2011-2012م

الإهداء

إلى كل طالب علم يبتغي به وجه الله .

إلى عظماء الأندلس الذين حملوا مشعل الحضارة الإسلامية .

إلى روح ابن الخطيب الذي راح ضحية الغيرة ممن أحسن إليهم .

إلى أبي وأمي وإخوتي.

إلى جميع من يعرف معنى الصداقة.

إلى كل من يعرفني .

سفيان صرصاق

كلمة شكر

أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الكثيرة الذي منحني الصبر والقوة لانجاز هذا العمل المتواضع الذي ما كان ليصل إلى ما هو عليه الآن لولا التوفيق من عنده.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد العزيز بوكنة على مده لي يد المساعدة إشرافا وتوجيها ،فله مني فائق عبارات التقدير والإحترام.

وكذلك إلى عمال المكتبات الجامعية سواء ببوزريعة وعلى رأسهم سليم وكمال أو بالجامعة المركزية أمثال بو جمعة ومحمد والطيب ،ناهيك عن عمال المكتبة الوطنية بتيليملي وكذلك عمال مكتبة المشور ومكتبة المركز الثقافي بتلمسان نظرا لما يقومون به من خدمات جليلة للعلم وطلابه.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالتحية والإمتنان إلى إخوتي وأصدقائي الأساتذة بجامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان -قسم الآثار- الذين استقبلوني بينهم بترحاب وحفاوة كبيرين خلال فترات البحث ؛وهم على الترتيب محمد بن حمو ،يحياوي العمري ،بلجوزي بو عبد الله ومحمد رابح فيسة.

وكذلك إلى رفاق الدرب الجامعي الإخوة أمير يوسف ،عبد الحميد قريتلي ،موسى شرف ،إبراهيم بتقة على مساندتهم لي اللا محدودة.

هذا دون أن أنسى فضل كل من بلال عزوز ،وسليم باجي ،وأعمر طالبي ومحمد بلجوهر وعبد الله مكناشي ومحمد معزوزة الذين وقفوا إلى جانبي في أوقات الضيق ساعة يعرف الصديق.

قائمة المختصرات الواردة في المذكرة

ت= توفي.

ه= هجري.

م= ميلادي.

تح= تحقيق.

ط= الطبعة.

د.ط= دون طبعة.

د.ت.ط= دون تاريخ طبع.

د.م.ك= دون مكان طبع.

مج= المجلد.

ج= الجزء.

ص= الصفحة.

T: tome.

P: page

مقدمة:

لم يكن الإسلام مجرد موجة عابرة طافت باسبانيا ثم انحصرت عنها ،وإنما كان حركة حضارية فعالة خلفت فيها دولة اجتمعت لها أسباب القوة والسلطان في الأندلس التي وإن كانت بمدلولها الجغرافي تظهر اليوم من خلال نوافذ التاريخ على أنها إرث ضائع لم يبق سوى ذكريات حزينة فهي بمدلولها الحضاري عضو حي في جسم العالم الإسلامي بما قدمته من تراث ثقافي تمثل في علم علمائها وأدب كتابها وشعر شعرائها وخصوبة فكر مفكريها، زيادة على كونها اعتبرت في وقت مضى حلقة اتصال بين الشرق والغرب ثقافيا وجغرافيا كيف لا وهي جزء من العالم الإسلامي آنذاك ورقعة من العالم الأوربي في الوقت الحاضر، لكن رغم ذلك تلقت نكران للجميل الذي قدمته للعالم عامة وللغرب الأوربي خاصة والدليل على ذالك كتابات المستشرقين وعلى رأسهم الهولنديين وبعض من الإسبان والألمان الجاحدين لفضل الحضارة الإسلامية بهذه البقعة من عالم العصر الوسيط والذين عملوا على الانتقاص من شأنها ووصفها بأبشع الصفات ،هذا ما جعلني أحاول تبيين عكس ذلك بتجسيد جانب من جوانب الحضارة بإحدى ممالك الأندلس وهي غرناطة المتمثلة في ميدان العلوم في الفترة الممتدة من القرن **الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي** إلى القرن **الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي** من خلال مصدر هام أرخ لهذه الأخيرة ،والمعروف بكتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ت776ه/1374م.

جاء الموضوع بهذا العنوان نظرا لقناعتي التي باتت تزيد يوما بعد الآخر وذلك بعد أخذ ورد حول طبيعة البحث في جانب من جوانب الحياة الأندلسية فآثرت الجانب العلمي الغرناطي الذي جسدته في تساؤلات عدة ؛كيف كانت حالة العلوم بمملكة غرناطة قبل وفي عصر بن الخطيب خاصة تحت حكم بني زيري وبني الأحمر؟ وكيف تجاوبوا معها ؟ ومن هم العلماء الذين برزوا فيها وما هي تخصصاتهم وتوجهاتهم الفكرية ؟ وهل استطاعوا تكوين قاعدة علوم سليمة ميزتهم عن غيرهم من الإمارات المجاورة؟ وما هي تأثيراتها البعدية في الحضارة الأوربية ؟ وكيف تم تداولها بين المفكرين العرب وغيرهم ؟

وهل وفوها حقها أم حاولوا تزييف بريقها الذي استفادت منه أوربا خلال نهضتها الفكرية في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة بحث جاءت على النحو التالي:

قسمت المذكرة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وستة فصول وخاتمة وملاحق ،تعرضت في المقدمة إلى تحديد الإطار الزماني والمكاني لموضوع الدراسة وإلى دوافع اختيار الموضوع وطرح لعديد التساؤلات بغية الوصول إلى مدى نجاح أو فشل الحركة العلمية بتلك الإمارة التي بقيت وحيدة في الأندلس ،تتقاذفها أمواج التحرشات النصرانية ،تلاها التعريف بعناوين الفصول ومضامينها مع ذكر الصعوبات التي اعترضتني في سبيل إتمام البحث ،دون إهمال ذكر أهم المصادر والمراجع المكلمة للمصدر الأساسي المتمثل في كتاب **الإحاطة** لصاحبه ابن الخطيب.

ففي الفصل التمهيدي تعرضت لبسطة تاريخية تساعد على تتبع عناصر المذكرة حيث تطرقت للأدوار التي مرت بها غرناطة من تسمية ونشأة وأوصاف وظهور الصراعات سواء الداخلية بين من دخلها من أمراء وحاشيتهم حول سدة الحكم أو الخارجية مع إمارات النصارى التي باتت تهدد وجودها بالأندلس ،وما آلت إليه حتى السقوط يليها التعريف بأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

وفي الفصل الأول عرفت بشخصية **لسان الدين بن الخطيب** من حيث المولد والنشأة ومسار حياته العلمية والعملية وما حملته من مفاجئات وفاجعات سارة وحزينة ،كانت خاتمتها النهاية المأساوية لحياته إلى جانب التعريف بآثاره من خلال بعض مؤلفاته التي بدا لنا أنها ذات أهمية كبيرة مقارنة بمؤلفاته العديدة الأخرى ؛وذلك من منطلق أن مؤلفها كان يكرر ذكرها كثيرا كلما تعرض لحادثة هامة ذات صلة وثيقة بموطنه غرناطة ،إضافة إلى أن هذه المؤلفات تكمن قيمتها في الكشف عن الكثير من الملابسات التاريخية التي كانت تشهدها بلاد الأندلس عامة وموطن المؤلف خاصة بين الفينة والأخرى.

والفصل الثاني الذي عنونته بطرق ومؤسسات التعليم عالجنا فيه المنهج التعليمي الذي اتبعه الغرناطيون في تعليم أبنائهم مقارنة بما كانت عليه بلاد الإسلام مشرقا ومغربا ومدى فاعلية هذه الطرق في التحصيل العلمي كالإقراء والإجازة والرحلة في طلب العلم

،أما فيما يتعلق بمؤسسات التعليم فقد تطرقنا إليها بالتدرج بدءا بالكتاتيب والمساجد ثم المدارس فالرباطات وذلك لتوضيح مدى دور هذه المراكز العلمية في إشعاع نور الحضارة الإسلامية بآخر قلاع الإسلام بالأندلس.

كما لم نغفل عن دور الحكام الغرناطيين من أمراء وولاة ووزراء سواء بنو زيري أو المرابطون أو بنو نصر عبر عقود مديدة في تشجيع العلم من خلال الاهتمام بأهله والرفع من شأنهم مقارنة بإمارات الأندلس الأخرى كقرطبة وإشبيلية ودانية .

مع التنويه بمساهمة العلماء سواء من ذوي الأصول الغرناطية أو ممن قدموا إليها في أوقات الرخاء والشدة معا في إثراء مختلف مجالات الحياة من خلال الإنتاج العلمي بنوعيه ؛المدون والشفهي وكذلك من خلال تبرعات البعض منهم بالأموال والكتب.

تلك المساهمات وجدت ترحيبا ورضاء كبيرين لدى عامة الغرناطيين ورفعت من شأنهم عندهم حيث شاركوا بدورهم في تحريك عجلة العلوم من خلال الاهتمام بتعليم أبنائهم والبحث عن أفضل المؤدبين الذين يأخذ المتعلمون عنهم العلم والصفات الخلقية الحميدة ,وكذلك عن طريق ممارسة النشاطات والحرف التي لها علاقة بمختلف العلوم.

أما الفصل الثالث فقد عنونته بالعلوم الشرعية والتي يعد فيها علم القراءات منطلق الدراسات الدينية المتعددة باعتبار القرآن الكريم اعتنى بشؤون الحياة الدنيوية والأخروية من خلال تبيين معالم العقيدة الصحيحة وكيفية العبادة وطرق المعاملة بين المسلم وغير المسلم ،فحاولنا توضيح مدى إسهامات الغرناطيين في هذا العلم الجليل الشأن من خلال عدد الذين نبغوا فيه قراءة وتأليفا ،يليه في الأمر ذاته علم التفسير الذي يذلل صعوبات فهم الآيات خصوصا المتشابه منها والتي كان سوء فهمها عبر مر الزمن سببا في بروز الكثير من الفتن والنزاعات بين الطوائف والفرق المختلفة ،ثم يأتي بعدهما الفقه وأصوله نظرا لما لهما من أهمية بارزة في تنظيم المجتمع دينيا ودنيويا وذلك بذكر الفقهاء والأصوليين الغرناطيين وإنتاجهم في هذا الباب.

دون إغفال علم الحديث الذي يعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم كونه شارح لكثير من أصول العقيدة والعبادة معا ،بالإضافة إلى علم الكلام ومدى تفاعل الغرناطيين معه.

أما الفصل الرابع فحمل عنوان العلوم اللسانية والأدبية لاشتماله على اللغة والنحو والأدب والشعر والنثر وذلك من خلال إبراز مدى إسهامات الغرناطيين من لغويين وأدباء وشعراء في المحافظة على مكاسب لغة الفاتحين من خلال العناية بتعليمها لطبقات المجتمع وكذلك عن طريق الإنتاج في ضروبها المختلفة الذي تجلى في عديد المؤلفات التي صبت في هذا الباب العزيز الغاية.

وفي الفصل الخامس الذي جاء عنوانه العلوم الاجتماعية تطرقت إلى علمي التاريخ والجغرافيا باعتبارهما ذوا أهمية كبيرة في التعريف ببلد موضوع الدراسة وأحوال أهله من حيث المجال الجغرافي والنشأة ومجمل الأحداث التاريخية التي ظهرت في شكل إرث حضاري ازداد إشعاعا بمرور القرون جسدته التآليف العديدة للمهتمين بهذا الميدان.

كما خصصت فيه مبحثا للدراسات الفلسفية حاولت من خلاله الكشف عن موقف الغرناطيين منها ومدى تجاوبهم معها ،دون تجاهل التصوف الذي وجد بدوره ملاذا ملائما بينهم ،استطاع به تشكيل طائفة من المتصوفة ساهمت بدورها في مجالي الجهاد ونشر العلم لمرتادي الرباطات والزوايا معا .

أما الفصل السادس والأخير فكان عنوانه العلوم التطبيقية من طب وصيدلة وفلك وحساب فهندسة ،وهي في مجملها تمد الباحث في مجال العلوم والقارئ معا بجملة من المعلومات حول انجازات وإسهامات الغرناطيين والأندلسيين عموما في هذا المجال ومقارنته مع مؤلفات الغير.

وأنهيت الدراسة بخاتمة جعلتها بمثابة حوصلة لما تم التطرق إليه في موضوع البحث مع ذكر بعض النتائج التي ارتأيت أن أذكرها نظرا لما لها من الأهمية بما كان ،كما أتممتها بمجموعة من الملاحق المساعدة تضمنت مخططات ونصوص وصور ؛سواء كانت لحكام غرناطة أو للمصدر المعتمد عليه في البحث والمتمثل في كتاب الإحاطة ،إضافة إلى المنشآت العلمية والعمرانية الغرناطية.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتها من أجل إنجاز هذا البحث فهي قد لا تختلف كثيرا عن باقي ما يلاقيه الدارسون في مثل هكذا مواضيع ؛سواء من حيث المادة العلمية وما تحويه من وثائق تخدم البحث وتذلل الصعوبات أو من حيث الدراسات السابقة التي عالجت مجالات الحركة العلمية ،غير أن ذلك لا يمنع من وجود البعض منها يأتي

في مقدمتها عدم التساوي في كمية المعلومات التي لها علاقة بمختلف العلوم التي شهدتها غرناطة ؛فعلى سبيل المثال تجد أن العلوم الشرعية والأدبية أخذت حيزا كبيرا من مصدر الدراسة والمتمثل في كتاب الإحاطة مقارنة بعلوم أخرى كالفلك والحساب والهندسة ،لــذا يجد الباحث مشقة في العثور على أعلامها ومؤلفاتهم في مجلدات الكتاب الأربعة ناهيــك عن ظاهرة الموسوعية التي كانت سائدة في عالم العصر الوسيط ؛فتجد العلم فقيها وأديبــا ومؤرخا وقد يذكر بأن له باع في الفلك وتفوق في الحساب والهندسة غير أنه يندر ذكــر مؤلفاته في هذه العلوم.

ويضاف إلى ذلك وجود فرق متباين في الإطار الزماني لموضوع الدراسة الممتــد بين القرنيين الخامس والثامن هجري /الحادي عشر والرابع عشر ميلادي ،ومــرد ذلــك راجع إلى اهتمام ابن الخطيب بذكر علماء القرنيين السابع والثامن هجــريين أكثــر مــن القرنيين اللذين يسبقانهما بحكم أن غرناطة على حد إشاراته شهدت فيهما نهضــة ثقافيــة كبيرة في ظل حكم بني الأحمر الذين خدمت عائلته في كنفهم ،زيادة على أن أبرز أعلام هذه الفترة هم من الذين قرأ مؤلفاتهم أو تتلمذ عليهم ،وهو ما يجعل فترة البحــث تشــهد نوعا من الخلل في إيصال الصورة العامة لما كان قائما آنذاك.

والأمر الجدير بالذكر هو عدم تمكني من اللغة الإسبانية التي ساهم مؤرخوها بدور كبير في مختلف الدراسات التي لها علاقة بتاريخ الأندلس السياسي والحضــاري طيلــة ثمانية قرون تنقيبا وتحقيقا ،وهو ما كان بالإمكان أن يجعل البحث أكثر قوة وموضــوعية لو تسنى لي ذلك ،وهذا ما يستوجب على المهتم بالدراسات الأندلسية الحرص عليه.

ولما كان عنوان الدراسة هو الحياة العلمية فإن البحث العلمــي يســتوجب علينــا الرجوع إلى مصادر أخرى لا تقل أهمية عن المصدر الأساسي المعتمد المتمثل في كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** من حيث المادة كما ونوعا ،وهي في مجملهــا تمثــل ثــروة مصدرية ذات قيمة علمية هامة نظرا لارتباطها الوثيق بالبحث بحكــم مــا تقدمــه مــن معلومات تساعد على فهم الأوضاع العامة السائدة في العصر الوسيط وإعطــاء صــورة جلية لإسهامات الحضارة الإسلامية –غرناطة- فيه.

ويمكن تقسيم تلك المصادر إلى قسمين ؛الأول يتمثل في المؤلفات التي احتوت على النشاط العلمي والحوادث التاريخية بغرناطة اعتمدها ابن الخطيب كمصادر لمؤلفه يـأتي على رأسها كتاب **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** لأبي محمد بن أبي نصر فتـوح ابن عبد الله الحميدي ت488ه/1095م الذي ضمنه مجموعة مـن التـراجم لشخصـيات أندلسية كثيرة ؛فقهاء ومحدثين وإن غلبت عليه تراجم الأدباء.

وكتاب **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس** لأبي مروان حيان بن خلف بـن حيـان القرطبي ت469ه/1076م الذي حقق قسما منه الدكتور محمود علي مكي ،وتكمن أهميـة الكتاب في أنه مصدر موثوق بين المؤرخين حول مختلف الحوادث التي أوردها فيه ،حيث عالجها بأسلوب نقدي وتحليل راق ينبأ في مجمله عن براعة مؤلفه في صـياغة الأفكـار وطرحها للقارئ ،وهو ما كان ابن الخطيب يرجع إليه في العديد من المرات.

وكذلك كتاب **الصلة** لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعـروف بـابن بشـكوال ت578ه/1182م الذي استدرك فيه عديد التراجم للفقهاء والأدبـاء الأندلسـيين ومـنهم الغرناطيين الذين لم يذكرهم أبو الوليد عبـد الله بـن محمـد الشـهير بـابن الفرضـي ت403ه/1012م في كتابه **تاريخ علماء الأندلس** ؛وهما مؤلفين عدت إليهما في مختلف المناسبات عند الإشارة كذلك إلى عديد الأعلام الأندلسيين الذين برزوا في العلوم المختلفة.

ونجد أيضا كتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي ت706ه/1306م الجزء الثاني و الجزء الثالـث بتحقيـق كـولان وبروفنسال والجزء الرابع بتحقيق الدكتور إحسان عباس إضافة إلـى الجـزء الخـاص بالموحدين الذي حققه محمد إبراهيم الكتاني وآخرون والكتاب في مجمله جمع بين التاريخ والأدب بالمغرب والأندلس ،وتكمن أهميته في أن مؤلفه اعتمد فيه على مجموعـة مـن المصادر التاريخية في سرده لما كان يكتب **كالذخيرة** لابن بسام ،و**نظم الجمان في أخبار الزمان** لابن القطان ،و**مطمح الأنفس ومسرح التأنس** للفتح ابن خاقان ،عدت إليـه عنـد التطرق إلى غرناطة من نشأة وموقع وأوضاع.

دون إهمال الكتب التاريخية الأخرى نظرا لما لها من شأن كبير خاصة فيما يتعلق بتاريخ غرناطة مثل كتاب **التبيان والتبيين** للأمير عبد الله بن بلكين آخر أمراء بنو زيري بها والمعروف كذلك **بمذكرات الأمير عبد الله** الذي حققه ليفي بروفنسال ،وكتاب **المعجب**

في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي الذي يعتبر بمثابة موسوعة أدبية وتاريخية في الآن ذاته عن ما كان قائما في المغرب الإسلامي حتى القرن السابع هجري ،خصوصا إذا علمنا أنه كان كاتبا لدى الأمير أبو إسحاق بن أبي يوسف الموحدي حاكم إشبيلية من قبل محمد الناصر سلطان االموحدين.

أما القسم الثاني فيعتبر بمثابة امتداد للمادة الخام ،وهي الكتب التي تلت كتاب الإحاطة **كنثير فرائد الجمان** للأمير إسماعيل ابن الأحمر وكتابي **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** و**أزهار الرياض في أخبار عياض** لأحمد بن محمد المقري التلمساني ت1041ه/1631م اللذين يعدان بمثابة خزانة هامة اشتملت على كم هائل من التعريفات سواء حول الشخصيات الهامة كابن الخطيب ومشاهير الغرناطيين والأندلسيين معا كما هو شأن الكتاب الأول أو التعريف بالشخصيات التي ذاع صيتها في العالم الإسلامي التي حواها الكتاب الآخر ،دون إغفال كتاب **الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى** للسلاوي الناصري.

غير أن الملاحظ على مصادر هذا القسم وجود بعض الصعوبات خصوصا في التعامل مع النصوص المأخوذة من الإحاطة ،إذ أنهم لا يذكرون الكتاب بعينه مقارنة بذكر صاحبه ؛كقولهم قال ابن الخطيب أو ذكره ابن الخطيب وهذا عند التعرض لشخصية ما أو نشاط معين إلى غير ذلك من التعاليق مع العلم أن لسان الدين لم يؤلف الإحاطة فقط وهذا ما يدفع الباحث إلى ضرورة الإطلاع على مؤلفاته الأخرى **كأعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام** وكتاب **الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.**

هذا دون تجاهل مؤلفات العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ت808ه/1406م **كالمقدمة** و**ديوان العبر** خصوصا جزئيه السادس والسابع ورحلته المعروفة **برحلة ابن خلدون شرقا وغربا** التي حققها محمد بن تاويت الطنجي ؛ضمنها معلومات هامة ونفيسة لا يمكن لدارس تاريخ غرناطة وأحوالها الاستغناء عنها ،خصوصا إذا علمنا أن صاحبها كان من الأصدقاء المقربين لابن الخطيب الذين دارت بينهم العديد من المراسلات ووصلتهم الهدايا من بعضهم البعض ،زيادة على ذلك زيارة ابن خلدون إلى غرناطة وتقربه من حضرتها السلطانية وما لقاه بها من حفاوة وتكريم يليقان بعالم مثله.

أما فيما يخص المراجع فقد وردت متنوعة بتنوع مواضيعها أبرزها مؤلفات العلامة محمد عبد الله عنان التي أثرى بها المكتبة الأندلسية ،لعل أثمنها كتاب **دولة الإسلام بالأندلس** وكتاب **ملوك الطوائف** وكتاب **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ،وهي مؤلفات تذلل للباحث في تاريخ الأندلس العديد من الصعوبات التي قد يلاقيها عند محاولة الكشف عن الملابسات التاريخية لمختلف القضايا التي شهدتها تلك الجهة التي كانت في أحد الأيام عضو مشع ومنارة علوم في حضارة الإسلام.

وكذلك كتابه **الآثار الأندلسية الباقية بإسبانيا والبرتغال** الذي يعد بمثابة دراسة أثرية لمخلفات المسلمين من عمران (قصور،مساجد ،مدارس) وطرق تسيير الحياة كالطرقات والأسواق والحمامات زيادة على فنون الفلاحة ،دون إغفال الدور الكبير لهذا المؤلف الفذ في إخراج مؤلفات ابن الخطيب إلى ساحة الدراسات التاريخية بعد أن كانت حبيسة أدراج المكتبات ودور الأرشيف العربية والأوربية ،وهذا ما تطلب منه جهدا كبيرا أمضاه من عمره بحثا وتحقيقا جاوز الأربع عشرة سنة قضاها بإسبانيا والبرتغال ؛لعل أبرزها مخطوط **الإحاطة** موضوع بحثنا ،وكتاب **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب.**

كذلك كتابات كل من الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش بعنوان **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510-546ه/1116-1151م** ،وكذلك حسن علي حسن الذي حمل عنوان **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس –عصر المرابطين والموحدين -** ،وكتاب **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** للمؤرخ الألماني يوسف أشباخ الذي ترجمه إلى العربية محمد عبد الله عنان.

بالإضافة إلى جملة من القواميس المتعلقة بشرح المصطلحات اللغوية **كلسان العرب** لابن منظور ،و**البحر المحيط** للفيروز آبادي ،يضاف إليها الموسوعات الجغرافية والتاريخية للتعريف بالمواقع والأعلام المختلفة ؛**كمعجم البلدان** لياقوت الحموي ،و**رحلة ابن بطوطة** لأبي عبد الله الطنجي و**وفيات الأعيان** لابن خلكان.

هذا دون نكران فضل القرآن الكريم الذي فيه خبر من قبلنا ومن بعدنا من استمسك به أفلح ومن حاد عنه هلك ؛استدللت به في العديد من المرات خصوصا عند التطرق إلى علوم القراءات والتفسير والحديث ،زيادة على كتب الحديث الشريف وعلى

رأسها صحيحي أبي عبد الله البخاري ومسلم بن الحجاج ،وكتب السنن لكل من الترمـــذي وابن ماجة والنسائي.

ناهيك عن بعض المراجع الأجنبية التي تيسر لي الحصول عليها مثل كتـــاب histoire des musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie par les Almoravides لمؤلفه Rinhart DOZY وكذلك كتاب contornos de las ciudades hispano musulmanas : لمؤلفه Torres balbàs

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل والإحترام الموصول إلـــى أســـتاذي المشـــرف الدكتور عبد العزيز بوكنة على توجيهاته ومتابعته لموضوع البحث منذ أن كـــان مجـــرد تصور شكلته الأفكار المبعثرة حول كيفية الخوض في مثل هكذا ميادين إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن ،فله مني كل التقدير والإحترام ،كذلك أتقدم بامتنان كبير إلـــى الأســـتاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث الذي كان يستقبلني بحفاوة وترحـــاب كبيـــرين مـــن خـــلال الزيارات المتكررة إلى مكتبه بكلية أصول الدين بالخروبة إضافة إلى نصائحه التي تخدم الطالب والبحث على حد سواء ،والأمر ذاته إلى الأساتذة الأفاضل الدكاترة رشيد تـــومي وشاوش حباسي وأحمد شريفي على دعمهم المتواصل لي بالنصائح والإرشادات طيلة مدة البحث ،هذا دون نكران فضل فرقة التدريس للعام النظري 2008/2007م الذين بثوا فينا روح البحث وذللوا لنا مصاعبه.

وكذلك إلى لجان البحث المختلفة بدءا باللجنة العلمية للقسم على مـــا تبذلـــه مـــن قصار جهد بهدف متابعة سير عمليات البحث العلمي وفق الإمكانيات المتاحة لها ،وكذلك إلى لجنة المناقشة الموقرة المكونة من الدكاترة الأفاضل التي ستتكرم بتقييم هـــذا العمـــل المتواضع لدارس مبتدأ لم يشتد عوده في ميدان البحث بعد.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

1. تسميتها:

غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملـــة[1] ويقال أغرناطة بهمزة في أولها[2] ،ويقال أن الصواب " أغرناطة" بـــالهمزة[3] لكـــن كـــلا الاسمين أعجمي[4] أي Granada باللسان الاسباني الذي معناه " رمانـــة " بلســـان عجـــم الأندلس.[5]

واختلف الباحثون في أصل هذه التسمية ،فرأى ياقوت الحموي أنها سميت بهذا الاسم لأن الرمان كان يزينها[6] ،ورأى محمد عبد الله عنان أن اسم غرناطة قديم يعود إلى عهـــد الرومان والقوط وأن البعض يرى أنه مشتق من الكلمة الرومانية Granata أي الرمانة و أنها سميت كذلك لجمالها و لكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها[7].

ونظرا لموقع غرناطة الهام سماها الروم على حد تعبير بن الخطيب سنام الأندلس[8] ، وأضاف أيضا أنها كانت تسمى في القديم قسطيلية وأنها كانت قبل فتح الأندلس حاضـــرة

---

1 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ،**معجم البلدان** ،ط1،دار صادر،بيروت ،1993م ج4 ,ص.195 ؛ أبو العباس شمس الدين بن خلكان ،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تح : إحســـان عبـــاس، د.ط، دار صـــادر، بيروت، 1978م،ج3 ،ص .485 ؛أحمد بن علي القلقشندى ،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ،شـــرحه وعلـــق عليـــه وقابله نصوصه نبيل خالد الخطيب ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط،ج5 ،ص.207.

2 محمد بن عبد المنعم الحميري ،**الروض المعطار في خبر الأقطار** ،تح: إحسان عبـــاس ،ط2 ،مطـــابع هيـــد لبـــرغ ،بيروت ،1984م ،ص. 45.

3 شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمساني ،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الـــدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1968 م ،مـــج1 ،ص.178 ؛ شـــكيب أرســـلان ،**الحلـــل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ،د.ط ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1 ،ص.188.

4 لسان الدين بن الخطيب ،**الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تح: محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1393هـــ/ 1973 م ،مج1 ،ص. 91 .

5 زكرياء محمود القزويني ،**آثار البلاد وأخبار العباد** ،د.ط ،دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،1380هـــ/1960م ،ص.547 .

6 ياقوت الحموي ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.195.

7 محمد عبد الله عنان ،**نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ،ط3 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة 1386هـــ / 1966 م ،ص.22.

8 بن الخطيب ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.91 ،ص.109.

كورة إلبيرة وفحصها لا يشبه بشيء مـن بقـاع الأرض طيبـا ولا شـرفا إلا غوطـة دمشق[1]،وأضاف عنان أن إلبيرة وغرناطة تعتبران في معظم الأحيان ولاسيما في المراحل الأولى لتاريخ الأندلس إسمين لمكان واحد ،وقد جرى كثير من المـؤرخين والجغـرافيين على المزج بينهما[2].

وأطلق عليها إسم غرناطة اليهود لأن أهلها كانوا من اليهود على حد قول الحميري: " وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا"[3] ،وكان عددهم آنذاك كبيرا إذ فاق في في القرن التاسع ميلادي عدد المسلمين والنصارى معا [4] ،وهو ما أشار إليه عبد العزيز سالم عندما ذكر أن غرناطة كانت تزخر بعدد هائل من اليهود وأن سكانها من المسلمين كانوا قلة إذا ما قيسوا بعدد سكانها ولذلك سميت بغرناطة اليهود[5] ،وذكر بن الخطيب أن عبد الأعلى بن موسى ابن نصير فتح إلبيرة وضمها إلى غرناطة اليهود[6] .

ومن المؤرخين من ذكر أنها سميت بشام الأندلس أو دمشق الأندلس فقد أطلق جند دمشق على كورة إلبيرة التي منها غرناطة إسم دمشق وقتما سكنوها ،نظرا لشبهها بدمشق في غوطتها الفيحاء وغزارة أنهارها وكثرة أشجارها[7] ،وزيد على ذلك أنه لما كثر العرب العرب بقرطبة عام 125ه /742 م قام والي الأندلس آنذاك أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي

---

[1] بن الخطيب ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص. 98 .

[2] عنان ،**المرجع السابق** ،ص.22.

[3] الحميري ، **المصدر السابق** ،ص.45.

[4] Encyclopédie de I ‘islam par b. Lewis, ch.pellat et j.schacht ,leiden, Pays-Bas ,1965.T2. ,1965.T2. P. 1036

.

[5] عبد العزيز سالم ،**تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة** ،د.ط مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،د.ت.ط ،ص.265.

[6] بن الخطيب ،**المصدر السابق** ، مج3،ص.529.

[7] المقري ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص:117.

بتفريقهم في البلاد ،فأنزل جند دمشق الذين قدموا إلى الأندلس مع بلج بن بشر القشيري الذي ولي الأندلس عام 123ه/740م كورة دمشق لشبهها بها فأوقعوا عليها إسم دمشق[1] .

2) موقعها:

غرناطة من موسطة الأندلس كون الأندلس كانت مشتملة على موسطة وشرق وغرب[2] وتتبع للإقليم الرابع من أقاليم الدنيا السبعة ،وهي إشبيلية ومالقة وقرطبة وألميرية ومرسية، لأن معظم بلاد الأندلس في الإقليم الخامس[3] ،وعدها القزويني وبن الخطيب من معمور الإقليم الخامس[4] ،وجعلها بن سعيد ضمن الرابع المعتدل[5] ،وزاد المراكشي أن مدن مدن هذا الإقليم أعدل هواء وأطيب أرضا وأعذب مياها من البلاد التي في الإقليم الخامس وأهلها أحسن ألوانا وأجمل صورا وأفصح لغة من أولئك الذين في هذا الإقليم[6].

---

[1] علي بن موسى بن سعيد المغربي الغرناطي الأندلسي ،**المغرب في حلى المغرب** ،وضع حواشيه خليل المنصور ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ج2،ص. 102.

[2] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1،ص.165 ؛ أرسلان ،**المرجع السابق** ، ج1،ص.204.

[3] صاعد الأندلسي ،**طبقات الأمم** ،د.ط ،مطبعة السعادة ،مصر ،1932 م ،ص. 63. الحميري ،**المصدر السابق** ،ص. 32 ؛القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5، ص.207.

[4] القزويني ،**المصدر السابق** ،ص.491. ؛بن الخطيب ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص .93 ؛بن الخطيب ،**اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية** ،تح: لجنة إحياء التراث العربي ،د.ط ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،د.ت.ط ،ص. 21 .

[5] بن سعيد ،**المصدر السابق**،ج2 ،ص. 83 .

[6] عبد الواحد المراكشي ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ،د.ط ،دار الفرجاني للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1414هـ / 1994 م ،ص.13.

ويحد غرناطة من الجنوب نهر شنيل ومن الشرق جبل شلير وألميرية ومن الشمال جيان وقرطبة ومن الغرب لوشة ونهر شنيل[1] ،وتتمتع بموقع فائق الحسن فهي تقع على واد عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سيرا نيفادا وتضللها الآكام العالية من الشرق والجنوب[2].

وطولها خمس عشرة ساعة وربع [3] ،وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة[4] ،ومنهم من جعل طولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرة دقائق[5] .

وتبعد غرناطة عن إلبيرة بحوالي فرسخ وثلث فرسخ[6] ومنهم من قال أن بينهما فرسخان

وثلثا فرسخ [7] وقيل ستة أميال[8] ،إلا أن بن بطوطة جعلها أكثر من ذلك بقوله" بين غرناطة غرناطة وجبل العقاب المجاور لمدينة إلبيرة الخربة ثمانية أميال[9] وبينها وبين لوشة عشرة عشرة فراسخ[10] ،وتبعد عن مدينة المنكب عبر البحر أربعون ميلا[1] وبينها وبين مدينة وادي آش مسيرة

---

[1] بن الخطيب ،**كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ،تح: محمد كمال شبانة ،مراجعة حسن محمود ،د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،1386ه/1966م ،ص.59.

[2] عنان ،**المرجع السابق** ،ص ص. 22،23 ؛عنان ،**الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال** ،ط2 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417هـ/ 1997 م ،ص.161.

[3] الحموي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص .31، ص.39.

[4] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص. 207.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة**، مج1 ،ص. 94 .

[6] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.21

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص.91.

[8] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص .28.

[9] بن بطوطة ،**رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار** ،شرحه و كتب هوامشه طلال حرب ،ط3 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1423هـ/2002م ،ص.681.

[10] الحموي ،**المصدر السابق** ،مج5 ،ص. 26.

يوم[2] ،وبينها وبين ألميرية مسيرة ثلاثة أيام[3] ،وحددها أرسلان بمسافة ستة أميال[4] ،وتبعد عن قرطبة تسعون ميلا [5] وقيل خمسة أيام [6] ،وتبعد عن البحر المتوسط نحو أربعين ميلا [7].

3) تعميرها:

يعتبر تأسيس غرناطة على عهد الفتح الإسلامي من المسائل الهامة التي اختلف فيها مؤرخو الأندلس ،فرأى فريق أنها كانت إذاك عاصمة لكورة إلبيرة وعلى رأسهم صاحب كتاب أخبار مجموعة ؛حيث يروي أن طارق بن زياد فرق جيشه فبعث مغيث الرومي إلى قرطبة وأرسل جيشا آخرا إلى مدينة مالقة وجيشا ثالثا إلى غرناطة مدينة إلبيرة وبعد فتح مالقة لحق جيشها بالجيش المتجه إلى إلبيرة فحاصروا غرناطة وفتحوها[8].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي ،**كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ،ط1 ،عالم الكتاب ،بيروت ،1409هـ /1989م ،مج 2 ،ص.570.

[2] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص .45.

[3] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص ص. 210،211

[4] أرسلان ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.124.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص.94.

[6] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.207.

[7] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.371.

[8] مجهول ،**أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكرى أمرائها** ،تح : إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1981 م ،ص. 19 وما بعدها ؛ بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص ص .25 ، 26.

وذكر بن الخطيب أن غرناطة من أقدم مدن كورة إلبيرة وأعظمها وأنه تم فتحها عام 92ه/712م [1] ،وزاد بن سعيد أن إلبيرة كانت قاعدة المملكة في القديم [2] ،وهذا ما أيده المقري على أن غرناطة عند الفتح كانت حاضرة إلبيرة [3] ،ورأى الحميري أن إلبيرة ظلت المدينة المقصودة حتى بداية عهد بداية الطوائف إذ استحدثت مدينة غرناطة التي أخذت تحل محل إلبيرة [4].

أما القزويني وبن عبد الحق فقد اكتفيا بالإشارة إلى أن غرناطة من أقدم المدن قرب كورة إلبيرة[5] ،غير أن المستشرق رينهانت دوزي أورد لنا روايتين تناقض كلاهما الأخرى ؛الأولى وهي أن غرناطة عند افتتاحها من طرف المسلمين كانت إحدى مدن كورة إلبيرة وبقيت كذلك إلى عام 139ه/753م وهي السنة التي لجأ فيها يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إليها فرارا من سطوة عبد الرحمن الداخل تـــ 172ه/788م [6] ،وهي الرواية التي يؤيدها قول بن الخطيب:" قالوا ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري لحق بإلبيرة فامتنع بحصن غرناطة وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية تـــــــ 172ه/ 788م وأحاط به فنزل على صلح[7] ،وانعقد بينهما عقد ورهنه يوسف ابنيه أبا زيد

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،ج1 ،ص .93.

[2] بن سعيد المغربي ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص. 77.

[3] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص .263 .

[4] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص. 45

[5] القزويني ،**المصدر السابق،ص.**547 ؛ بن عبد الحق ،**مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ،تح: محمد البجاوي ،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،1955م ،ص.990.

[6] R.DOZY, recherches sur L'histoire et la littérature de L' Espagne pendant le moyen âge, 3eme édition, oriental presse Amsterdam , 1956 , T1, PP. 337 – 338.

[7] بن الخطيب ،**كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية**،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ،ط2 ،دار المكشوف ،بيروت ،1956م ،ص.8.

زيد وأبا الأسود وشهد في الأمان وجوه العسكر بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة "[1].

والرواية الثانية هي أن إلبيرة كانت عاصمة كورة إلبيرة ثم صارت بعدها العاصمة في عهد زاوي بن زيري[2] ،وأضاف محمد عبد الله عنان أن غرناطة وقت افتتاح الأندلس كانت مدينة صغيرة من أعمال إلبيرة تقع على مقربة من مدينة إلبيرة قاعدة الولاية من الناحية الجنوبية افتتحها المسلمون اثر انتصارهم على القوط[3].

بقيت غرناطة مدينة متواضعة على عهد الخلافة الأموية بالأندلس إلى أن قامت الفتنة البربرية[4] بقرطبة سنة 399ه/1008م ،وهذا ما فتح المجال للتنافس والتنازع بين حكام المقاطعات الجنوبية التي كانت تابعة لها ،وكان يحرك تلك التناحرات أطماع المتسببين فيها بغية التوسع على أكبر قدر ممكن من الأراضي وجمع ما يمكن جمعه من الثروات النفيسة التي كانت تزخر بها مقاطعات قرطبة ،فوقعت غرناطة في يد البربر حيث استحدثها الثوار[5] بزعامة زاوي بن زيري الصنهاجي [6] الذي حماها ومدنها وجعلها قاعدة

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص. 469 .

[2] R .DOZY, histoire des musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie par les Almoravides leyde, 1932, t3.p.31 .

[3] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص. 21.

[4] يقصد بها الثورة التي شهدتها قرطبة سنة 399هـ/1008م قادها أهل قرطبة ضد أبي العاص الحكم بن هشام الملقب بالربضي شارك فيها الفقهاء كيحي بن يحيى الليثي وطالوت بن عبد الجبار العافري ؛بغية تنحيته من الحكم نظرا لانهماكه في الملذات ومبالغته فيها ،منشدين في ذلك: "يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه ،المصر على كبره ،المتهاون بأمر ربه ،أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك ..." غير أنها باءت بالفشل ،إذ هدمت منازلهم ومساجدهم وقتل منهم خلق كثير ،ونفي من بقي منهم عن البلاد (أنظر: المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص ص.30،31).

[5] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص. 45.

[6] قال عنه بن الخطيب أنه كان كبش الحروب وكاشف الكروب ،خدم قومه ،شهير الذكر أصيل المجد المثل المضروب في الدهاء والرأي والشجاعة والأنافة والحزم ،جاز إلى الأندلس رفقة ابنا أخيه ماكسن و حباسة وحبوس على إثر مقتل عم أبيه ماكسن بن زيري بن مناد فاستقروا عند المنصور بن أبى عامر الذي وجدوا عنده كل ترحيب وبقوا كذلك إلى

قاعدة لسلطانه وعاصمة لملكه[1] ،فحكمها لبضعة أعوام إلى غاية رحيله عنها إلى إفريقية سنة 416ه/1025م [2] مستخلفا عليها بن أخيه حبوس بن ماكسن [3] تـــــ428ه/1036م[4] الذي استكمل بنائها وبناء

قصبتها وتحصين سوارها [5] فانتقل الناس إليها[6] ،ومن بعده باديس بن حبوس ت467ه /1074م الذي كملت في أيامه[7].

ويعد حبوس بن ماكسن على حد تعبير بن خلدون أعظم ملوك البربر وأقواهم جانبا حيث كانت مملكته من أكبر ممالك الطوائف رقعة إذ كانت تمتد من بسطة [8] شرقا حتى اتجه ورندة [9] غربا ومن بياسة وجيان [10] شمالا حتى البحر جنوبا ،وهي قوة زاد شأنها

غاية قيام الفتة البربرية سنة 399هـــ/1008م فانحازوا إلى إلبيرة وكونوا بها دولة خاصة بهم (أنظر: بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.522 ؛**أعمال الأعلام** ،ص ص .228،229).

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 514 ؛ بن سعيد المغربي ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص.86.

[2] علي حسين الشطاط ،**نهاية الوجود العربي في الأندلس** ،د .ط ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،2001م ،ص ص.43،44.

[3] عن ملوك بني زيري أنظر **الملحق** رقم:01.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.477 .

[5] **نفسه** ،مج1 ،ص. 514 .

[6] المقرى ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص. 150 .

[7] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص.45 .

[8] بسطة: بفتح أوله وسكون ثانيه مدينة بالأندلس من أعمال جيان مشهورة بالمصلبات البسطية (أنظر: الحموي ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.422).

[9] رندة: بضم أوله وسكون ثانيه مدينة قديمة بين إشبيلية ومالقة ،وهي حصن منيع على نهر جار وبها زرع واسع (أنظر: الحموي ،**المصدر السابق** ،مج3 ،ص.73).

[10] جيان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة متصلة مع كل من إلبيرة وتدمير وطليطلة ،بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا (أنظر: الحموي ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص.195).

على عهد باديس الذي مصر مدينة غرناطة وصارت منذ عهده من أهم قواعد الأندلس الجنوبية وأنشأ القصور والحصون فوق أنقاض قلعتها القديمة [1].

4) أوصافها:

أشادت المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية قديما وحديثا بوصف جمال غرناطة وذكر فضائلها ،فذكر بن الخطيب أن موقع غرناطة الحسن جعلها قريبة من الإعتدال شامية في أكثر الأحوال ،وقد خصها الله تعالى بطيب الهواء وغزارة الماء[2] ،ووصفها الحجاري بقوله:" غرناطة وما أدراك ما غرناطة ،حيث أدارت الجوزاء وشاحها وعلق النجم أقراطه عقاب الجزيرة وغرة وجهها المنيرة"[3].

وقال أبو الفداء: " وغرناطة في نهاية النزاهة وتشبه دمشق وتفضل عليها بأن مدينتها مشرفة على غوطتها وهي مكشوفة من الشمال "[4] ،وذكر الشقندي أنها دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأبصار،ومطمح الأنفس[5] ،وجعلها ياقوت الحموي من أعظم مدن كورة إلبيرة وأحسنها [6] ،وأفاض القلقشندي في وصفها بقوله :" وغرناطة في نهاية الحصانة وغاية النزاهة تشبه دمشق من الشام وتفضل عليها بأن مدينتها مشرفة على غوطتها[7] .

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون ،**تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ،د.ط ،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ،1391ه/1971م ،ج6، ص. 180.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص .94 .

[3] نقلا عن ابن سعيد ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص.83 .

[4] عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعرف بأبي الفداء ،**تقويم البلدان** ، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون والبارون ماك كوكين دسلان ،د . ط ،دار الطباعة السلطانية ،باريس ،1840م ،ص.177.

[5] بن حزم وبن سعيد والشقندي ،**فضائل الأندلس وأهلها** ،تح: صلاح الدين المنجد ،د.ط ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1387 هـ / 1968م ،ص.56.

[6] ياقوت الحموي ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص. 195.

[7] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص. 107 .

كما وصفها بن بطوطة عند زيارته لها بقوله "غرناطة قاعدة الأندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة ،والبساتين والجنات والرياض والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة"[1] ،ويصفها العمري بقوله وهي كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والفواكه [2] ،أما الزهري فينعتها بأنها مدينة من أحسن مدن الأندلس[3].

أما أبو حامد محمد الغرناطي 473هـ/565هـ فيقول " واسم بلدي غرناطة وهو بلد كبير عظيم يقال أنه كان مدينة دقيانوس ملك أصحاب الكهف وبالقرب من المدينة بثلاث فراسخ مدينة صغيرة يقال لها لوشة"[4].

وعند جواز بن تاشفين المرابطي ت500هـ /1106م الرابع لبلاد الأندلس عام 496هـ /1102م وتجوله بها رفقة ابنيه أبو طاهر تميم وأبو الحسن علي شبهها "بعقاب رأسه طليطلة ومنقاره قلعة رباح وصدره جيان ،ومخالبه غرناطة وجناحه الأيمن بلاد الغرب وجناحه الأيسر بلاد الشرق"[5] ،كما وصفها القائد المرابطي الشهير بن غانية ت543ه/1148:"الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا جشتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم"[6].

---

[1] بن بطوطة ،**المصدر السابق** ،ص. 679.

[2] شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري ،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ،تح: حمزة أحمد عباس ،ط1 ،المجمع الثقافي ،أبو ظبي ،2002م ،ص.227.

[3] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ،**كتاب الجغرافيا** ،تح : محمد حاج صادق ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط ،ص.94.

[4] أبو حامد محمد الغرناطي ،**رحلة بن الغرناطي"تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسية"**،تحرير وتقديم قاسم وهب ،ط1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي ،2003م ،ص. 101 .

[5] مجهول ،**كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1 ،نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،1399 هـ/1979 م ، ،ص ص.77،78.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.97.

ويرى ليفي بروفنسال أن عاصمة الفكر الأندلسي كانت في بداية العهد الإسلامي تمثلها قرطبة لتتحول فيما بعد إلى غرناطة [1] التي شهدت بمدينتيها الكبيرتين مالقة وألميرية في مطلع القرن الرابع عشر نمو حركة فكرية زاهية أسهم فيها اغلب أمرائها [2].

وزاد عنان على الأوصاف السالفة قوله " وكانت غرناطة أيام الدولة الإسلامية جنة من جنات الدنيا ،تغص بالغياظ والبساتين اليانعة التي كانت لوفرة خصبها وروعة نضرتها تعرف بالجنات [3] .

وأسهب الشعراء في التفاخر بصفات غرناطة ومتنزهاتها فمما قيل فيها:

غرناطة مالها من نظير   ما مصر مالشام مالعراق؟

ماهي إلا العروس تجلى   وتلك من جملة الصداق [4]

ووردت إلى الأمير عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي رسالة من الأديب الأندلسي أبو بحر صفوان بن إدريس تظهر فيها غرناطة تفاخرها على قرطبة بقولها: " لي المعقل الممتنع والبطاح الواسعة والمياه المناسبة والنسيم البارد"[5].

كما سلبت متنزهاتها عقول المعجبين والأدباء كمتنزه حور مؤمل [6] الذي عد سيد متنزهات غرناطة وأجملها [1] نظرا لموقعه الجيد على ضفة نهر شنيل اليمنى [2] ،وفيه يقول يقول أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد:

---

[1] ليفي بروفنسال ،**حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت، د.ت.ط ،ص ص.7،8.

[2] **نفسه** ،ص.25 .

[3] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص .23.

[4] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص. 148 ؛ أرسلان ،**الحلل السندسية** ،ج1 ،ص.188 .

[5] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.172 ؛ أرسلان ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص .211 .

3 سمي بذلك نسبة إلى مؤمل ت492هـ/1098م خادم الملك باديس بن حبوس الصنهاجي تـ 465 هـ /1072م الذي زرع شجر الحور(أنظر: بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 117 ،ص.428 ؛ بن سعيد ،**المصدر السابق**،ج2 ،ص . 84).

والى الحور حنيني دائما   وعلى شنيل دمعي صيب[3] .

وبه كانت تلتقي حفصة بنت الحاج الراكوني الشاعرة بأبي جعفر بن مروان بن سعيد الذي أنشأ يقول:

رعى الله ليلا لم يرع بمذمم   رعانا وارانا بحور مؤمل[4].

ومنها متنزه عين الدمع المتصلة بجبل الفخار[5] العامر بالرياض والبساتين الذي لا مثيل له بسواها[6] وفيه يقول بن الخطيب :

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ   للدمع جاد به عساك تعود
تسرى نواسمك اللدان بليلة   فيهزني شوق إليك شديد [7]

وزاد الفقيه أبو القاسم بن قطبة على ذلك بقوله:

وليلا بعين الدمع وصلا قطعته   وأنجمه بين النجوم سعود
ترى الحسن منشور اللواء بسره   وظل الأمان في رباه مديد [8]

وكذلك متنزه نجد المطل على بسيط غرناطة[1] والذي يقول فيه أبو جعفر بن أبي مروان بن سعيد:

---

[1] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1،ص .475.

[2] Torres balbàs : contornos de las ciudades hispano musulmanas, calpe èdicione, Madrid ,1996. p.476.

[3] المقري ،**المصدر السابق** ،مج2،ص.282.
[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.491؛ بن حزم و آخران ،**المصدر السابق** ،ص.56.
[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص .122 .
[6] بن بطوطة ،**المصدر السابق** ،ص ص.679 ، 680 ؛ المقري ،**المصدر السابق** ،مج 1 ،ص.176 .
[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.122 .
[8] **نفسه** ،مج1 ،ص.123 .

وقد نفحت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت بريح القرنفل[2]

وأورد المقري بدوره شعر محمد بن غالب الرصافي و محمد بن عبد الرحمن الكتندي الذي أرسلاه إلى أبو جعفر المذكور آنفا:

بعثنا إلى رب السماحة و المجد ومن ماله في ملة الظرف من ند

ليسعدنا عند الصبيحة في غد لنسعى إلى الحور المؤمل أو نجد[3]

ويضاف إلى تلك المتنزهات متنزه السبيكة الذي أنشد فيه أبو جعفر الإلبيري مودعا غرناطة بقوله :

ولما وقفنا للوداع وقد بدت قباب بنجد قد علت ذلك الوادي

نظرت فألفيت السبيكة فضة لحسن بياض الزهر في ذلك النادي[4]

وزاد عبد الله بن زمرك ت 793ه/ 1394 م على ذلك بقوله:

يا من يحن إلى نجد و ناديها غرناطة قد ثوت نجد بواديها

قف بالسبيكة و انظر ما بساحتها عقيلة و الكثيب الفرد جاليها[5]

كما نوه الأوروبيون بالمكانة التي وصلت إليها غرناطة كغيرها من إمارات الأندلس في العصور الوسطى من تطور كبير فاق بكثير ممالك أوروبية في شتى المجالات ؛من ذلك ما قاله المؤرخ الفرنسي فيكتور دروي: " ... بينما أهل أوروبا تائهون في دجى الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوي من جانب الأمة الإسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال وغير ذلك ،حيث كانت مدن فاس وغرناطة

---

1 بن سعيد ،**المصدر السابق** ، ج2 ،ص.85.

2 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 491 ؛ بن حزم وآخران ،**المصدر السابق** ،ص. 56

3 المقري ،**المصدر السابق** ،مج 3 ،ص.513 .

4 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص. 678.

5 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج7 ،ص.171 .

وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الأمم واغتنم منها أهل أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية ... "[1].

وزاد على ذلك المستشرق الإسباني الشهير غونزالز بالنثيا بقوله :"أن بداية من منتصف القرن الخامس هجري – الثاني عشر ميلادي انحصرت دولة الإسلام باسبانيا مقتصرة على مملكة غرناطة التي شهدت الثقافة بها مستو راقيا امتد إلى غاية القرن الثامن هجري- الخامس عشر ميلادي ،رغم قلة استطاعة هذه الدويلة في توفير الظروف الملائمة لها ولأصحابها[2].

والنظرة نفسها نجدها عند المؤرخ خوليان ريبيرا : " من الصعب أن نجد فترة من التاريخ الاسباني تألق فيها مثل هذا العدد من عباقرة عظام من هذا الطراز مفكرين وشعراء وأهل أدب ورجال علم قابله تفكك سياسي لم يكن من قبل على هذه الحالة...وفي ذلك العصر وصل الإسبان الجنوبيون إلى أعلى درجات الإزدهار الأدبي"[3].

5) ما قيل في غرناطة:

قول أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان:

أحن إلى غرناطة كلما هفت   نسيم الصبا تهدى الجوى وتشوق

سقى الله من غرناطة كل منهل   بمنهل سحب ماؤهن هريق

---

[1] فكتور دروي ،**تاريخ القرون الوسطى منذ سقوط الإمبراطورية الغربية إلى وسط القرن الخامس عشر**،نقلا عن خير الدين التونسي ،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** ،تمهيد وتحقيق: المنصف الشنوفي ،ط2 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،تونس ،2000م ،مج1 ،ص .122.

[2] Angel Gonzalez Palencia : historia de la literatura ara bigo-Espanola, colleccion Labor n = 164-165,edicion, Barcelona, 1928,p.27.

[3] Julian Ribera y tarrago, la ensenanza entre los musulmanes espanoles ,(discurso universidade Zaragoza ,1893-1894) .pp .23,24.

ديار يدور الحسن بين خيامها وأرض لها قلب الشجى مشوق

أ غرناطة العليا بالله خبري أللهائم الباكي إليك طريق

وما شاقني إلا نظارة منظر وبهجة واه للعيون تروق

تأمل إذا أملت حور مؤمل ومد من الحمراء عليك شقيق

وأعلام نجد و السبيكة قد علت وللشفق الأعلى تلوح بروق[1].

وقال بن جبير ت 614هـ/1217م صاحب الرحلة المشهورة باسمه:

يا دمشق الغرب هاتي ك لقد زدت عليها

تحتك الأنهار تجري وهي تنصب إليها[2].

وقال الشيخ أبو بكر بن محمد بن شبرين السبتي:

رعى الله من غرناطة متبوأ يسر حزينا أو يجير طريدا

تبرم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالثلج عدن جليدا

هو الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر ما يعود برودا[3].

كما ظلت غرناطة عالقة بأذهان أبنائها يتغنون بها حيثما نزلوا ويتباهون بمعالمها ومناظرها من ذلك قول إبراهيم بن الحاج النميري:

أقول وحمراء غرناطة تشوق النفوس وتسبي المهج

ألا ليت شعري بطول السرى أرتنا الوجى واشتكت العرج

وما لي في عرج رغبة ولكن لأقرع باب الفرج[1].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص ص. 117، 118.

[2] نقلا عن المقري ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص.392 .

[3] شكيب أرسلان ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.215 .

وقال أبو عبد الله محمد بن جابر الهواري الضرير:

دامت على الحمراء حمر مدامعي والقلب فيما بين ذلك ذائب

طال المدى بي عنهم و لربما قد عاد من بعد الإطالة غائب[2]

وقد شهدت غرناطة على عهد بني زيري عمرانا واسعا كان يزيد كلما كثر عدد السكان بها ،برز في ما صار يعرف بالأرباض التي فاقت العشرة أهمها:

1/ ربض البيازين: ويعرف بالاسبانية بـــ ALBAICIN ذكر بن الخطيب أن موقعه كان في قلب مدينة غرناطة[3] عكس العمري الذي حدده بناحية الدفاف أي شرقي غرناطة واصفا إياه بكثرة العمارة والجيش حيث كان يخرج منه نحو خمسة عشر ألف مقاتل زيادة على استقلاله بحكامه وقضائه[4] ،غير أن المقري لم يزد على قوله أن ربض البيازين من مدينة غرناطة[5] .

كما أن محمد عبد الله عنان ذكر أنه يقع شمال شرقي غرناطة قبالة هضبة الحمراء[6] إلى يمين نهر حدره الذي يفصل الربض عن المدينة[7] ،وزاد أنه وجد بحي البيازين ثلاثة أبواب وهي باب البيازين وباب فحص اللوز وباب الزيادة بمساجدها الثلاثة ،مسجد المرابطين الذي حول بعد سقوط غرناطة إلى كنيسة سان خوسيه SAN Jose والمسجد الجامع الذي حول إلى كنيسة سان سالفادورsan salvador ومسجد التائبين حول بدوره إلى كنيسة خوان دي لوس ريسJuan de los reyes [8].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1،ص.348.

[2] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،ص .393 ؛ عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.466 .

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.459.

[4] العمري ،**المصدر السابق** ،ص.230.

[5] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،ص.517 .

[6] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.208 .

[7] عنان ،**الآثار الأندلسية** ،ص.161 وما بعدها .

[8] **نفسه** ،ص ص.168 ، 169

2/ ربض الفخارين: أشار إليه القلقشندي دون أن يتحدث عنه[1] غير أن عنان ذكر أنه يقع جنوبي غرناطة وهو من الأرباض الثلاثة التي تقع في نصفها الجنوبي[2] .

3/ ربض المرابطين : كان من الأرباض التي شغلت النصف الشمالي لمدينة غرناطة كربض البيازين وربض البيضاء[3].

4/ ربض الأجل: اشتهر هذا الربض بكثرة القصور والبساتين[4].

5/ ربض البيضاء: عد هذا الربض من جملة أرباض النصف الشمالي لغرناطة[5].

6/ ربض النجد: يقع خارج غرناطة ويتصل بجبل السبيكة[6] .

7/ ربض قمارش: هو أحد ثلاثة أرباض التي كانت تكون النصف الجنوبي لمدينة غرناطة[7].

8/ الربض المعروف بغرناطة اليهود: يقال عنه أنه أصل مدينة غرناطة[8].

الأوضاع السياسية:

شهدت غرناطة منذ أولى سنوات الفتح الإسلامي للأندلس إلى غاية سقوطها العديدة من الحوادث والاضطرابات[1] ؛سببها التناحر والتنافس الشديدين الذين أملتهما الظروف

---

1 القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص. 214.

2 عنان ،**الآثار الأندلسية** ،ص.162.

3 **نفسه** ،ص.162.

4 العمري ،**المصدر السابق** ،ص.230.

5 عنان ،**الآثار الأندلسية** ،ص.162.

6 بن بطوطة ،**المصدر السابق** ،ص.681.

7 عنان ،**الآثار الأندلسية** ،ص. 162.

8 **نفسه** ،ص.162.

الظروف التي كانت تطرأ على الساحة السياسية بين الفينة والأخرى أبرزها أثار الفتنة التي شهدتها قرطبة سنة 399 ه/1008م ،فكان أن صارت من نصيب بربر صنهاجة بزعامة زاوي بن زيري[2] الذي لبث الحكم في ذريته إلى غاية عام 486 ه/ 1093م [3] حيث استولى عليها المرابطون بزعامة يوسف بن تاشفين ت 500 ه / 1106 م[4] عام 483ه /1090 م[5] على إثر عبورهم إلى الأندلس[6] ،والذي نجم عنه سقوط حكم ملوك الطوائف نهائيا عام

493 ه/ 1099 م[7] ؛وبقوا هناك قرابة الستين عاما [8] عرفت غرناطة قبلها وخلالها بدورها الكبير في الدفاع عن حوزة الإسلام في العديد من المناسبات لعل أبرزها مشاركتها لجيوش المرابطين في معركة الزلاقة عام 479 ه/ 1086 م بالمال والرجال[9] ،وفي محاصرة حصن لييط عام 481 ه/ 1088 م تحت إمرة صاحبها الأمير المظفر عبد الله بن بلقين [10] ،واستعادة بلنسية من قبضة الأدفونش عام 487 ه/1094م [1]

---

[1] أشار بن الخطيب إلى تلك الاضطرابات وآثارها على بلده غرناطة في العديد من المناسبات من ذلك أن الناس صلوا بها صلاة الخوف يوم عيد الأضحى سنة 518 هـ /1124 م بسبب تحرشات ألفونسو الأول ملك أراغون (1105 – 1134م) عليها (أنظر: **الإحاطة** ،مج1 ،ص. 108 وما بعدها).

[2] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص ص.130 131.

[3] بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص. 187 .

[4] الأمير عبد الله ،**المصدر السابق** ،ص. 181 وما بعدها، بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص. 187 ؛رجب محمد عبد الحليم ،**العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** ،د.ط، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.368 .

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.118 ؛حسن أحمد محمود ،**قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** ،ط2 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1416هـ / 1996 م ،ص. 236 .

[6] يوسف أشباخ ،**تاريخ الأندلس في عهد المرابطيين والموحدين** ، ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ،ط2 ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417 هـ /1996 م ،ص ص. 97،98.

[7] بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص.188.

[8] حسين مؤنس ،**موسوعة تاريخ الأندلس " فكر وحضارة وتراث** ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،1416هـ /1996 م ،ص.100.

[9] الأمير عبد الله ،**المصدر السابق** ،ص. 104 .

[10] مجهول ،**المصدر السابق** ،ص ص. 68،69 .

،الأمر الذي جعل المرابطين يهتمون بها أيما اهتمام وأصدق دليل على ذالك ما أشار به يوسف بن تاشفين ت500ه / 1106م في شروط تقديمه لولي عهده أبو الحسن علي بن يوسف 537ه /1142م بأن جعل بها حامية من ألف فارس دائم يسهرون على استباب الأمن[2] .

ليظهر بها الموحدون سنة 551 ه/ 1156 م[3] بعد أن استولوا تباعا على أغلب قواعد الأندلس وثغوره[4] كيف لا وهم من أطاحوا بدولة المرابطين سنة 541/ 1146م [5] ،بعد مواجهات عنيفة بينهما طيلة سبع أعوام في كل من تلمسان وفاس[6] انتهت بسقوط العاصمة مراكش [7] في السنة المذكورة سلفا[8] ،حيث تولى إمارة غرناطة عدة ولاة منهم كأبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي [9] وأبو عبد الله بن عبد المؤمن[10].

غير أن اضطراب أحوال البلاد حيال وفاة الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف المستنصر بالله سنة 580ه /1184م[1] وذلك بظهور عدد من الثائرين على حكم الموحدين

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تح: إحسان عباس ،ط3 ،دار الثقافة ،بيروت ،ج4 ،1983م ،ص .35.

[2] مجهول ،**المصدر السابق** ،ص.80.

[3] عز الدين عمر موسى ،**الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونظمهم** ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1411ه/1991م ،ص.64.

[4] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.28.

[5] بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص.233.

[6] محمد بن غازي العثماني ،**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط3 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1420ه/ 1999م ،ص.20.

[7] أشار البيذق مؤرخ دولة الموحدين أن مراكش بعد سقوطها على يد عبد المؤمن بن علي مكثت ثلاثة أيام لم يدخلها داخل ولم يخرجها خارج نظرا لامتناع الموحدين عن سكناها ،تلاها فيما بعد ابتياع النساء وضم ما كان بها من حلي وسلاح إلى المخزن (أنظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق ،**كتاب أخبار المهدي بن تومرت** ،تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات ،د.ط ،المطبعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،2007م ،ص ص.96،97) .

[8] أحمد بن خالد الناصري السلاوي ،**كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى** ،تحقيق وتعليق: الأستاذ أحمد الناصري ،د.ط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،2001م ،ج3 ،ص.45 وما بعدها.

[9] عبد الملك بن صاحب الصلاة ،**المن بالإمامة** ،تح: عبد الهادي التازي ،ط3 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1987م ،ص.85.

[10] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.141.

الموحدين أمثال أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب بمرسية [2] وأبو جميل بن مردنيش بلورقة [3] بالإضافة إلى تزايد تكالب قوى النصرانية على البلاد فيما بعد أدى إلى ظهور شخصية قوية تتمثل في الأمير محمد بن يوسف بن هود الجذامي ت 635ه/1237م الذي خلع

طاعة الموحدين[4]وبسط يده على العديد من قواعد البلاد[5] من بينها غرناطة عام 628ه/1230م[6].

وذلك بعد أن خاض معارك ضد الموحدين والنصارى تباعا[7] مستغلا تحمس الأندلسيين للجهاد ،وبحثهم عن استعادة ما ضاع كماردة سنة 627 هـ /1229 والجزيرة الخضراء سنة 629هـ / 1231م [8] غير أن مصرعه على يد وزيره ونائبه على ألميرية أبو عبد الله محمد الرميمي سنة 635هـ /1237م[9] جعل أماله تذهب أدراج الرياح [10].

وفي تلك الأثناء كانت بقايا إمارات الأندلس تشهد فترات عصيبة بسبب تحرشات قوى النصرانية عليها بقيادة كل من خايمي الأول ملك أراغون [11] وفرنا ندو الأول ملك

---

[1] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.269 ؛ بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص.251.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،ص ص.274،275.

[3] البيذق ،**المصدر السابق** ،ص.129.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.141.

[5] بطرس البستاني ،**معارك العرب في الأندلس** ،د.ط ،دار مارون عبود ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.117.

[6]محمد عبد الله عنان ،**تراجم أندلسية**؛ شرقية وأندلسية ،ط1 ،دار المعارف ،القاهرة ،1947م ،ص.222.

[7] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.260.

[8] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.260.

[9] بن عذاري ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**:قسم الموحدين ،تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ،ط 1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1406ه/1985م ،ص.341.

[10] بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.169؛ المقري ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص ص582،583.

[11] الأراغون منطقة في شمال شرقي اسبانيا عاصمتها سرقسطة، تمتعت باستقلال كمملكة حتى سنة1469م حين تزوج فرديناند بايزابيلا فاتحدت بذلك مع قشتالة ونشأت مملكة اسبانيا(أنظر: مسعود الخوند ،**الموسوعة التاريخية الجغرافية** ،د.ط ،دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان ،د.ت.ط ،ج1،ص.295).

قشتالة[1] وما انجر عنه فيما بعد من سقوط كل من بلنسية سنة 636هـ / 1238 م [2] وقرطبة وشاطبة وإشبيلية مابين 636 ـــ 645هـ / 1238 ـــ 1247 م في يد الأراغونيين[3] ،ومرسية سنة 642 هـ / 1244م في يد القشتاليين[4] ،سطع في الأفق نجم أمير جديد حمل على عاتقه مهمة إعادة لم الشمل ما بقي من قواعد الأندلس الإسلامية [5] ألا وهو الأمير الغالب الله محمد بن يوسف بن نصر الملقب بابن الأحمر[6] تـ 671هـ / 1272 م[7] الذي اتخذ من حصن أرجونة منطلقا لتحقيق طموحاته[8] التي بدت مستحيلة لأول وهلة[9] ؛نظرا للتقهقر الكبير الذي خلفه النصارى على البلاد والعباد[10].

كانت أولى خطوات مشروعه معارضته لابن هود في جنوب الأندلس ،فانضمت على إثرها كل من جيان وشريش ومالقة تحت لوائه عام 630 ه /1232م[11] ،وآزرته في ذلك دعوته للأمير أبو زكريا يحي الحفصي بافريقية [12] ،الأمر الذي جعله يدخل في

---

[1] تعد قشتالة إحدى المملكتين الإسبانيتين القويتين رفقة الأراغون واللتين ازدادتا قوة بعد توحيدهما تحت لواء واحد ،وتتكون بدورها من قسمين ؛قشتالة ليون وقشتالة لا مانشيا ،وتعتبر لغتها مصدرا للأدب الإسباني إلى غاية اليوم (أنظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون ،**الموسوعة العربية العالمية** ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419ه/1999م ،ج18 ،ص ص.187،188).

[2] عنان ،**تراجم إسلامية** ،ص.258.

[3] المقري ،**نفح الطيب** ،مج4 ،472.

[4] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.90.

[5] فيليب حتي وآخرون ،**تاريخ العرب** ،ط11 ،دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،2002م ،ص.631.

[6] توارث سلاطين غرناطة عن بعضهم البعض تسمية بن الأحمر نسبة إلى أحد أجدادهم وهو عقيل بن نصر لشقرة فيه ، والتي تكرر ظهورها في أحفادهم كالسلطان محمد السادس الذي تسميه المصادر الإسبانية بالبرميخو Barmejo أي البرتقالي المائل إلى الحمرة (Mariana: historia General de Espa□a ,edicion la borna, Madrid ,1965. .t2,p221)

[7] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.22.

[8] بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج4،ص.36 ؛القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.260.

[9] عنان ،**تراجم أندلسية** ،ص.261.

[10] محمد كمال شبانة ،**الأندلس؛دراسة تاريخية حضارية** ،ط1 ،دار العالم العربي ،القاهرة ،1429ه/2008م ،ص.163.

[11] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.427.

[12] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.260.

صدام مع محمد بن هود انهزم فيه هذا الأخير بالقرب من إشبيلية [1] سنة 631هـ/1233م [2] [2] واستولى بعدها على مدينة ألميرية[3] ،تلاها دعوة غرناطة وأهلها لدخولها بعد انهيار سلطان بن هود بها ووفاته ،فتحقق لهم ذلك في رمضان 635هـ/ أفريل 1237[4].

واجه بن الأحمر خطرا كبيرا هدد استقرار سلطته مثلته مملكة قشتالة بزعامة فرناندو الثالث الذي زحف بقواته إلى غرناطة سنة 642هـ /1244م[5] وتكرر ذلك لعدة مرات ،الأمر الذي حذا به إلى مصانعته والانضواء تحت لوائه ربحا للوقت بغية توطيد دعائم إمارته الفتية وتقويتها [6] لقلعة جيان كرهينة سنة 643هـ/1245م [7] ودفعه لضريبة سنوية قدرها مائة ألف قطعة من الذهب ،وأقساها مساعدته للنصارى في الاستيلاء على إشبيلية سنة 646هـ /1248م[8].

وتكررت هذه الحالات مع ملوك قشتالة كلما زاد الخطب على هذه الإمارة الصغيرة كحوادث سنة 664هـ/1265م و 665هـ/1266م أين بلغ عدد المقاطعات والحصون المنتزعة قرابة مائة وخمسين ؛غير أن هذه السياسة[9] الأليمة ساعدت بن الأحمر في أن

---

[1] إشبيلية هي إحدى مدن الأندلس الشهيرة التي فتحها المسلمون عام 93هـ/ 712م والتي زادت شهرتها على عهد أميرها المعتمد بن عباد الذي شيد بها القصور والحدائق وازدهرت بها العلوم إلى أن سقطت في يد فرناندو الثالث سنة 647 هـ/ 1248م (أنظر: مسعود الخوند ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.296).

[2] المقري ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.427.

[3] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.286.

[4] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،**قسم الموحدين** ،ص.342 ؛بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.22.

[5] w. Montgomery : a history of Islamic Spain (Edinburgh university, press , 1987). p.111 5

[6] محمد عبد الله عنان ،وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ،صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن وزارة المعارف العمومية المصرية ،مدريد ،1373هـ/1954م ،ع:1-2 ،مج2 ،ص.39 .

[7] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.36.

[8] حسين مؤنس ،**موسوعة تاريخ الأندلس: فكر وتاريخ وحضارة وتراث** ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1416هـ ،1416هـ /1996م ،ج2 ،ص.199.

[9] عد المؤرخون سياسة ملوك غرناطة التي ساروا عليها في سبيل الحفاظ على مملكتهم بالماكرة والمرنة الماهرة في الوقت ذاته؛ فتارة يميلون إلى مصانعة قشتالة والأراغون وتارة ينحازون إلى دولة بني مرين بالمغرب وأحيانا أخرى يتقربون من مملكة الأراغون ضد القشتاليين ، وهي الحالة التي وصفها الإسبان بسياسة اللعب بالثلاث ورقات juego

يلبث الحكم في عاقبيه من بعده لعقود مديدة[1] ،حفلت بالكثير من المآسي والمحن كمحاولات الانقلاب العديدة أشهرها ثورة أعيان الأندلس سنة 671ه / 1272م والتي باءت بالفشل[2] ،تلتلها حركة أخرى بزعامة أسرة بني أشقيلولة سنة 689ه/ 1290م على عهد السلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت 702ه/ 1302م[3] الذي استطاع القضاء على مناوئيه[4] ،وآخرها التمرد الذي قام به الأمير إسماعيل بن الأحمر على السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله بن أبي الحجاج ت793ه/1390م سنة760ه/1358م والذي أسفر عن إبعاده عن بلده واستقراره بفاس [5].

زيادة على ذلك برزت بغرناطة ظاهرة اغتيال الحكام بغرض الوصول إلى السلطة كما هو حال السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج النصري سنة 725 ه/ 1324م[6] وولي عهده السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي الوليد بن فرج سنة 734ه/1333م على يد بني أبي العلى بمالقة [7].

غير أن أخطر الأحداث وأفدحها على الطلاق ذلك الصراع الذي نشب بين الأميرين الغرناطيين عبد الله الزغل ،وابن أخيه عبد الله الصغير بن علي بن سعد [8] حول أحقية كليهما بحكم غرناطة التي صارت على مرأى العين من عدوتها التقليدية قشتالة التي كانت تتابع سير الحوادث وتنتهز الفرص للقضاء عليها نهائيا [9] ،سواء عن طريق الدسائس

Miguel Angel ladero quesada, Granada historia de un pais :أنظر) de très Barajas islamico (1232-1571) ,Madrid ,1969 ,p.46).

[1] شوقي أبو خليل ،**عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي** ،ط3 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1423ه /2002م ،ص.118.

[2] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.36 ؛السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص.68.

[3] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،تح: كولان وليفي بروفنسال ،ج 3،ص.415 ؛ بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.377.

[4] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.291 ؛ بن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج7 ،ص.440 .

[5] بن الخطيب ،**رقم الحلل في نظم الدول** ،د.ط ،المطبعة العمومية ،تونس ،1316ه ،ص.104.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.142.

[7] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص ص.297،298.

[8] محمد كمال شبانة ،**المرجع السابق** ،ص.167.

[9] أبو الحسن القلصادي ،**المصدر السابق** ،ص.18.

وإثارة النعرات[1] أو بالمواجهة المباشرة التي اتضحت معالمها ابتداء سنة 888ه/ 1483م 1483م ،حيث وقع فيها أبو عبد الله الصغير أسيرا في يد فرناندو وإيزابيلا حتى 891ه/ 1486[2] ،عقد معهما على إثرها معاهدة [3] لمدة سنتين[4] ،استغلها النصارى للحد للحد من طموحات عمه الزغل سلطان غرناطة الجديد الذي ردت نشوة انتصاراته في مالقة عام 888ه/1483م بصيصا من الأمل لدى أهل غرناطة[5] .

لكن تكرار الأخطاء وعدم الاستفادة منها وعلى رأسها التحالف مع الأعداء كان سببا رئيسا في تراجع بقايا رموز المقاومة بها ،فسقطت رندة سنة 890ه/1485م [6] ومالقة سنة 892ه/1486م [7] وألميرية سنة 893 ه/1487م[8] ومن بعدها وادي آش سنة 895ه /1489م [9] فعبر الزغل البحر رافضا للذل والمهانة ليستقر بتلمسان رفقة الكثير من الأعيان وذوي الشأن أين صار خلفه يعرفون بها ببني سلطان الأندلس [10].

وجاءت ساعة الحسم التي أحس فيها أبو عبد الله الصغير بالخطوب والرزايا تنكب عليه بعد أن بقي وحيدا رفقة قلة من القادة شاركوه في آخر المحاولات اليائسة لرد الاعتبار ،فعمد على استرجاع بعض الحصون والقرى المجاورة وآزره في ذلك أهل

---

[1] السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.303.

[2] مجهول ،**كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ،ظبطه وعلق عليه الفريد البستاني ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،1423ه/2002م ،ص.12 ؛ عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.203.

[3] نصت المعاهدة على الاعتراف بفرناندو وزوجته إيزابيلا ودخوله في طاعتهما ،ودفعه لإثنا عشر ألف دوبلا من الذهب كضريبة سنوية لهما مع إطلاق سراح أربعمائة أسير نصراني من سجون غرناطة ،إضافة إلى تسليم ولده رفقة عدد من الحاشية السلطانية في صورة رهائن كدليل على وفائه لقشتالة والتزامه ببنود المعاهدة (للإطلاع أكثر أنظر الدراسة القيمة التي قام بها عبد الحكيم ذنون ،**آفاق غرناطة**:بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ،ط1 ،دار المعرفة ،دمشق ،1408ه/1988م ،ص.53 وما بعدها)

[4] عنان ،**تراجم أندلسية** ،ص.234.

[5] مجهول ،**نبذة العصر** ،ص.11.

[6] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،ص.516.

[7] السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص. 306؛ عنان ،**نهاية الأندلس** ص.223.

[8] حسين مؤنس ،**موسوعة تاريخ الأندلس** ،ج2 ،ص.203.

[9] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.227.

[10] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،524.

البشرات أواخر سنة895هـ/1490م[1] ،قوي على إثرها عزم الغرناطيين بذلك النصر الظرفي الذي ما فتئ ينقلب إلى مأساة أليمة مقدمتها الحصار القوي الذي ضربه جيش قشتالة جنوب مدينة غرناطة في جمادى الثانية سنة 896هـ/ مارس 1491م[2] ،فاشتد الجوع الجوع بأهلها وتفشت بينهم الأمراض لنقص المئونة وانقطاع سبلها والتي زادت تعقدا بحلول الشتاء الذي غطى بالثلوج ما بقى من سهول وشعاب[3] ،الأمر الذي أرغم عبد الله الصغير إلى تسليم المدينة بعد معاهدة تمت في صفر 897 هـ/ ديسمبر 1491 م[4] ليدخلها ليدخلها فرناندو وإيزابيلا في 02 ربيع الأول 897هـ/ 02 جانفي 1492م[5] .

رحل بعدها الأمير الصغير رفقة حاشيته إلى فاس [6] على عهد السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ بن زكريا الوطاسي بعد رسالة طويلة بعثها إليه على لسان كاتبه أبو عبد الله محمد بن عبد الله العقيلي عنونها ب "**الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس**" [7] وبقي بها إلى أن وافته المنية سنة 924هـ/1518م [8] ،لتتبعه الجموع الجموع الغفيرة التي عبرت بدورها إلى مراكش بعد إكراه محاكم التفتيش من بقي حيا من المسلمين على اعتناق النصرانية [9] .

الأوضاع الاجتماعية:

---

[1] مجهول ،**نبذة العصر** ،ص ص.30،31.

[2] **نفسه** ،ص.37.

[3] السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.304.

[4] مجهول ،**نبذة العصر** ،ص ص.40،41.

[5] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،ص.525.

[6] مجهول ،**نبذة العصر** ،ص.43.

[7] المقري ،**المصدر السابق** ،مج4 ،ص.529 وما بعدها.

[8] المقري ،**أزهار الرياض في أخبار عياض** ،ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخران ،د.ط ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1358هـ /1939م ،ج1 ،ص.68.

[9] كارل بروكلمان ،**تاريخ الشعوب الإسلامية** ،نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ،ط5 ،دار الملايين للعلم ،بيروت ،1968م ،ص.344.

كانت غرناطة كغيرها من إمارات الأندلس تتكون بنيتها الاجتماعية من عناصر مختلفة من عرب وبربر ومولدون[1] ويهود ، فالعرب كان استقرارهم بها على عهد أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الذي صرف أعيان الشاميين إليها[2] ، والبربر الذين ارتبط ارتبط ظهورهم في الأندلس بعهد الفتوحات الإسلامية للبلاد[3] وزاد توافدهم عليها بأعداد كبيرة أيام تجنيدهم من طرف المنصور محمد بن أبي عامر ،وكان أغلبهم من زناتة [4] ؛رغبة منه في تكوين جيـــــــش قوي يضم أجنـــــــاس مختلفة لا تحركه صـــــــلاتها القبلية والأطماع الخفية [5] ،لتبرز بـــــــها قوتهم فيـــــــما بعد بزعامة المنـــــــصور أبو مثـــــــنى زاوي بن زيري بن منـــــــاد ابـــــــتداء من عام 403هـ / 1012م[6] على إثـــــــر الثورات التي عقبـــــــت موقعة الربـــــــض [7] سنة 399 هـ /1008م[8] ،تلاهم بها فيما بعد بربر صنهاجة الملثمين بطلب من الأندلسيين

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1،ص.138 وما بعدها؛ مصطفى الشكعة ،**الأدب الأندلسي**: موضوعاته وفنونه ،ط7 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1992م ،ص.21.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 102 .

[3] حسين مؤنس ،**فجر الإسلام : دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلي قيام الدولة الأموية – 711 - 75 م** ، ط2 ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ،جدة ،1405هـ/1985م ،ص.387 .

[4] حسن أحمد محمود ،**قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** ،ط2 ،دار الكتاب الحديث ،مصر ،1416هـ / 1996م ،ص.78.

[5] الأمير عبد الله بن بلكين ،،**مذكرات الأمير عبد الله والمعروف بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ،حرره: علي عمر ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1427ه/2006م ،ص.31.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 140.

[7] يقصد بها تلك الفتنة التي قامت سنة 399ه/1008م عندما ثار أهل الربض الغربي بقرطبة على الخليفة الحكم بن هشام بغية تنحيته من سدة الحكم وذلك بدفع من الفقهاء أمثال يحي بن يحي الليثي وطالوت بن عبد الجبار المعافري وانتهت بتشريدهم عن بلدهم بعد أن خربت بيوتهم وهدمت مساجدهم (أنظر : عبد الواحد المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.44 وما بعدها).

[8] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص ص.263،264.

الأندلسيين لرد عدوان النصارى عنهم سنة 479هـ / 1086م[1] ،ليتعزز وجودهم بها فيما بعد حيث مارسوا التجارة والصناعة في المدن والأقاليم [2].

أما المولدون فهم من الأصول الاسبانية الذين اعتنقوا الإسلام[3] منذ الفتح وأصبح لهم نفوذ قوي فيما بعد[4] كما هو حال أسرة بني قسي التي بسطت نفوذها على غرناطة خلال القرن الثالث الهجري وتبوأت أرقى المناصب [5] .

وكذلك اليهود [6] الذين سكنوها قبل الفتح [7] وتمتعوا فيها بعناية خاصة وتقلبوا في المناصب العليا [8] كالوزارة التي تقلدها يوسف بن النغريلة تـ 459هـ/1066 م لدى الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي ت467ه/1074م [9] وكونوا بها ثروة كبيرة كبيرة جعلت المرابطين يفرضون عليهم ضرائب مضاعفة [10] كانت سببا في حمل بعض العائلات الغنية إلى الهجرة عنها صوب إمارات الأندلس الأخرى كما هو حال عائلة بني عزرا التي انتهى بها المطاف بطليطلة[11].

---

[1] مجهول ،**الحلل الموشية** ص. 38 .

[2] عصمت عبد اللطيف دندش ،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** – عصر الطوائف الثاني 510 – 546 هـ ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1408 هـ / 1988 م ، ص.261 .

[3] عنان ،**دولة الإسلام في الأندلس ،الخلافة الأموية والدولة العامرية ،العصر الأول ،القسم الثاني** ،ص.463

[4] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص – ص .70-72.

[5] بيير غيشار ،**التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية حكم الموحدين :الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ،ترجمة مصطفي الرقى ،ط2 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ص. 976 .

[6] Clot (André): l'Espagne musulmane, (VII[e] XVe siècle), libraire académique, Perrin, paris, PP.236-238.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.101 .

[8] ذكر الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته أن اليهود كانوا يقومون بثورات في الكثير من المرات ،وضرب بيهود مدينة أليسانة مثالا على ذلك (أنظر: **كتاب التبيان** ،ص. 163 وما بعدها).

[9] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.230 ؛بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص265.

[10] مجهول ،**الحلل الموشية** ،ص.81.

[11] Fernandez: les juifs espagnols au moyen-âge, Gallimard, paris, 1983, P.77.

وغلب اللسان العربي على أهل مملكة غرناطة بحكم توافد الكثيرين عليها من أهالي الإمارات الأندلسية التي سقطت تباعا في أيادي النصارى[1] ؛أغلبهم من البطون العربية العريقة كالقرشيين والفهريين والحميريين والغساسنة والتميميين[2] مع انتشار العديد من الألفاظ المحلية التي تميل إلى الإسفاف السوقي وتعبر عن الذوق الغرناطي الرفيع وبالخصوص التنكيت[3] ،ناهيك عن التكلم باللسان البربري حتى عند الطبقة الحاكمة لما تكون الأمور بالغة الأهمية مثاله ما دار بين وزير سماجة خليفة الأمير عبد الله بن بلقين وخدمه[4] .

كما امتاز سكانها بوسامة الوجوه[5] واعتدال القدود ناهيك عن جمال المظهر نظرا لاعتنائهم بأناقة الملبس ونظافته على عادة أهل الأندلس[6] ذو الجودة العالية والمتنوعة بتنوع مفصول العام يغلب عليه ملف المصبوغ شتاءا مع تفاضل أجناس أخرى كالكتان والقطن والحرير[7]. ويلحظ عليهم ترك العمائم والتي انحصر لبسها على شيوخهم وعلمائهم وعلمائهم فقط [8] فلا يكاد يرى فيهم قاضيا ولا فقيها إلا وهو بعمامته[9].

أما الغرناطيات فقد وصفهن بن الخطيب بأنهن حريم جميل موصوف بالحسن امتزن بنبل الكلام و حسن المحاورة[10] غير أنه أعاب عليهن إسرافهن في استعمال الزينة و

---

[1] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص. 73 .

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص. 135.

[3] بن الخطيب ،**مثلى الطريقة في ذم الوثيقة** ،تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي ،د .ط ،المؤسسة الوطنية لفنون المطبعية ،الجزائر ،1983م ،ص .68 .

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.283 .

[5] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.13.

[6] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص .223 .

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.134 ، 135.

[8] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1،ص.136 ؛**اللمحة البدرية** ،ص.39.

[9] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص .222.

[10] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص .139 ؛**اللمحة البدرية** ،ص.41.

العطور والمبالغة في وضع الحلي المؤدية إلى التبرج و السفور[1] ،وكن في بعض الأحيان الأحيان يحضرن الحفلات التي كانت تقام بغرناطة ويختلطن بالرجال[2] ،وهذه المظاهر كثر حدوثها في المجتمع الأندلسي عموما بعد أن ساءت أحوال أهله وانحطت أخلاقهم[3] لاسيما في

عصر الطوائف وأمرائه[4] الذين تفننوا في التسابق نحو مجالس اللهو والطرب[5] كما هو شأن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي الذي يصفه ابن الخطيب بأنه انهمك في حب القيان والزمر والرقص [6] ،هذه الأحوال وما نجم عنها من علاقات محرمة جعلت الفقهاء يتذمرون منها[7].

كما تفشت ظاهرة سماع الغناء في أوساط المجتمع الغرناطي[8] وذلك بظهور عديد المغنيين كما هو حال أبو الحسين بن الحمارة [1] حيث انتشر السفور بين العامة وحفلت

---

[1] **نفسه** ،مج1 ،ص .139 .

[2] أشار بن الخطيب إلى ذلك في عدة مناسبات من ذلك قوله : " ...واختلط النساء بالرجال والتقي أرباب الحجا بربات الحجال فلم تفرق بين السلاح و العيون الملاح (أنظر: بن الخطيب ،**مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل)** ،نشر وتح: أحمد مختار العبادي ،د.ط ،مطبعة جامعة الإسكندرية ،مصر ،1958م ،ص.50).

[3] بن عبدون الاشبيلي ،**ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ،تح: ليفي بروفنسال ،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ،1955م ،ص.60 ؛ حسن أحمد محمود ،**المرجع السابق** ،ص. 266 .

[4] A.R mykl : hispano- Arabic poetry and its relations with the old provençal troubadours, Baltimore 1946.p. 72 .

[5] محمد لبيب البتوني ،**رحلة الأندلس** ،ط2 ،مطبعة شركة المساهمة المصرية ،مصر ،د.ت . ط ،ص.146 .

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.123.

[7] بن حزم الأندلسي وآخران ،**المصدر السابق** ،ص. 13 ،أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ،**رسالة في آداب الحسبة والمحتسب** ،ص.83.

[8] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص. 282 ؛ **اللمحة البدرية** ،ص.40.

مجالس الكبراء بآلات اللهو وشرب الخمر[2] رغم جهود البعض من ذوي الشأن في الحد من تلك المظاهر وهو ما أشار إليه بن الخطيب عند حديثه عن السلطان الغرناطي إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاري ت 725ه/ 1324م أنه منع المغنيات من حضور ولائم الرجال مع إراقته للمسكرات[3] ،وكذلك تضايق السلطان الغرناطي محمد الفقيه من سلوك كاتبه محمد بن محمد بن عابد الأنصاري ت690ه/1291م نظرا لانهماكه في معاقرة الخمرة [4] .

غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يتسابقوا في جلب القينات والجواري من كل حدب وصوب و اللائي صار لهن فيما بعد دورا فعالا ودخلا مباشرا في تسيير شؤون الحكم ،وكان الانحطاط الخلقي الذي أخذت بوادره تتفشى في غرناطة وغيرها من إمارات الأندلس إلى جانب تقاذف أمواج الخطر الصليبي عليها سببا في تدخل المرابطين فيها وإسقاطهم لملوكها الذين وصف حالهم القائد المرابطي يوسف بن تاشفين : "إنما همة أحدهم كأسا يشربها و قينة تسمعه ولهو يقطع به أيامه"[5] .

ولنا في ثرية أو إيزابيلا حظية السلطان الغرناطي أبو الحسن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله [6] أصدق دليل على ذلك ،وهي أحوال تكرر حدوثها من قبل أشهرها ما كان

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج4 ،ص.140.

[2] عرفت صناعة الخمور انتشارا لها في كثير من المدن الأندلسية لعل أشهرها إشبيلية ؛حيث كانت تصنع سرا بسبب فتاوى الفقهاء على وجوب إقامة الحد عاصريها وبائعيها للمسلمين (أنظر: بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص ص .93،94).

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص . 388 .

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص.281.

[5] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.143.

[6] بن الأحمر ،**المصدر السابق** ،ص.6. ، المقري ،**نفح الطيب** ،مج4 ،ص.514.

مع صبح البشكنسية حظية الأمير الحكم المستنصر القرطبي ت366ه/976م [1] ،واعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد ت488ه/1095م بإشبيلية [2].

وكان لجمال مقاطعات غرناطة وغناها بمتطلبات الحياة من طيب هواء ونقاوة ماء ومحراث طيب أن جعلها سلاطين بني الأحمر متنزها لهم يقضون فيه أوقات الراحة ويستقبلون فيها من يرون فيه أهلا للتوقير من ذوي الوجاهة والشأن ؛من ذلك إقطاع السلطان محمد الغني بالله ت793ه/1390م قرية إلبيرة للمؤرخ الشهير عبد الرحمن بن خلدون ت 808ه /1406م مكافأة له على إتمام سفارة عقد الصلح بين غرناطة وملك قشتالة دون بطرة بن الهنشة بن أدافونش عام 765ه/1363م[3].

ويصف بن بطوطة ما كان بها من بساتين كثيفة ومتنزهات رائعة الأمر الذي جعله ينعتها بعروس الأندلس[4] .

وعرفت أيضا بقصورها الفخمة أشهرها قصر باديس بن حبوس الصنهاجي [5] الذي قال عنه المقري" أنه ليس ببلاد الأندلس و الكفر مثله فيما قيل"[6] ،وعنه قال بن الخطيب في إحدى قصائده :

عسى خطرة بالركب بأحادي العيس على الهضبة الشماء من قصر باديس

لنظفر من ذاك الزلال بعلة وننعم في تلك الظلال بتعريس [1]

---

[1] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.38 ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ،**الحلة السيراء** ،حققه وعلق حواشيه: د.حسن مؤنس ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1985م ،ج1 ،ص.204.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.110 ؛المقري ،**نفح الطيب** ،مج4 ،ص.272.

[3] بن خلدون ،**رحلة بن خلدون شرقا وغربا 1352 – 1401 هـ** ،عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي ،حررها وقدما لها: نوري الجراح، ط1 ،دارالسويدي للنشر والتوزيع ،أبوظبي ،2003م ،ص .124 .

[4] بن بطوطة ،**المصدر السابق** ،ص ص . 187 ،188 ؛ عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص. 134 .

[5] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،قسم الموحدين ،ص.343.

[6] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص .196 .

يليه في الفخامة قصر قلعة الحمراء الذي اتخذه السلطان الغرناطي محمد بن الأحمر ت671ه/1272م مركزا لحكمه وزاد فيه العديد من الأبراج المنيعة[2].

والشأن نفسه مع قصر القصبة العليا الذي أعجب بجمال عمرانه الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ت 500ه/1106م عام 483ه/1090م حيث أمر بالحفاظ عليه وذلك بعد أن طاف بأرجائه[3].

كما أنه من علامات الحياة الهنيئة بغرناطة أنها كانت حافلة بالأسواق أشهرها سوق العطارين[4] الذي كانت تشرف عليه عائلة عبد الله بن علي القيسي العرادي[5] والسوق الذي اختص بأواني المنزل وعرف بسوق الأطباق[6] وسوق الغزل [7] كانت هذه الأسواق في مجملها تشهد حركة تجارية نشيطة في معاملات البيع و الشراء يقصدها الكبير و الصغير الغني و الفقير على حد سواء[8].

زيادة على انتشار الحمامات بنوعيها العامة في الدور والخاصة في البيوت والتي توحي بعناية الغرناطيين بالنظافة من ذلك حمام الجامع الأعظم الذي بناه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ت518ه/1124م[9] ،وهي عادة أثرت عند أهل الأندلس بلغت درجة أن يفضل الواحد منهم أن يطوي يومه صائما ليبتاع صابونا يغتسل به على أن يرى بين الناس بمظهر غير لائق[10] ،هذه السمة نال منها الغرناطيون

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.486.

[2] عنان ،**الآثار الأندلسية** ،ص ص.189،190.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.353.

[4] القلقشندي ،**المصدر السابق** ، ج5 ، ص. 114.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.286 .

[6] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص. 119 .

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.325.

[8] بن الخطيب ،**مثلى الطريقة في ذم الوثيقة** ،ص.69.

[9] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.52.

[10] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.223.

حظهم ؛ذلك أنهم كانوا يرون أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة[1].

وتشكلت في المجتمع الغرناطي طبقة أرستقراطية على مر السنين اعتبرت نتاجا لتطور كبير ورقي اجتماعي مزدهر من ذلك ما ذكره بن الخطيب نقلا عن المؤرخ القرطبي الشهير أبو مروان بن حيان ت 469ه/1076م أنه كان يجتمع بباب مسجدها الجامع بإلبيرة خمسون حكمة[2] كلها من فضة لكثرة الأشراف بها[3].

زيادة على أنها عدت في العديد من السنين قبلة لمن تعرضت بلاده للأزمات كقدوم أحمد بن عبد الله بن محمد بن عرفة عليها في رفقة من قومه سنة 705ه/ 1305 بعد أن نزل بهم البلاء والغلاء[4] ،والأمر نفسه مع قاضي إشبيلية أبو بكر محمد بن فتح بن علي الأنصاري الشهير بالإشبرون ت698ه/ 1298م الذي لجأ إلى حاضرتها بعد سقوط بلده في يد القشتاليين أين عين محتسبا وصاحبا للشرطة مع تقديمه قاضيا بها طيلة ثلاثين عاما[5].

ولعل الحدث الاجتماعي الهام الذي شهدته غرناطة طيلة تاريخها هو وباء الطاعون الذي حل بها سنة 749ه/1348م حيث أدى بحياة عشرات الآلاف من أبنائها وعلمائها كالقاضي أبو القاسم محمد بن محمد بن عبد الحكيم اللخمي ت749ه/1348م[6].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.135.

[2] الحكمة حديدة توضع في فم الدابة أو حنكها لترويضها ومنعها من مخالفة راكبها (أنظر: بن منظور ،**لسان العرب** ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1374هـ/1955م ،مج 12 ،ص ص.143،144).

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.92.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.279.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص .138.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.266.

كما كانت أعمالها تشهد في بعض الفترات مايشبه المجاعات وهو ما أشار إليه بن الخطيب في رحلته رفقة السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف ت755ه/1354م لتفقد البلاد الشرقية منها حيث ذكر أن أهل قنتورية من أعمال ألميرية قدموا للسلطان و حاشيته أعز ما كانوا يملكون في ذلك الوقت هدية تمثلت في دجاجة جاءوا بها يزفونها كالعروس فوق الرؤوس[1].

الأوضاع الاقتصادية:

نعمت غرناطة بانتعاش اقتصادي كبير نظرا لما توفرت عليه من الأراضي الخصبة وما احتوت عليه من معادن مختلفة ؛فعن الأولى ذكر بن الخطيب أنها كانت أكثر إنتاجا للقمح والشعير حيث وصفها بأنها بحر من بحور الحنطة [2] والطعام [3] مع أنواع الفواكه المختلفة[4] كالتين [5] والتفاح الجلياني [6] والعنب المالقي الذي كان يباع منه ستة أرطال بدرهم صغير[7] ،إضافة إلى الجوز والقسطل[8] ،واللوز والزبيب[9].

---

1 بن الخطيب ،**مشاهدات لسان الدين بن الخطيب** ،ص.37.

2 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.96.

3 بن الخطيب ،**مشاهدات** ،ص.31.

4 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص .109 ؛ مجهول ،**الحلل الموشية** ،ص.91 .

5 الإدريسي ،**المصدر السابق** ،204 ؛بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.40.

6 المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص. 149 وما بعدها

7 بن بطوطة ،**المصدر السابق** ،ص.669.

8 الزهري ،**المصدر السابق** ،ص.94.

9 العمري ،**المصدر السابق** ،ص.234.

وأدت كثرة الأنهار بها[1] والمقدرة بخمسة وعشرون نهرا [2] دورا هاما في أن تفوق حقولها أربعين ميلا[3] وأصلها نهري شنيل وحدرة بحيث كانت تمر بين البساتين والمزارع[4] وكذلك في توفرها على ما يزيد عن مائة وثلاثين طاحونة تعمل بالماء[5].

أما عن المعادن فقد اشتملت على الذهب الأحمر الغالي الثمن مقارنة بمدن الأندلس الأخرى [6] والفضة والرصاص والحديد [7] ،منها ما استعمل في صك العملة وصناعة الحلي الحلي ومنها ما كانت تصنع منه الأسلحة وأدوات الفلاحة[8].

كما اشتهرت أيضا بصناعة الحرير[9] الذي كانت تصدر منه كميات كبيرة [10] والفخار والفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد[11].

وذكر بن الخطيب أن مداخيل غرناطة السنوية الزراعية والصناعية كانت تفوق خمسمائة وستون ألف دينار[12] كما أنه كان لوقوع مدنها على البحر المتوسط أن تعددت بها أنواع الأسماك والحيتان التي شكلت مصدر رزق وكسب لممتهني حرفة الصيد مع وفرة غذاء أساسي لأهل المملكة في الآن ذاته ولعل اشهر نقاط هذا النشاط الصناعي

---

[1] مجهول ،**الحلل الموشية** ،ص.91 .

[2] الزهري ،**المصدر السابق** ،ص.94.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.99.

[4] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص ص.215 ، 216 .

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.133 .

[6] الزهري ،**المصدر السابق** ،ص ص.95،96.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 98 .

[8] **نفسه** ،مج1 ،ص ص. 137 ،138 .

[9] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.217 .

[10] أبو الحسن القلصادي ،**المصدر السابق** ،ص ص.17 ،18 .

[11] القلقشندي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.219 ؛العمري ،**المصدر السابق** ،ص.234.

[12] بن الخطيب ،**الإحاطة**،مج1 ،ص.133.

التجاري مدينة مالقة التي عرفت بتصنيع الأسماك المملحة ،ناهيك عن صناعة السفن الحربية التي كانت ألمرية تحوي على دار لها كونها أول مراسي بلاد الأندلس الإسلامية التي تنطلق منها الحملات العسكرية لقتال النصارى[1].

[1] العمري ،**المصدر السابق** ،ص ص.232،233.

الفصل الأول

- التعريف بابن الخطيب ومؤلفاته

- دراسة لكتاب الإحاطة

التعريف بابن الخطيب:

1/مولده ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني[1] نسبه إلى موضع سلمان باليمن [2] الذي تنسب إليه بعض البطون القحطانية [3] وأصل بيتهم من اليمنية

---

[1] أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان** ،تح: محمد رضوان الداية ،ط1 ،دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت ،1967م ،ص. 58 ؛بن العماد الحنبلي ،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،د.ت.ط ، ج6 ،ص .244.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.22.

[3] أورد بن الخطيب أربع وعشرون بيتا من قصيدة طويلة يفتخر فيها بأصوله المشرقية (أنظر: **الإحاطة** مج4 ،ص ص.490،491).

الذين وفدوا إلى الأندلس على عهد الفتح الإسلامي و استقروا بقرطبة[1] وعندما قامت موقعة الربض الشهيرة كانت أسرته ممن غادرها رفقة الكثير من أسر الفقهاء ،فاستقر بها المقام بطليطلة [2] حيث لبثت بها قرابة قرنين من الزمن[3] ومنها إلى مدينة لوشة على إثر تعرضها لأطماع النصارى وحالة اللا استقرار التي باتت تشهدها ،فكان مولده بها عام 713هــ / 1313م[4] ،وسمي بلسان الدين وهو أحد الألقاب المشرقية [5] .

ويورد بن الخطيب البعض من الألقاب التي كان أجداده يعرفون بها قديما كبيت بني

الوزير[6] وحديثا بيني الخطيب [7] نسبة إلى جده سعيد [8] الذي كان يلقي دروس العلم ويعظ

ويعظ

الناس بأحد الأبراج الواقعة على الطريق الرابط بين غرناطة و إشبيلية[9].

وظاهرة التسميات المتعددة نجدها تتكرر في شخصية لسان الدين نفسه لاعتبارات مختلفة لها علاقة وطيدة بمسيرة حياته ؛منها تعدد المسؤوليات التي أوكلت إليه وتعرضه

---

[1] أحمد ابن القاضي المكناسي،**جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1973م ،ج1 ،ص.308.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.386.

[3] كارل بروكلمان ،**المرجع السابق** ،ص.335.

[4] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.10.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.439 ؛ المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.186.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.386 ؛ المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.186.

[7] شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ،د.ط ،دار الجليل ،بيروت ،1414ه/1993م ،ج3 ،ص.469 .

[8] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.8.

[9] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.387 ؛ المقري ،**نفح الطيب** ،ج5 ،ص.10.

للمحن بسبب حنق خصومه وأعدائه عليه نظرا لمكانته السلطانية والعلمية التي حسدوه عليها إضافة إلى ثرائه الذي اشتهر به[1].

ولعل أشهر الألقاب التي عرف بها لقب "ذو الوزارتين"[2] ويقصد به وزارتي القلم والسيف اللتين قلده إياهما السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج بن أبي الوليد بن نصر عام 763ه/1362م [3] ،يليها لقب" ذو الحياتين" أو "ذو العمرين" [4]؛ كونه أصيب في في أواخر سنين حياته بداء الأرق وهذا ما أشار إليه بقوله: " العجب مني مع تأليفي لهذا الكتاب – الوصول إلى حفظ الصحة من الفصول- الذي لم يألف مثله في الطب ،ومع ذلك لا أقدر على داء الأرق الذي بي"[5].

وقد استغل لسان الدين هذه الحالة التي ألمت به في الكتابة وفي تسجيل ملاحظاته على الأحداث التي كانت تشهدها الأندلس عامة جسدها في مؤلفاته العديدة التي سيأتي ذكرها لاحقا[6].

ويلقبه الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بنزيل فاس المقتول بها أدركته وخاطبته وخاطبني[7] ،كما أورد له المقري تسميات أخرى ذكر انه سمع الناس بالمغرب يتناقلونها

---

[1] بن الخطيب ،**نفسه** ،مج4 ،ص ص.343،344.

[2] لم يكن بن الخطيب أول من لقب بهذه التسمية بل سبقه إليها بعض نبهاء غرناطة كابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الرحمن بن محمد بن الحكيم اللخمي ت708ه/1308م الذي قلده إياها السلطان الغرناطي أبو عبد الله المخلوع (أنظر: **الإحاطة** ،مج2 ،ص ص.444،445).

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.452.

[4] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.80.

[5] بن الخطيب ،**ديوان الصيب والجهام والماضي و الكهام** ،دراسة وتحقيق د: محمد الشريف قاهر ،ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1973م ،ص.54 ؛المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.80.

[6] أنظر: ص- ص .64-70.

[7] بن الأحمر ،**المصدر السابق** ،ص.58.

كذي الميتتين وذو القبرين[1] نسبة لما وقع له عند موته من مآسي ومحن ارتكبت في حقه عجب الناس منها[2].

نشأته العلمية:

أخذ بن الخطيب منذ نعومة أظافره في طلب العلم فتلقاه عن شيوخ كثر بحكم أن مملكة غرناطة صارت ملتقى لزخم هائل من أصحاب العلوم بمختلف فروعها ،ناهيك عن كونه من عائلة لها صيت ذائع في حقل المعرفة [3] وشؤون السياسة ،ذلك ما ساعده على صقل مواهبه التي مافتئت تزداد تدفقا بمرور السنين [4].

ولعل من أبرز الذين تتلمذ على أيديهم الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الولي العواد [5] الذي أخذ عنه القران كتابة وحفظا[6] وظبط قراءته على الشيخ أبي الحسن القيطاجي[7]، ولازم الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الإلبيري بغية تحصيل علوم الفقه والتفسير نظرا لما عرف عنه من إمامة عالية في هذا الباب [8] ،ودرس الأدب على شيخه الرئيس صاحب القلم الأعلى أبو الحسن بن الجياب ت749ه/1348م[9] ،ولم يدع لسان الدين ضربا من ضروب العلم إلا خاضه أو بابا من أبواب العلماء إلا طرقه ،فحتى الطب وصناعة التعديل

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.80.

[2] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.709.

[3] بن القاضي ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.308.

[4] أشار بن الخطيب إلى ما بلغته مكانة جده سعيد بن عبد بن عبد الله ت683ه/1284م لدى السلطان الغرناطي محمد الثاني ت 701ه/ 1302م بقوله:" فنبه القدر وانفسحت الحظوة ، وانتاب البيت الرؤساء والقرابة .(أنظر: **الإحاطة** ،مج4 ،ص.441).

[5] أحمد بابا التنبكتي ،**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ،إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة ،ط1 ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1398ه/1989م ،ص.445.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص .457 ،458 ؛ المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص ص.383،384.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4، ص .104 ؛ المقري ،**نفح الطيب**،مج5 ،ص.507.

[8] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.355.

[9] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4، ص. 458.

كان له حظ وافر منهما حيث يقول أنه أخذهما عن شيخ عصره الإمام أبي زكريا بن هذيل1.

ومما زاد في علو شأنه التحاقه بديوان الإنشاء لدى دولة بني نصر على عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل على إثر وفاة أبيه عبد الله بن سعيد في موقعة طريف[2] ؛الذي ؛الذي كان يشغل منصب الإشراف على مخازن الطعام بالقصر الغرناطي لدى السلطان أبو الوليد إسماعيل النصري (713-725ه/1314-1325م) [3] ،فأبان عن براعة كبيرة في النظم والنثر إلى جانب تدبيج الرسائل السلطانية ودليله في ذلك كله شيخه أبو الحسن بن الجياب ت749ه /1348م الأمر الذي أهله لرئاسة الديوان بعد وفاته[4] ،وفي هذا الصدد الصدد يشير إلى أن معلمه قد استمر إلى آخر عمره رئيسا للجماعة التي قلما اجتمع مثلها[5].

لقد أصبح بن الخطيب في ظرف وجيز آمرا ناهيا ذا سلطة واسعة اكتملت معالمها باعتلائه الوزارة لدى السلطان أبو الحجاج يوسف ت755ه/1354م وهو لا يزال في ريعان شبابه ؛وفي ذلك يقول: "قلدني السلطان كتابة سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة"6 ،وجامعا بين خدمة القلم ولقب الوزارة [7] ،كما قوى

---

[1] **نفسه** ،مج4 ، ص.459.

[2] يقصد بها المعركة التي انهزم فيها جيش أبو الحسن المريني وإسماعيل بن الأحمر الغرناطي المشترك المتكون من نحو ستين ألف ضد جيوش النصارى بثغر مدينة طريف ،حيث كان وقعها قويا على مسلمي المغرب والأندلس (أنظر: المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص ص.14،15).

[3] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.261.

[4] بن الخطيب ،**ديوان الصيب و الجهام** ،ص. 55 ؛ بن حجر ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.130.

[5] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص .91.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص .443.

[7] **نفسه** ،مج2 ،ص17.

قوى نفوذه منشوره السلطاني الذي جاء فيه قوله: " وأطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه"[1].

ولقد زاد من مكانة بن الخطيب في دولة بني نصر أنه صار ساعدها القوي وأمينها الوفي الذي تحتمي به في أوقات الشدائد والمحن ؛نظرا لشخصيته القوية وبصيرته النافذة بما يدور حوله من أوضاع زمانه ،وهذا ما أشار إليه بقوله : "واستعملني السلطان في السفارة إلى الملوك واستنابني بدار ملكه ،ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صنوان ذخيرته وبيت ماله "[2] ،وذلك ما أكده بن خلدون بقوله "وانفرد بن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت إليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته[3] .

كانت أولى حركاته التي رفعت من شأنه لدى أهل غرناطة السفارة التي قام بها إلى

[1] **نفسه**، مج4 ،ص.443.

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص. 443.

[3] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.694.

الدولة المرينية 1 بأمر من السلطان الغرناطي محمد الخامس ت 793ه/1390م طلبا للعون[2] ضد أطماع مملكة قشتالة وذلك عام 756ه/1355م 3 ،ولدى مثوله بين يدي السلطان أبو عنان المريني ت759ه/1357م [4] أنشده قصيدة قال فيها:

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر

ودافعت عنك يد قدرته ماليس يسطيع دفعه البشر

ليس لنا ملجأ نامله سواك أنت الثمل والوزر

والناس طرا بأرض أندلس لولاك ما وطنوا وما عمروا

---

[1] قامت الدولة المرينية على إثر سقوط دولة الموحدين عام 668م/ 1269 م على يد الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني ت685ه/1286م الذي اتخذ من فاس عاصمة لحكمه والذي لبث في خلفه قرابة قرون شهدت خلالها الدولة العديد من الأحداث في سبيل ترسيم وجودها وتقوية نفوذها إلى أن سقطت سنة869ه/1464م (أنظر: علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1972 ،ص.307 وما بعدها ؛محمد بن غازي العثماني ،**المرجع السابق** ،ص. 75 ؛بن إدريس الكتاني ،**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ،د.ط ،فاس ،1316هـ ،ج3 ،ص.168.

[2] ظلت الدولة المرينية الساعد القوي الذي كانت تلجا إليه غرناطة كلما تعرضت لتحرشات النصارى لقربها الجغرافي منها زيادة على قوتها العسكرية الكبيرة بين سائر قوى بلاد المغرب الأخرى آنذاك ، وتعود أولى إرهاصات هذا التعاون إلى

عهد السلطانين أبو يوسف يعقوب المريني (668-685ه/1269-1286) و السلطان محمد الفقيه (671-701 ه /1272-1301م) ؛أين تم تحطيم الأسطول القشتالي عام678 م/1279م ومن بعده إبعاد النصارى إلى ما وراء نهر الوادي الكبير واستمر هذا التعاون إلى عهد أبي الحسن المريني وخلفائه من بعده رغم ظهور بعض الخلافات التي كانت تمليها المصالح الشخصية في العديد من المناسبات (للمزيد أنظر: بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.45؛ بن خلدون ،**العبر**،ج7 ،ص.240؛ بن أبي زرع ،**المصدر السابق** ،ص-ص.326-334؛ المقري ،**نفح الطيب** ،مج1،ص.506 ،السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص .19).

[3] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.206.

[4] هو المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المكنى بأبي عنان ،ولد عام 729ه/1330م ،بويع بتلمسان بعدما بلغه نبأ غرق أبيه أبو الحسن المريني ت752ه/1353م مع أسطوله قبالة ساحل بجاية ،مات خنقا على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759ه/1360م (أنظر: إسماعيل بن الأحمر ،**روضة النسرين في دولة بني مرين** ،تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط3 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1411ه/1991م ،ص.36 وما بعدها).

وقد همتهم نفوسهم فوجهوني إليك وانتظروا [1]

فما كان من السلطان المريني إلا أن أجاب تطلعاته بقوله: " لن ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم"[2].

اعتبرت هذه السفارة الناجحة في حياة بن الخطيب بمثابة المنعرج الحاسم الذي حدد مسيرته السياسية والعلمية التي ما فتئ يتألق فيهما بمرور السنين والأيام العصيبة التي شهدها موطنه ،فعن الأولى كان لاحتكاكه بوزراء المملكة وسفراء الدول دور كبير في اتساع نظرته لدواليب الحكم وفهم ما كانت عليه أحوال الأمم أوقات السعة والضيق ،أما العلمية فتتجلى في مؤلفاته المختلفة التي توالى صدورها لأعوام متتالية جاءت في أغلبها كعصارة تجارب لمن سبقوه من أهل العلم ؛فقهاء وأدباء كانوا أو قضاة سواء ممن تيسر لهم الاجتماع بهم أو تسنى له الإطلاع على مؤلفاتهم فيما بعد ؛كمعاصره بن مرزوق التلمساني والقاضي عياض المالكي ت 544ه/1149م[3] الذي اضطلع على أغلب مؤلفاته [4].

غير أن الأحداث الخطيرة التي شهدتها غرناطة سنة 760ه/1358م وذلك باستيلاء الأمير إسماعيل بن الأحمر على الحكم [5] كان لها تأثير بليغ على حياة بن الخطيب ،فقد

---

[1] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.206.

[2] السلاوي ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص.96.

[3] هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ،إمام وقته في علوم الحديث والنحو وكلام العرب وأنسابهم ،ولد بسبتة عام 476ه وتوفي بمراكش سنة 544ه ،له تصانيف عدة منها كتاب **الإكمال في شرح كتاب مسلم** وكتاب **مشارق الأنوار** وكتاب **التنبيهات** (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص.152 وما بعدها).

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.228.

[5] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ج2 ،ص. 311.

صودرت أملاكه [1] وألقي في السجن إلى أن غادره إلى المغرب سنة 761ه/1359م[2] بعد شفاعة السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني ت 762ه/ 1360م فيه رفقة سلطانه محمد الخامس الغني بالله ت 793ه/1390م [3].

وعند وصولهما إلى فاس مركز السلطنة المرينية ألقى بن الخطيب قصيدة من ثمانين بيتا اشتملت على التذكير بأمجاد المرينيين وبلائهم الحسن في الذود عن الدين وفي الآن ذاته يطلب من السلطان أبو سالم المريني ت762ه/1360م نصرة سلطان غرناطة المخلوع ،وإعانته على استرجاع حكمه؛ ومما جاء فيها قوله:

قصدناك يا خير الملوك على النوى   لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر

كففنا بك الأيام عن غوائلها   وقد رأينا منها التعسف والكبر

وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى   ولذنا بذاك العزم فانهزم الشر

ولما أتينا البحر يرهب موجه   ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر

ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا   بيالمرين جاءه العز والنصر

مرامك سهل لاتؤودك كلفة   سوى عرض ما انله في العلى خطر[4] .

استولى لسان الدين بهذا النظم على سامعيه فأبكاهم تأثرا على حد قول بن خلدون[5] الذي كان يشغل منصبا ساميا لدى المرينيين[6] ،وعن هذا الموقف يقول لسان الدين :" فهاج

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص .443.

[2] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.110ومابعدها.

[3] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.652 ؛بن حجر العسقلاني ،**إنباء الغمر بأنباء العمر** ،تح :حسن حبشي ،د.ط ،لجنة إحياء التراث ،القاهرة ،1389ه/1969م ،ج1 ،ص.92.

[4] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ج2 ،ص.313 .

[5] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.307.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.498.

فهاج الامتعاض وسالت العبرات ،وكان يوما مشهودا وموقفا مشهورا طال به الحديث وعمرت به النوادي" [1].

كانت الأيام التي قضاها بن الخطيب بالمغرب حافلة بالأحداث ؛فقد أقطعه سلطانها الدور والأراضي بمدينة سلا [2] وأعانه على استرجاع أمواله التي صودرت ببلده[3] ،كما استغل أوقات فراغه في التأليف والتنقيح والعمل الجاد المعروف به ؛فصدرت عنه بذلك مؤلفات عديدة ككتاب "**اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية**" و"**كناسة الدكان بعد انتقال السكان**" و"**نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب**"[4].

وبقي بن الخطيب بسلا يتقلب في العيش الرغد والحياة الهنيئة إلى أن دعاه السلطان محمد الخامس الغني بالله إلى اللحاق به إلى غرناطة بعد استعادته لحكمه عام 763 ه/1361م[5] ،وكان هذا بعد أن اعتذر له وزيره بإعفائه من الخدمة بهدف التفرغ للعبادة وأداء فريضة الحج[6] ،وأمام إصراره على قراره أعطاه سلطانه عهدا مكتوبا بأن لا يمسكه يمسكه أكثر من عامين[7].

ازداد نفوذ لسان الدين بعد عودته إلى غرناطة شيئا فشيئا حتى صار الآمر الناهي دون منازع نظرا لحنكته وبصيرته النافذتين في شؤون السياسة ،الآمر الذي جعله عرضة للدسائس والمكائد التي بات أعدائه وحساده من مقربيه يتفننون فيها[8] وعلى رأسهم تلميذه

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.29.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.100.

[3] السلاوي ، **المصدر السابق**، ج4، ص .32.

[4] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص ص.189،190.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ، مج4،ص.448 وما بعدها.

[6] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1401ه/1981م ،مج2، ص.112.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.445.

[8] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.694.

أبو عبد الله بن زمرك[1] والقاضي أبو الحسن النباهي [2] ،وذلك بتأليب السلطان محمد الخامس عليه وتشكيكه في نواياه[3] وهي الأمور التي أحس بها لسان الدين وجعل يبحث لها لها عن حلول بدءا بطلب إعفائه من منصبه[4] ،وصولا إلى طلب اللجوء لدى سلطان المغرب عبد العزيز المريني الذي أسعفه على ذلك فجاز إلى جبل الفتح [5] ومنه إلى سبتة في جمادى الثانية سنة 773ه/1371م حيث استقبله بحفاوة تليق بأمثاله من الكبراء[6].

كان أول عمل قام به بن الخطيب بموطنه الجديد أن بعث برسالة إلى سلطان غرناطة الملبس عليه يشرح له فيها سبب ما أقدم عليه وأن ذلك لم يكن بمحض إرادته بل بإيعاز من حساده وخصومه ويذكره بالسنوات التي قضاها في خدمة وطنه والتي لم يبخل فيها عن بذل النفس والنفيس من أجله ،وأنه لن يفقد بفعلته تلك الكثير مقارنة بما ستخسره غرناطة وسلطانها لقاء جفائهم لوزيرها المحنك ولا أدل على ذلك من قوله" إنما كان بن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت ،وتركت الأزهار تفوح والمحاسن تلوح "[7].

راح خصوم بن الخطيب يبحثون له عن أية زلة أو مأخذ ويستغلون أية هفوة أو مطلب علهم يشفون صدورهم ويحققون مآربهم في القضاء عليه ومحاولة طمس مكانته

---

[1] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج2 ،ص.11.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.103.

[3] **نفسه** ،مج5 ،ص.101.

[4] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ج2 ،ص.317.

[5] أطلق الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي هذه التسمية على جبل طارق عام 555ه/1160م وذلك لكون تلك المنطقة المنطقة[5]

القريبة من الثغور البحرية عدت منطلقا للحملات العسكرية للجيوش الإسلامية نحو الأندلس (أنظر: عبد الله السويسي ،**تاريخ رباط الفتح** ،تقديم: محمد حجي ،د.ط ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ،الرباط ،1399ه/1979م ،ص ص.51،52).

[6] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.103 ؛ أنظر كذلك : محمد كرد علي ،لسان الدين بن الخطيب ،مجلة المقتبس ،إشراف محمد يوسف نجم ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،1352ه/1907م ،مج2 ،ص.507.

[7] بن خلدون ،**رحلة ابن خلدون شرقا وغربا** ،ص.152.

وآثاره ، وحامل ذلك قاضي الجماعة أبو الحسن النباهي الذي تنكر لحسن صنيع بن الخطيب معه [1] ،وراح يلفق له التهم ويحيك حوله الأكاذيب ويأول الأقاويل كالإسراف في الدور والضياع وإحجامه عن الجهاد في سبيل الله ضد النصارى والأخطر من ذلك كله إتهامه بالإحداث في الدين والقدح في الموتى في بعض مؤلفاته[2] ،خصوصا كتابه" **روضة التعريف بالحب الشريف**" الذي ألفه عام 769ه/1367م[3] ؛الذي ضمنه الحديث عن عقيدة أصحاب الاتحاد والحلول وأقاويل النصارى الفاسدة في ألوهية عيسى عليه السلام وتأويلات الفلاسفة ومقالات الصوفية وشطحات غلاتهم وأعاب عليه ذكرها وعدم التعليق عليها وكأنه رضي بما فيها مسايرة لأهلها ومداراتهم وجمل ذلك كله في رسالته التي بعث بها إليه سنة 773ه/1371م[4].

لم يستغرب بن الخطيب تلك التهم خصوصا وأنها صدرت عن الذين كانوا بالأمس القريب يتوددون إليه طلبا للقرب منه ومجالسته بغية منافسته ،فرد عليهم بدوره من خلال مؤلفيه: "**الكتيبة الكامنة**" و"**كتب أعمال الأعلام**" ؛حيث شرح في الأول سوء فهم خصومه لما كتب وتلاعبهم بسلطان غرناطة وتأليبه عليه،داحضا بذلك التهم المنسوبة إليه التي لم تظهر إلى الوجود على حد زعمهم إلا بعد أربع سنوات من تأليفه للكتاب الذي حكم عليه فيه بالزندقة[5].

---

[1] المقري،**أزهار الرياض**، ج1،ص.211.

[2] أبو الحسن النباهي ،**تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** ،ضبط وشرح وتعليق وتقديم مريم قاسم الطويل ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415هـ / 1995 م ،ص.202 ؛ وأنظر ما جاء في الرسالة: المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.212 وما بعدها.

[3] بن خلدون ،**العبر**،ج7 ،ص.341.

[4] المقري ،**نفح الطيب**،ج1 ،ص.66 وما بعدها.

[5] بن الخطيب ،**الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة** ،تح: إحسان عباس ،ط1 ، ،ص.146 ؛ص.507.

وفي الثاني أرخى قلمه في النيل ممن ناصبوه العداء واضطروه إلى الفرار عن وطنه أولهم النباهي الذي نعته بأبشع الأوصاف كالجعسوس الذي معناه القزم الذميم ،بالإضافة إلى رسالة سماها "**خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن**" أنزله فيها إلى أرذل الدرجات[1].

لم يهنأ لسلطان غرناطة بال دون القضاء على لسان الدين فأرسل بدوره إلى السلطان عبد العزيز المريني طلبا بتسليمه[2] غير أنه قوبل بالرفض مخاطبا إياه بقوله:" هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه"[3] ،والأمر نفسه قام به مع الوزير أبو بكر بن غازي بعد وفاة السلطان عبد العزيز سنة 774ه/1372م[4] ،كونه صار وصيا على الصغير أبو زيان محمد السعيد فكان رده كسابقه[5].

وبقي الأمر على حاله إلى أن قامت ثورة بالمغرب استولى فيها على الحكم أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني سنة 776ه/1374م[6] ،حيث أقدم على سجن بن الخطيب ردا على محمد الغني بالله الذي سانده في ثورته[7] فأرسل بدوره وفدا إلى حضرة

حضرة

---

[1] بن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ،ص _ص .80،78.

[2] المقري ،**نفح الطيب**، مج5،ص.103.

[3] **نفسه** ،مج5 ،ص.103.

[4] بن حجر ،**إنباء الغمر** ،ج1 ،ص.92.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص.105.

[6] بن الأحمر ،**روضة النسرين** ،ص. 34.

[7] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.341.

فاس يترأسهم بن زمرك [1] حاملين التهم المنسوبة إليه وعلى رأسها الزندقة [2] التي أخذت حظها الوافر من تلك المحكمة الصورية المحسومة نتيجتها ؛إذ امتحن بالعذاب أمام الحضور ثم أعيد إلى سجنه[3] بعد أن أفتى بعض أشباه الفقهاء بقتله[4] ،ومن ثمة بعثوا إليه من قتله خنقا بمحبسه ليلا [5].

وبعد دفنه نبش قبره وأخرجت جثته أين تم حرقها[6] ليعاد بعد ذلك إلى قبره [7] بمقبرة بمقبرة فاس فوق بابها المعروف بباب المحروق[8].

أدرك بن الخطيب قرب نهايته وأن الجميع تنكروا له فأطلق العنان لأحاسيسه التي أجملها في أبيات يرثي فيها حاله:

بعدنا وان جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك الوزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس على عصره ،ولاه السلطان محمد الغني بالله الغرناطي كاتم سره ثم عزله ليعود بعدها إلى منصبه ،سعى إلى الإطاحة بأستاذه لسان الدين الذي تتلمذ على يديه إلى أن قتل خنقا ،أساء بعده إلى رجال الدولة مما حملهم على قتله رفقة أبنائه وخدمه ،له أشعار وموشحات جمعها بن الأحمر في مجلد كبير (أنظر: محمد شفيق غربال ،**الموسوعة العربية الميسرة** ،د.ط ،دار الشعب ومؤسسة فرانكلين روزفلت للطباعة والنشر ،القاهرة ،1965م ،ص.17).

[2] بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان** ،ص.243.

[3] بن القاضي ،**المصدر السابق** ،ج1،ص.311.

[4] بن حجر ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.92.

[5] بن العماد الحنبلي ،**المصدر السابق** ،ج6 ،ص.246.

[6] لم يكن بن الخطيب أول من فعلت به هذه الفعلة الشنيعة بل سبقه إليها العديد كما هو حال مسلم بن سعيد التنملي ت698هـ /1298م الذي نبش قبره وأحرقت جثته بغرناطة نقمة من ثالث سلاطينها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ؛والأمر نفسه حدث لأبي فارس عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي الذي مات خنقا بسجن فاس سنة 697ه/1297م (أنظر: بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.330،331 ؛ مج4 ،ص.26).

[7] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.709 ،بن حجر ،**إنباء الغمر** ،ج1 ،ص.92.

[8] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5،ص.111.

وكنا عظاما فصرنا عظاما		وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا شموس سماء العلى		غربنا فناحت علينا السموت

فقل للعدى ذهب بن الخطيب		وفات ومن ذا الذي لا يفوت

فمن كان يفرح منهم له		فقل يفرح اليوم من لا يموت[1]

أوصافه وما قيل عنه:

نالت شخصية وزير غرناطة الفذ إعجاب الكثيرين سواء من الذين عاصروه أو ممن اهتموا بتاريخ تلك المملكة الفتية التي استطاعت على حين من الزمن أن تحافظ على جزء هام من تراث الأندلس الحافل بالانجازات عن طريق تضحيات الكثيرين في سبيل إيصال رسالة الإسلام الداعية إلى التألق في شتى مجالات الحياة ،ومن بين ذلك الكم الهائل من الشعراء والكتاب يمكن الاقتصار على أوصاف البعض من المشاهير من ذلك:

ما قال فيه علي بن محمد بن علي بن البنا ت750ه/1349م عند تقلده منصب الكتابة العليا:

هو العلا جرى باليمن طايره		فكان منك على الآمال ناصره

ولو جرى بك ممتدا إلى الأمل		لا عجز الشمس ما أمت عسا كره

هل أنت إلا الخطيب بن الخطيب		ومن زانت حلى الدين والدنيا مفاخره

فان يقصر عن الأوصاف ذو أدب		فما بدا منك في التقصير عاذره[2]

---

[1] بن خلدون ،**العبر** ،ج7 ،ص.709.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص.167،168.

وقال فيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك قبل أن يتكدر صفو العلاقة بينهما :

أمنجد أمالي ومنفق كاسدي ومصدر جاهي والحديث كبير

أأنس ولا أنس مجالسك التي بها تلتقيني نضرة وسرور

نزورك في جنح الظلام وننثني وبين يدينا من حديثك نور[1]

وخاطبه في إحدى الرسائل بقوله "...أبو معارفي وولي نعمتي ومعيد جاهي ومقوي كمالي ،ومورد آمالي ممن توالى نعمه علي ،ويتوفر قسمه لدي ...فماذا أقول فيمن صار مؤثرا إليا بالتقديم ،جاليا صورة تشريفي بالإنتساب إليه في أحسن التقويم ..."[2].

وقال عنه بن خلدون ت808ه/1406م " بأنه إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية غير مدافع"[3].

ووصفه بن قنفد القسنطيني بقوله : شيخنا الفقيه الكاتب الشهير الذي سمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة[4].

ونعته الأمير الغرناطي إسماعيل بن الأحمر بكاتب الأرض إلى يوم العرض...وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين بالإطلاع على العلوم العقلية والامتناع بالمفهوم النقلية[5].

ووصفه المقري بقوله: "فارس النظم والنثر في ذلك العصر ،والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر ،كيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر ،ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر"[1].

---

[1] إسماعيل بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان** ،ص ص.153،154.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص ص.313،314.

[3] بن خلدون ،**المقدمة** ،ط1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1424ه/2003م ،ص.620.

[4] أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفد القسنطيني ،**الوفيات** ،حققه وعلق عليه :عادل نويهض ،ط4 ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1403ه/1983م ،ص ص.370،371.

[5] بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان** ،ص ص.58،59.

وزاد على ذلك في مناسبة أخرى:" لسان الدين إمام هذه الفنون ،المحقق لذوي الآمال الظنون، المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف أجناسها والألفاظ الرائقة التي تزيح وحشة الأنفس بإيناسها" ،ومن شعره فيه قوله:

ليت شعري أي العبارات توفي — واجب ابن الخطيب مما أروم

وأنا عاجز عن البعض منها — لقصوري وما العيي ملوم

وهو يدعى لسان دين وناهيك — افتخارا به تتم الرسوم

فبأي الحلى أحلي علما نال — فضلا روته عرب وروم

ألحفظ قد ارتوى من معين — لصواب عليه كان يحوم

أم لفهم يستخرج الدر غوصا — من بحار يخشى بها من يعوم

أم لفكر مؤلف في فنون — عن دهاء به تداوي الكلوم[2].

ونظم فيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور :

فخر الوزارة الذي ما مثله — بدر علا في مغرب أو مشرق

ومذ أرانيه زماني لم أبل — من صرفه بمرعد أو مبرق

لا سيما منذ حططت في حمى — مقامه الأمنع رحل أيقني

أيقنت أني في رجائي لم أخب — وأن مسعى بغيتي لم يخفق [3]

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.70.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1،ص.113 ومابعدها.

[3] **نفسه** ،مج6 ،ص.81.

كما مدحه قرينه في العلم بن مرزوق التلمساني عند لقياه إياه بفاس :

يا قادما وافى بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح

هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها تنل المنى وتفز بكل سماح

مغنى الإمام أبي عنان بمنن تظفر ببحر في العلى طفاح

من قاس جود أبى عنان ذي الندى بسواه قاس البحر الضحضاح[1].

وقال فيه كذلك أبو يحي محمد بن أحمد بن الأكحل ت 767ه/1365م:

أشرف من حظ الملوك على التقى وأبدى لهم نصحا وصية مرشد

وساس الرعايا الآن خير سياسة مباركة في كل غيب ومشهد

وأرض عن دنياه زاهدا وإنها لمظهرة طوعا له عن تودد [2]

ونجد المدارس الغربية بدورها تولي شخصية بن الخطيب اهتماما خاصا شبيه نوعا ما بالذي ناله العلامة عبد الرحمن بن خلدون ت808ه/1406م ؛مثلها ما يعرف بالمستشرقين الذين تتبعوا كل كبيرة وصغيرة لها علاقة بالمسلمين لقرون عديدة خصوصا ما تعلق بتاريخ إسبانيا ،ولعل أشهرهم كارل بروكلمان وجونثالث بالنثيا وفرانشيسكو كوديرا وماريانو جسبار رميرو Mariano Gaspar Ramiro صاحب كتاب تاريخ مرسية الإسلامية historia de Murcia musulmana ومؤسس مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها Centro de estudios historicos de Granada y su Reino.

1 بن الخطيب ،**الإحاطة**، مج3،ص .107.

2 **نفسه** ،مج3 ،ص.205.

فقال عنه كارل بروكلمان:" تستطيع هذه الإمارة الصغيرة – إمارة بني الأحمر- أن تفتخر أيضا بمؤرخ كبير اضطربت حياته واختلفت عليه الأحوال بعد نعمة وبؤس ؛فهو يمثل أحسن تمثيل الحياة السياسية القلقة في هذه الدولة الهزيلة خلال القرن الرابع عشر"[1].

وقال عنه بالنثيا في كتابه **تاريخ الفكر الأندلسي**: "أن كتابة تاريخ الغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر ميلادي تبلغ ذروتها باسمين كبيرين ؛هما بن الخطيب المؤرخ المتفنن والسياسي الأديب وبن خلدون منشأ فلسفة التاريخ ،لكن بن الخطيب يسمو على جميع كتاب عصره بشخصيته الفذة ومؤلفاته الكثيرة ؛إذ كان شغوفا بالعلوم الطبية والفلسفية التي درسها على شيخه الطبيب يحي بن هذيل"[2].

أما روميرو فقد اعتنى بمتابعة أعمال بن الخطيب أبرزها ترجمته لعدد من الرسائل التاريخية التي وردت في كتابه **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** إلى الإسبانية تحت عنوان correspondencia diplomatica entre Granada y Fes en el siglo xiv المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر[3].

---

[1] بروكلمان ،**المرجع السابق** ،ص ص.335،334.

[2] آنخل جانثالث بالنثيا ،**تاريخ الفكر الأندلسي** ،نقله عن العربية حسين مؤنس ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،د.ت.ط ،ص.251 وما بعدها.

[3] عن هذه الرسائل أنظر: Ramiro: revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino, Granada,1913,tome.4 ,p-p.247-248 ,p-p.258_274.

مؤلفات بن الخطيب:

لعله إذا جيء لدراسة مؤلفات لسان الدين التي جادت بها قريحته يجد القارئ نفسه مشدود الاهتمام أحيانا وشارد الذهن أحيانا أخرى نظرا لذلك الكم الهائل والغزير من المعلومات المتنوعة في كتاباته المختلفة ؛منها ما هو متعلق بالحوادث التاريخية ومنها ما له صلة بدواليب الحكم ومنها ما يتعلق بالإبداع الفكري في مجالات مختلفة شكلت في مجملها تراثا متنوعا أعطى صورة جلية على أحوال المغرب والأندلس عامة ،المظطربة الأوضاع في مناسبات مختلفة ومن أبرز تلك المؤلفات نجد:

1) **طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر**[1]: وهو مؤلف شهير كتبه بن الخطيب ليعرف بملوك غرناطة من سلالة السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الخزرجي (591-671ه/1194-1272م) ؛بين فيه سيرة كل واحد منهم وأعماله التي اشتهرت بها ،كما هو حال الأمير أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف (677-725ه/1278-1324م) الذي شهد عهده اضطرابات داخلية سببها المؤامرات والدسائس كتلك التي جرت بينه وبين صاحب مالقة ،ناهيك عن ثورة الأشياخ بغرناطة[2] ؛استعان به في الإحاطة مرات عديدة كحديثه عن وفاة السلطان الغرناطي محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ت701ه/1301م[3].

2) **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**[4]: يعد من أهم الكتب التي ألفها بن الخطيب بعد كتاب الإحاطة من حيث القيمة والشهرة وغلبة اهتمام صاحبه به مقارنة بسائر مؤلفاته التاريخية والأدبية الأخرى ؛نظرا لما حواه من الوثائق التاريخية الهامة المتعلقة بانجازات سلاطين بني نصر ،منها ما يصب في باب الجهاد والدفاع عن حرمة مملكة

---

[1] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.190 ،أحمد بابا التنبكتي ،**المصدر السابق** ،ص.446.

[2] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية** ،ص.78 وما بعدها.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.566.

[4] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1،ص.189.

غرناطة وأهلها وقدرتهم على كسب ود أمراء المسلمين وملوك قشتالة في الآن ذاته والتي كانت تدبج على يد لسان الدين كتلك التي بعث بها السلطان أبو الحجاج يوسف الغرناطي إلى بيدرو الثاني ملك قشتالة رفقة الأمير أبو الفضل محمد بن أبي الحسن المريني ،يمنيه فيها بمساعدته على محاربة أخيه السلطان أبو عنان المريني ومنازعته لعرش دولته[1] ،غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع وذلك بالقضاء على أبي الفضل عام 755ه/1354م [2] ،وقابله في الحين ذاته الحنكة في التملص من الحادثة السابقة الذكر من قبل السلطان الغرناطي عبد الله محمد بن أبي الحجاج الذي بعث إلى أبي عنان برسائل ثلاث احتوت على الاعتذار ومحاولة تبرئة الذمة ومذكرا إياه بما بين الدولتين من أواصر المودة والأخوة والمصير المشترك ،وكذلك رسالته إلى سلطان المغرب عام 756ه /1355م يراجعه في عيسى بن الحسن بن أبي منديل الذي ثار بجبل الفتح وقبض بعدها وسجن بفاس ؛نوه فيها بخصال السلطان المذكور وما عرف عنه من عفو وسعة خاطر وقدر سلفه من سلاطين بني مرين[3] ،والشأن ذاته مع بن مرزوق التلمساني يستشفع له بحضرة سلطان فاس[4] ،هذا بالإضافة إلى مخاطبات بن الخطيب إلى أصحاب المناصب والهيئات من أمراء وولاة مقاطعات ناهيك عن مراسلاته الشخصية لأصدقائه.

3) **الإكليل الزاهر فيما ندر عن التاج من الجواهر**[5] : هو من مؤلفات بن الخطيب الصغرى ،ذكره في مناسبات عدة في كتاب الإحاطة عند تعريفه بالشخصيات كما هو

---

[1] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب** ،ج1 ،ص.135.
[2] **نفسه** ،ج1 ،ص.143.
[3] **نفسه** ،ج1 ،ص.235 وما بعدها.
[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.342 وما بعدها.
[5] بن حجر ،**إنباء الغمر** ،ج1 ،ص.92.

حال محمد بن محمد بن حزب الله الوادي آشي[1] وأحمد بن صفوان القيسي المالقي ت 705هـ /1305م[2].

4)**التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى**[3] : يعد هذا الكتاب مختصرا لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها في القرن الثامن هجري – الرابع عشر ميلادي كالقاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن شبرين ت 747 هـ /1346م والفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبي ت 758 هـ /1356م، والأمر نفسه مع أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المعروف بابن اليتيم [4].

5) **رقم الحلل في نظم الدول** [5]: قال عنه بن الخطيب أنه ألفه على شكل الرجز الرجز ، تعرض فيه إلى أوصاف سلاطين بني الأحمر ومدح مناقبهم كالأمير محمد بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية الذي نظم فيه :

أول أملاكهم محمد وهو الأمير الغالب المؤيد
قام وشمل الدين في شتات والروم تستولي على الجهات
فنعش الدين به لما عثر ونظم السلك وقد كان انتثر
واحكم السلم سريعا وعقد وصارت الذناب ترعى والنقد [6]

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.367.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.381.

[3] المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص.97 ؛إسماعيل باشا البغدادي ،**إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،د.ت.ط ،مج1 ،ص.210.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.98.

[5] بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان** ،ص.61 ؛المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.190 ؛بن قنفد ،**المصدر السابق** ،ص.371.

[6] بن الخطيب ،**رقم الحلل في نظم الدول** ،د.ط ،المطبعة العمومية ،تونس ،1316ه ،ص ص.108،109.

6)الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة [1]: هو إحدى مؤلفات الهامة والتي تعد من المصادر القليلة التي أشارت إلى بقايا شعراء الأندلس في عصر بن الخطيب والذين إلتقاهم بنفسه ؛شرع في تأليفه في جمادى الآخرة من عام 774هـ / 1372م وهو عبارة عن تقرير أهداه إلى أهل المشرق ،عرف فيه بالعديد من شعراء الأندلس الذين عاصرهم والذين بلغ عددهم ثلاثة أشخاص ومائة كالخطيب الشيخ أبو زيد خالد بن خالد الونالشي ،والخطيب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي العاص التنوخي والشيخ الكاتب أبو القاسم الخضر بن أحمد بن أبي العافية ت 745 هـ / 1344 م وذلك بقوله: "وسميت هذا الوضع بالكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،يستدل به من يباشره على نيل من كنا نعاشره ،ويقف من يدارسه على فضل من كنا نمارسه [2]".

وقد يكون تأليفه لهذا الكتاب هو رغبته في إعادة النظر في قيمة بعض الرجال الذين انقلبوا عليه وتنكروا لجميله معهم كالقاضي على بن عبد الله بن الحسن النباهي الملقب بالجعسوس والذي يقول عنه : " أطروفة الزمن التي تجل غرائبها عن الثمن وقرد شارد من قرود اليمن ذنبا وأحداقا وفروة وأشداقا وخبثا و سلاحا " [3] ،وكان قد ألف فيه كتاب سماه " **خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن**" [4] ،والأمر نفسه مع أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك الذي يقول عنه: "هذا الرجيل والتصغير وعلى أصله وان لم يعب السهم صغر نصله ، مخلوق من مكيدة وحذر ،ومفطور اللسان على هذيان وهذر

---

[1] أورد المقري تسمية هذا الكتاب **بالكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة** (أنظر: **نفح الطيب** ،مج7 ،ص.97).

[2] بن الخطيب ،**الكتيبة الكامنة** ،ص.13.

[3] **نفسه** ،ص.146.

[4] المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص.101.

،خبيث أن شكر ،خدع ومكر ،ودس في الصفو والعكر ،وإن رمى واقصد فالله أعلم بما قصد"[1].

والكتاب في مجمله يعطي للدارسين في مجال الأدب والشعراء صورة جلية عن أدباء القرن الثامن هجري بالأندلس واتجاهاتهم الشعرية.

7)**كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**[2] : يعد هذا الكتاب من المؤلفات التاريخية الشهيرة التي كتبها بن الخطيب وهو بعيد عن وطنه غرناطة ،وتكمن أهميته في الأحداث والمعلومات التاريخية التي حفل بها ؛فرغم أن سببه الرئيس كان صد محاولات الانقلاب التي كانت تهدد استقرار البلاط المريني على إثر وفاة السلطان عبد العزيز المريني سنة 774هـ /1372م ومحاولة وزيره أبو بكر بن غازي المحافظة على السلطة في يد ولي عهده السلطان سعيد الذي لم يكن سنة قد تجاوز الخمس سنوات ،إلا أن لسان الدين أخذه شجون الكلام في جوانب عديدة من تاريخ الإسلام سواء في بلاد المغرب والأندلس أو المشرق معا حيث يكشف لنا هذا المعجم التاريخي عن الكثير من الحوادث التي شهدها العالم الإسلامي مشرقا ومغربا طيلة مراحل مختلفة دون أن ينسى إفراد سلاطين بني نصر الذين خدمهم رفقة عائلته لسنوات عديدة [3].

8) "**روضة التعريف بالحب الشريف**"[4]: يتعرض هذا الكتاب إلى الزهد وأحوال أهله ، ومختلف العبارات ذات الصلة بالتصوف كالمريد والغوث وشيخ الطريقة زيادة على تصورات عدة كماهية العبودية وحديث على طريقة أهل الوحدة المطلقة وهي الأمور

---

[1] بن الخطيب ،**الكتيبة الكامنة** ،ص.282.

[2] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.190 ،أحمد بابا التنبكتي ،**المصدر السابق** ،ص.446.

[3] **نفسه** ،ص.287 وما بعدها.

[4] بن الأحمر ،**نثير فرائد الجمان** ،ص.60.

التي استغلها خصومه في الحنق عليه وفي السعاية لدى سلطان غرناطة محمد الغني بالله من تشهير وتهم ملفقة حول انتقاصه للموتى [1].

ورغم أن تأليف هذا الكتاب كان محاولة رد على ديوان الصبابة لأبي العباس أحمد بن يحي التلمساني الشهير بابن أبي حجلة ت776ه/1374م إلا أن لسان الدين أخذه شجون الكلام في سرد الأقاويل والأطروحات التي لها علاقة بالعبودية والروحانيات.

9) **المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية**"[2]: ألفه للسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز ؛سرد فيه عبقرية سلفه وما امتازوا به من شرف وعلو شان ،وكان ذلك محاولة للرد عن من جاهروا بعداوة سلفه والقادحين في فخره.

1/ تسمية الكتاب:

ثمة خلاف طفيف حول إسم هذا الكتاب علي حسب ما ورد في مخطوطاته المختلفة ؛فمنها من تسميه كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة** " كدار الكتب المصرية ومخطوطة جامع الزيتونة بتونس[3] ،ومنها التي تسميه " الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة"[4] أو "**الإحاطة في تاريخ غرناطة** " كما هو حال مكتبة سان لورنزو الملكية بالإسكو ريا ل التي ورد في الصفحة ما قبل الأخيرة قول بن الخطيب " قلت هنا انتهي هذا التأليف المسمي بالإحاطة في تاريخ غرناطة علي سبيل الاختصار وتحصل منه ما أردناه هذا المقدار "[5].

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص.100.
[2] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.190.
[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.3.
[4] **نفسه** ،مج4 ،ص. 461.
[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.13؛ مج4 ،ص.634.

بينما يذكره المقري التلمساني ت 1041ه/1631م في كتابه **نفح الطيب** بأنه "**الإحاطة بتاريخ غرناطة** ،وأنه اطلع علي المجلد الرابع من النسخة التي أرسلها بن الخطيب إلى مصر ووقفها على طلبة العلم "[1].

ويذكر الأمير إسماعيل بن الأحمر حفيد السلطان الغرناطي الغني بالله أن أصل تسمية كتاب الإحاطة سببه إطلاع بن الخطيب على كتاب الأديب الغرناطي أبو عبد الله محمد بن جزي 758ه/1356م الذي شرع في وضعه للسلطان أبي عنان المريني وذلك أثناء قيام لسان الدين بسفارة من سلطانه الغني بالله إلى السلطان أبي عنان عام 755ه/1354م[2].

وعن هذا الكتاب يقول بن الخطيب "أخبرني بن جزي عند لقياه إياي بمدينة فاس في غرض الرسالة عام خمس وخمسين وسبعماية أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ذاهبا هذا المذهب الذي انتدبت إليه ،ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعه."[3].

2/ موضوع الكتاب :

يحتوي كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة على تراجم الأعلام الذين ترجم لهم بن الخطيب على اختلاف أزمنتهم منهم من عاصرهم أو أخذ عنهم أو سبق لهم وأن دخلوا غرناطة سواء من أهل العدوتين (المغرب والأندلس) أو المشارقة ،ولم يحصر ذكره على العلماء والأدباء والشعراء فقط بل تعرض بالوصف لكل صاحب نفوذ من ذوي الرأي كالوزراء وقادة الجيوش أمثال أبي عبد الله محمد بن محمد بن شلبطور الهاشمي قائد أسطول ألميرية ت 755ه /1354م[4] ؛الذين كانت لهم علاقة بغرناطة سواء بسلاطينها

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص. 103.

[2] بن الأحمر ،**روضة النسرين** ،ص.34.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ، مج2 ، ص. 257.

[4] **نفسه** ،مج2،ص.360.

من بني الأحمر[1] ومن قبلهم بنو زيري[2] أو الوزراء البارزين كرضوان النصري ت 760ه/ 1358م[3].

وكذلك علي بن لب بن سعيد العنسي ت627ه/1229م [4] وشيوخ الغزاة المغاربة كالشيخ أبو إدريس عبد الحق بن عثمان بن عبد الحق[5] ومن بعده شيخ بن الخطيب يحي بن عمر بن رحو[6].

دون أن ينسي ذكر الأمراء الذين دخلوها أو وصلوا إلى أحوازها ؛كالخليفة الحكم بن عبد الرحمن بن محمد القرطبي (302ه/914 م – 366ه/ 976 م) [7]على إثر موقعة ألميرية سنة 351ه/962 م[8] ،ومن قبله جده الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ت206ه/821 م[9] الذي اقتتل مع عمه أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمان بأحواز إلبيرة[10].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص. 377 ،ص. 398 ،ص.520 ،ص. 556.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.431 ،ص.435 ،ص. 477 ،ص. 486 ،ص.513 ،مج3 ،ص.379 ،مج4،ص.241 .

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.506 وما بعدها.

[4] نفسه،مج4 ،ص.73.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص. 536

[6] **نفسه** ،مج4 ،ص .365.

[7] **نفسه** ،مج1 ،ص.478.

[8] يقصد بموقعة ألميرية صد الأسطول القرطبي لإحدى تحرشات النورمان الذين كان يطلق عليهم اسم المجوس ،وذلك بعد أن حاصروا إحدى الحصون البحرية والمعروف بحصن القبيطة (أنظر: بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص ص.42)

[9] هو أبو العاص الحكم ابن هشام ابن عبد الرحمن ابن معاوية المعروف بالحكم الربضي نسبة لوقعة الربض المشهورة في قرطبة سنة 202 هـ / 817 م تولى الحكم بإمارة قرطبة وهو ابن اثنتان وعشرون سنة (أنظر: الضبى ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص .43؛ عبد العزيز سالم ،**تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس** ،ص ص222،223).

[10] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص - ص . 478-482.

وعند تعرضه لسلاطين بني الأحمر نجده يورد صفحات عديدة يذكر فيها بإسهاب حياتهم ومناقبهم ومكانتهم التي اشهروا بها كمحمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر ومن بعده ابنه محمد بن إسماعيل 715- 733 ه/1315- 1332م ويخص السلاطين محمد الثالث بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بطيب ذكر وسيرة بحكم معاصرته له[1].

كما أفرد فصولا ذكر فيها الزهاد و الصلحاء والصوفية [2] والفقراء ومنها ما جاءت في الغرباء والطارئين الذين ألجأتهم الظروف المختلفة إلي دخول غرناطة ،ولم ينس بن الخطيب أخذ حظ لترجمة نفسه في آخر الكتاب والتي أوردها العلامة محمد عبد الله عنان بعد تحقيقه للكتاب حيث نجدها استحوذت على مئة وست وتسعون صفحة ؛من الصفحة 438 الي الصفحة 634 من الجزء الرابع ،تناول فيها مراحل نشأته وتقلده للمناصب السلطانية مع ذكره لأهم الأحداث التي عاصرها ومن كانت له علاقات بهم تجلت في المراسلات وتبادل التهاني والتشريفات[3].

3/ منهجه في تأليف كتاب الإحاطة:

بعد أن هيأ ابن الخطيب لكتابه في قسمه الأول بتعريفات تخص بلده غرناطة والذي سماه "**حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن** " ،وقسمه الثاني الذي سماه "**حلى الزائر والقاطن و المتحرك والساكن** " ؛جاء كتابه مرتبا ترتيبا هجائيا لتراجم شخصيات عددهم أربعمائة وستة وتسعون شخصية ،بدأه بحرف الألف وأنهاه بحرف الياء.

وقد يلاحظ القارئ لكتاب الإحاطة أن صاحبه لم يفرد النساء بفصل خاص مع قلة ذكره لهن على غير عادة المترجمين سواء الذين سبقوه أومن جاءوا بعده ؛فتجده عند تعرضه للغرناطيات في القسم الأول يذكرهن بالتفاتة خاطفة ،يعدد فيها صفاتهن الجسمية والخلقية بقوله :"وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص – ص. 13 – 91 .

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص – ص. 196 - 216 .

[3] نفسه ،مج4 ،ص.438 وما بعدها.

الشعور ونبل الكلام وحسن المحاورة "[1] ثم يذكر ما وصلت إليه حالهن في الميل إلى التبرج نتيجة البالغة في استخدام وسائل الترف ،وما جاء في ذكر بعضهن فكان في صفحات قليلة خص بها من اشتهرن بالعلم أو رفعة المكانة في غرناطة أو ما جاورها ،منه تعريفه لحمدة بنت زياد المكتب الشاعرة من سكان وادي آش وكذلك حفصة بنت الحاج الركوني اللتين سيأتي ذكرهما عند الحديث عن الشعر والشعراء بغرناطة [2].

4/ طريقته في الترجمة:

يبدأ بن الخطيب في ترجمته للشخصيات بذكر اسم العلم كاملا ،اسمه ونسبه ولقبه وكنيته المعروف بها ،ويركز علي بلده كأن ينعته بالغرناطي أو المالقي أو القرطبي يليها التنمق في اختيار الألفاظ التي تليق بالعلم وتبين منزلته العلمية والاجتماعية وعلوه بين أقرانه في حياته أو سمع عن إنجازاتهم ،لذا تجده في الكثير من الأحيان يسهب في مدح مشاهيرهم كأستاذه أبو الحسن بن الجياب الذي يقول فيه شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ صدر صدور الجلة وعلم أعلام هذه الملة ... استعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب شباة يراعه ... وما عسى أن أقول في إمام الأيمة ونور الدياجي المدلهمة والمثل الساير في بعد صيت وعلو الهمة "[3].

ثم بعد ذلك يأتي علي ذكر نشأته وشيوخه وأعماله وتلاميذه إن كان من الراسخين في العلم ،دون أن يغفل ذكر الجيد من الأقوال والأشعار وقد يرد في بعض الأحيان عليها ؛منها مراجعته لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبكر بن مرزوق العجيسي[4] عندما لقيه بفاس بقوله :

راحت تذكرني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح

---

[1] **بن الخطيب** ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.139.

[2] أنظر: ص.179-181.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص. 125 ،126.

[4] هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني الذي شغل منصب الإمامة وأمانة الرسالة للسلطان أبو الحسن المريني عام 753 هـ/1352م له كتاب " عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز" ، وشرح كتاب " **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**" للقاضي عياض اليحصبي السبتي ت544هـ/1149م ،(أنظر: **الإحاطة** ،مج3 ،ص- ص.103-126).

بخليفة الله المؤيد فارس شمس المعالي الأزهر الوضاح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه أني يقاسى الغمر بالضحضاح[1]

غير أن اللافت للانتباه هو الاختلاف في طريقة التعريف بالشخصيات الذي يرجع إلى وزن المعرف به ومكانته ؛فإن كان العلم أميرا أو وزيرا أو ذا شأن بارز فإنه يكثر من الحديث عن ما جرى في عهده ،وهو ما خص به سلاطينه من بني الأحمر سواء الذين حكموا قبل مولده منهم محمد بن يوسف بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري (595-671ه/1198- 1272م) [2] أو الذين عاصرهم كمحمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج ابن يوسف بن نصر الخزرجي (739ه/1338م-741ه/1340م) الذين يقول عنه : "عاملني بما لا مزيد عليه في العناية وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية ،كافا الله فضله و شكر رعيه و أعلى محله عنده " [3] ،دون أن ينسى ذكر سلطانه محمد الغني بالله (755-793ه/1354-1390م) الذي قلده أعلى المناصب وأطلق له يده فيها ،حيث مدحه بقصيدة في أربع وتسعين بيتا[4].

كما أورد قصيدة رثاء من سبعة وسبعين بيتا في ثلاث من إخوانه أبدع في استخدام العبارات المناسبة لهذا المقام كشفت عن مشاعر رجل لم تمنعه السياسة من الإدلاء بها[5].

5/ مصادر الكتاب :

استعان بن الخطيب في تأليف كتاب **الإحاطة** بالعديد من المصادر التي تسنى له الإطلاع عليها بحكم منزلته السلطانية في دولة بني الأحمر،ناهيك عن مشاهداته وسماعه عن الكثير من الحوادث نظرا لتنقلاته المستمرة سواء، داخل بلاد الأندلس أو عند سفارته لدى دولة بني مرين ،فتجده عند ترجمته لمعلم ما أو لشخصية ما يذكر المصدر الذي استقى منه وصاحبه ،الأمر الذي يجعل الكتاب قيم المضمون بحكم ثرائه بالمعلومات والحوادث التاريخية.

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.108 ، 109.
[2] نفسه مج2 ،ص - ص. 92 – 100 .
[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.17 .
[4] أنظر: البعض منها في **الملحق** رقم:05.
[5] انظر: **الإحاطة** ،مج4 ،ص.491 وما بعدها.

ولعل من أبرز المصادر على حسب ما أورد بن الخطيب نذكر:

1 –" **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس** " لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي 377-462 ه/987-1069م أعظم مؤرخي الأندلس ،يعتبر هذا المؤلف مصدرا للكثير من المؤرخين الذين دونوا عن الأندلس ورجالها خصوصا وأنه من الذين شهدوا فتنة قرطبة الشهيرة عام 399ه/1008م والحوادث التي تلتها[1] ،وبن الخطيب كغيره من المؤرخين ذكره في بداية كتابه في فصل اسم مدينة غرناطة ووضعها على إجمال واختصار[2].

2 - " **تاريخ إفتتاح الأندلس**" لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ت 367 ه /977 م ،رجع إليه بن الخطيب عند حديثه عن فتح مدينة غرناطة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها[3] ،وهو مصدر هام لا يمكن لدارس تاريخ الفتوحات الاستغناء عنه نظرا لما فيه من الفوائد الجمة والمعلومات الهامة عن بلاد الأندلس.

3- " **تاريخ علماء إلبيرة** " لمحمد بن عبد الواحد بن حقل الغافقي المعروف بأبي القاسم الملاحي 549-619 ه/1154-1222م ،عده بن الخطيب من الرجال الثقات في الضبط ما جعله يكثر من النقل عليه ،خصوصا عند ذكره لمراحل نشأة مملكة غرناطة[4] كما أفرد له مكان في كتابه للتعريف به وبمؤلفاته[5].

4- " **التعريف بطبقات الأمم** " لأبي القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي 420-462 ه / 1029 – 1069م ؛يعد هذا الكتاب من المصادر الهامة التي أشارت إلى النشاط العلمي الخاص بالعلوم التطبيقية من طب وفلك ورياضيات وكيمياء

---

[1] أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ، ت 469 هـ / 1076م ،**المقتبس في أخبار الأندلس** ،تح: عبد الرحمن علي الحجي ،د.ط ،مطبعة سيما ،بيروت ،1956م ،ص.13 .

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص .91 ، 92

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص. 100.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص. 93.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.176 ،177 .

التي عرفتها الأندلس عامة ،وهو ما أدى بابن الخطيب إلى الاستشهاد به في العديد من المناسبات[1].

5-" **الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية** " لأبي بكر بن محمد بن يحي الصيرفي ت 570ﻫ/ 1174م كاتب ووزير الأمير المرابطي محمد بن تاشفين ؛أخذ بن الخطيب عنه الكثير من القضايا التي شهدتها الأندلس في عهد دولة المرابطين[2] ؛خصوصا علاقتهم بمملكة غرناطة التي يؤرخ لها ذو لوزارتين ،منها ذكره لهدم السكان كنيسة قولجر بمدينة غرناطة[3] وحملة ألفونسو الأول عليها سنة 515ﻫ/ 1121م وما دار بينه وبين المعاهدة أي النصارى المعاهدون الذين استدعوه[4].

6-" **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** " للقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ت 703ﻫ/1303م[5] ؛وهو عبارة عن كتاب يتضمن العديد من تراجم رجال ونساء الأندلس ومن حل بها من المغاربة والمشارقة ،جاء على شكل تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وكتاب الصلة لابن بشكوال[6].

7- " **أخبار ملوك الأندلس** " لأحمد بن محمد بن موسي الرازي 274-344 ﻫ / 887-955 م ،رجع اليه لسان الدين عند وصفه لإحدى أهم حواضر غرناطة وهي كورة إلبيرة التي اشتهرت قبلها وما امتازت به عن نظيراتها من الكور كغزارة المياه وكثير الثمار والمعادن[7].

8- " **كتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن**"[8] لمحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي وهو من أشهر شيوخ بن الخطيب الذين تتلمذ عليه ،وبحكم تقليده للمناصب العليا

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.94.

[2] نفسه ،مج4، ص ص. 349 ، 350.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص ص. 107 ، 108.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص ص. 109 ، 110.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ؛ العارف بالتاريخ الأسانيد والبارع في الشعر و الأدب ، تولى قضاء مراكش مدة ثم أخر عنها ، توفى بتلمسان في المحرم عام 703هـ /1303م (أنظر: أبو الحسن النباهي ،**المصدر السابق** ،ص. 166).

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.97 ،98 .

[7] **نفسه** ،مج1 ،ص ص. 97 ، 98 .

[8] **نفسه** ،مج1 ،ص. 372.

كالقضاء والولاية والإقراء بكل من ألميرية ومالقة صادق الكثير من الشخصيات وشهد العديد من الأحوال دونها في مؤلفه المذكور على غرار كتبه الأخرى ؛" **كالإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح**" و"**الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب** "[1] ،هذا ما جعله يكثر من الأخذ عنه في العديد من المناسبات.

9- " **قلائد العقيان** " لعلي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالفتح بن خاقان ت 529ه/1134م ؛قرأ له بن الخطيب وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم كأبي الحسن بن سراج وبن دريد الكاتب ،وكان يستشهد بما دونه في العديد من المناسبات بالإضافة إلى كتابه "**مطمح الأنفس**"[2].

واستخدم لسان الدين البعض من مؤلفاته الشهيرة التي نجده يعود إليها في الكثير من المناسبات علي رأسها المؤلف الموسوم بـــ " **التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى**"[3] الذي يسرد فيه تاريخ نشأة موطنه وملوكه بني الأحمر وأعيانه حتى القرن الثامن الهجري[4] ،وكذلك مؤلفه " **عائدا الصلة**"[5] الذي وصل بها كتاب "**صلة الصلة**" لشيخه أبي جعفر بن الزبير ت 708ه /1308م [6].

وكان في العديد من المرات يذكر أنه رأى أو سمع هذا الخبر في أوانه أو تلك الترجمة من صاحبها ؛فعن الأول روايته مثلا لحادثة وثوب محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر 732-763ه/ 1331 – 1361م على ملك غرناطة سنة 760ه/1358م وما نجم عنها من أثار علقت في ذهنه فأسهب في ذكرها[7] ،أما عن

---

1 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص- ص. 143 – 149.

2 **نفسه** ،مج4 ،ص –ص. 248 – 250.

3 **نفسه** ،مج1 ،ص. 54؛ مج4 ،ص .461.

4 **نفسه** ،مج1 ،ص. 54.

5 **نفسه** ،مج1 ،ص .58 ، ص .153.

6 **نفسه** ،مج4 ،ص. 104 ،ص. 460.

7 **نفسه** ،مج1 ،ص- ص. 523 – 531.

الترجمة قوله عن الحاجب رضوان النصري ت 760 ه/1358م أخبرني أنه من القلصادة وأن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طرف العمومة والبرجلونية من طرف الخؤولة [1].

تاريخ تأليف الكتاب :

لا يوجد تاريخ محدد يوضح متى بدأ لسان الدين في تأليف كتابه غير أن هناك إشارات قد تعطي للباحث صورة جلية لذلك ،منها أنه عند عودته من سفريته إلى فاس عام 755ه /1354م ،وبعد أن تقلد رضوان النصري منصب الحجابة والوزارة أخذ يدون الأسماء والألقاب وتاريخ المواليد والوفيات بمساعدة تلميذه أبو عبد الله الشريشي الذي أوكلت له مهنة تأديب أبناء السلطان الغني بالله ،حيث قام هذا الأخير بترتيب مسودات الكتاب وتبويبها ،وتم له ذلك قبل أن ينفى بن الخطيب إلى المغرب رفقة سلطانه سنة 761 ه/1359م[2] ،وذلك بعدما تغلب عليه أخوه الأمير إسماعيل على إثر انقلاب مدبر في 28 رمضان 760 ه/ 1358م [3] ،وبعد تلك النكبة عاد إلى غرناطة عام 763ه/1361م ،فواصل كتابة تراجمه إلي أن أتمه عام 769 ه/ 1367م[4].

إضافة إلى ذلك ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون أنه تلقى من بن الخطيب رسالة في جمادى الأولى عام 769ه/1370م يعلمه فيها أنه بعث بنسخة من الإحاطة إلى المشرق[5].

أهمية الكتاب :

يعتبر كتاب الإحاطة من المصادر الموثوقة التي تعطي لنا صورة جلية عن صفحات مجيدة من تاريخ الإسلام في الأندلس المتعددة المجالات خصوصا الفكرية منها ولبلد المؤلف غرناطة بوجه أخص التي شهدت في عصره في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي رقي حضاري كبير شابه في الكثير من الأحيان ذلك الذي كان قائما في قرطبة على

---

1 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص. 506 ، 507.

2 نفسه،مج1 ،ص. 5 ؛المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص ص. 107، 108.

3 **نفسه** ،مج1 ،ص. 24.

4 **نفسه** ،مج1 ،ص.5.

5 بن خلدون ،**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** ،ص. 121.

عهد عبد الرحمن الناصر ت 350ه/ 961 م[1] ،والحكم المستنصر 350-366ه/ 961-976 م[2] ،والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ت 392ه/ 1001 م[3].

فلسان الدين عاش قرابة ثلاث وستون عاما منه ،ناهيك عن كونه أبرز مؤرخي وأدباء عصره وأوفرهم علما وفطنة ،إذا ما استثنينا بعض الأعلام كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون ت 808 ه/ 1406 م صاحب **المقدمة** الشهيرة **وديوان المبتدأ والخبر** المعروف **بتاريخ بن خلدون** وبن مرزوق التلمساني ،كان ذا مواهب فائقة ساعد على نموها وسعتها مكانته الرفيعة لدى ملوك بني نصر الذي لا يمكن ذكرهم دون الإشارة أو التوقف عند شخصيته الفذة التي صار صاحبها يطلق عليه اسم ذي الوزارتين "السيف والقلم"[4].

وفي الآن ذاته ساعدته تلك الميزات الفكرية الرفيعة في التسيير المحكم لشؤون سلاطينه الذين تقلب في خدمتهم وعلو ذكره عندهم[5].

ويمكن أن يستخلص المتصفح والمتمعن للإحاطة فوائد هامة تشير في مدلولها إلى مدى علو شأن العلماء والأدباء خصوصا هذا الرجل الفذ واللبيب الذي استطاع أن يوفق إلى أبعد حد فيما كتبه رغم انشغاله الكبير بقضايا الحكم وخفاياه ،ومن أجل تلك الفوائد:

1- أن الكتاب يعتبر مصدرا هاما عرف برجل علا نجمه في سماء الأندلس وعم صيته بقاع مختلفة من العالم الإسلامي في وقته ومن بعد موته توضحه تلك المراسلات السلطانية والأدبية العديدة بينه وبين الأمراء المسلين وسلاطينهم كرسالته إلى سلطان تلمسان الجديد أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن ت753ه/1352م [6] ،إضافة

---

[1] أبو الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضي ،**تاريخ علماء الأندلس** ،تح: روحية عبد الرحمن السويفي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1ه/1997م ،ص.14 ؛بن عميرة الضبي ،**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410هـ / 1989 م ،ج1 ،ص.39 ؛المقري ،**نفح الطيب** ،مج 1 ،ص .379.

[2] بن الفرضي ،**المصدر السابق** ،ص.15 ؛ المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص .396.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.102 وما بعدها.

[4] **نفسه** ،مج4 ،ص.451 .

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص.17.

[6] **نفسه** ،مج 4 ،ص ص.54،53.

إلى رسالته لأبي إسحاق بن أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي [1] ،ناهيك عن الزيارات الميدانية التي كان يقوم بها في العديد من المرات خصوصا مع دولة بني مرين أثناء الفترات العصيبة التي كانت تشهدها طبيعة العلاقات بين غرناطة وممالك النصارى[2].

2- يكشف لنا بن الخطيب عن تواريخ كثيرة لأحداث تركت أثرها الكبير في نفسه ،كموقعة سالا دو سنة741 ه/1340 م والتي استشهد فيها أبوه وأخوه في ساحة المعركة ضد جيوش النصارى ،وكذالك موت رئيسه في الخدمة أبو الحسن بن الجياب بطاعون سنة 749 ه/ 1348م والتي عجلت ببزوغ نجمه في سماء السياسة الغرناطية.

3- يظهر في العديد من المناسبات حالات الاضطراب التي كانت تشهدها إمارات الأندلس وتناحر أمرائها فيما بينهم ،وذكر سقوط العديد منها في أيادي النصارى كما حدث مع ماردة التي سقطت سنة 627ه/1299[3] ،وبلنسية سنة 636ه/1238م[4] ،دون إغفاله للدسائس والمؤامرات التي كانت تحدث داخل بلاط غرناطة من حاشية الملك بين الحين والآخر[5].

4- يبرز الكتاب مدى سعة ثقافة بن الخطيب وقدرته على استحضار العديد من المعلومات التي أخذها عن أقرانه وعلماء عصره سواء من جالسهم أو من وصل إنتاجهم نتيجة شغف الكبير بالمطالعة ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الشخصيات التي تقصى عنها وسرد أحوالها.

5- يميط صاحبه اللثام عن الكثير من القضايا الاجتماعية التي كانت سائدة في الأندلس عموما وغرناطة على وجه الخصوص من عادات وتقاليد ومراسيم الاحتفالات في الأعياد والمناسبات ،كما أنه حفل بالعديد من الفوائد من الآراء النقدية والألفاظ اللغوية الراقية وقدر كبير من الأشعار في مختلف الأغراض.

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص .53 ،54 ؛ص .561 وما بعدها.

[2] **نفسه** ،مج4 ، ص .324 وما بعدها.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.130.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.176.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص.137.

8 / مخطوطات الكتاب:

تعددت مخطوطات كتاب الإحاطة واختلفت سواء من حيث مكان تواجدها أو من حيث حجم كل مخطوط ونسخه ،ويعتبر محمد عبد الله عنان أن مخطوطة مكتبة الإسكو ريا ل بمدريد هو أقرب النسخ المخطوطة من الصواب والتي ضمت أقرب النصوص والتراجم للمؤلف الأصلي مقارنة بالمخطوطات الأخرى التي ينقصها العديد من الفقرات والمختارات النثرية على اختلاف أحجامها[1] ،وتحتوي هذي النسخة على قطعتين كبيرتين من كتاب الإحاطة تقع إحداها تحت رقم 1688 وتضم إحدى وخمسمائة صفحة كبيرة مكتوبة بخط أندلسي معنونة بأنها السفر الثاني من "مختصر الإحاطة " وكتب عليها " الحمد لله تملكه عبد الله تعالى زيدان أمير المؤمنين بن أحمد المنصور أمير المؤمنين " ،وورد في نهاية المخطوط في لوحته ما قبل الأخيرة قول بن الخطيب: " قلت هنا انتهى هذا التأليف المسمى بالإحاطة في تاريخ غرناطة على سبيل الاختصار وتحصل منه ما أردنا من هذا المقدار ،ووهبناه للناظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار بل هي لتحصيله ذات انتصار " [2].

أما القطعة الثانية فتحمل رقم 1699 وتضم خمسة وتسعون ومائة صفحة ذات حجم كبير ،ضمت تراجم حروف الميم واللام ، ورد في ختامها أنها كتبت في 15 رمضان عام 806 ه ؛أي بعد وفاة صاحبها بثلاثين عاما"[3].

ويأتي مخطوط مكتبة جامع الزيتونة بتونس في المرتبة الثانية من حيث الأهمية إذ يحتوى على ثلاث نسخ من الإحاطة حملت الأرقام 3522 ، 3523 ، 3524 وبعد نقلها إلي مكتبة العطارين بدار الكتب الوطنية أصبحت تحمل أرقام 8134 ،8135 ، 8136 علي التوالي [4] ،يحتوي المجلد الأول على 335 لوحة كبيرة ويضم الثاني 299 لوحة بينما يتكون الثالث من 302 صفحة ضمت هذه النسخ تراجم العديد من الشخصيات المهمة على رأسها السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر والسلطان

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.8.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص. 13.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص .14.

[4] أنظر: صورة لمخطوط الإحاطة **الملحق** رقم:04.

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي ،وختمت بترجمة يحي بن إبراهيم بن يحي البرغواطي ت768ه/1366م.

كتبت النسخ بخط مغربي ووسمت في نهاية السفر الثالث بأنها كتاب الإحاطة وأنه في الثامن والعشرين من جمادى الثانية عام 774 ه / 1372 م [1] وهي تحمل في أولها صيغة وقف تحبيس وفي أسفلها توقيعات الواقف والشهود [2].

وتوجد بمكتبة BEBLEOTICA ACADEMIA DE HISTORIA DE LA REAL أكاديمية التاريخ بمدريد

نسخة كاملة من كتاب الإحاطة تحتوي على ثلاث مجلدات حملت اسم كوديرا نسبة إلى عضو أكاديمية التاريخ الملكية الذي قام بنسخها وهي منقولة عن نسخة فاس بالمغرب ونسخة جامع الزيتونة بتونس حسب ما جاء في مذكرتها بالإضافة إلي نسخة جاينجوس وهي الأخرى موجودة بمكتبة الأكاديمية السالفة الذكر وتضم النسخة مائتين وتسعين ورقة مكتوبة بخط أندلسي قديم تبدأ صفحتها الثانية بـــ " بسم الله الرحمن الرحيم ،صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب "[3].

كما توجد بدار الكتب المصرية ثلاث قطع كبيرة من الإحاطة لا تحمل الأولى أي تاريخ بينما تحتوي الثانية على 101 لوحة مزدوجة والثالثة 111 لوحة مزدوجة وهما منقولتان عن نسخة مدينة فاس ومكتوبة بخط مغربي جميل [4].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص. 10،11.

[2] أنظر: ما جاء في صيغة وقف تحبيس كتاب الإحاطة **الملحق** رقم :03.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص .11 ، 12.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.15.

الفصل الثاني

طرق ومؤسسات التعليم

- طرق التعليم
- المؤسسات التعليمية
- دور الحكام في الحياة العلمية
- دور العلماء
- دور العامة

لا يمكن التطرق إلى الحياة العلمية لأية دولة من الدول ،وفي أي حقبة كانت دون التعرض لمناهج التعليم وطرقه ومراحله يليه بعد ذلك النظر في دور مؤسساته من كتاتيب ومساجد ومدارس ومكتبات باعتبارها قواعد تنطلق منها بوادر الرقي الحضاري، ويتم بواسطتها التعرف على مدى فاعلية هذه المنشآت العلمية في المجتمع على اختلاف أطيافه وتفاعل أفراده معها، بدءا بهرم السلطة من أمراء ووزراء مرورا بأهل الحل والعقد من علماء وقضاة ومستشارين وصولا إلى عامة الناس من فلاحين وحرفيين تمثل في مجملها عائلات طلبة العلم ،وذلك ما سنحاول إسقاطه على مملكة غرناطة حتى يتسنى للباحث والقارئ على حد سواء عقد مقارنة بينها وبين نظيراتها من إمارات الأندلس خاصة و الدول الإسلامية عامة في أوقات الشدة والرخاء.

طرق التعليم بغرناطة :

1/ الإقراء:

يعتبر الإقراء[1] من أشهر طرق التعليم التي كانت منتشرة في غرناطة كغيرها من إمارات الأندلس ،ويطلق على ممارسه إسم المقرئ وصفته أن يمسك المعلم كتابا ويقرأ منه ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم أو أن يكلف الأستاذ أحد الطلاب بالقراءة في حضرته ويقوم البقية بالكتابة بينما يعمل هو على تصحيح القراءة وتقديم النطق السليم للكلمات والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء وهذه طريقة شهيرة في تعليم القراءات القرآنية [2] ،وقد خصص بن الخطيب فصلا ذكر فيه عددا من المقرئين ؛سواء من ذو الأصول الغرناطية أو ممن دخلوها ؛منهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن يوسف بن جزى الكلبي ت 741هـ / 1340م صاحب المؤلفات العديدة مثل كتاب **أصول القراء الستة غير نافع** ،كان من أبرز المقرئين والقائمين للتدريس ،أهله إليه إلمامه للعديد من الفنون من عربية وأصول فقه[3] ،وأبو محمد عبد الله بن على بن سلمون الكناني ت741ه/1340م صاحب الكتاب المسمى **الشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي** ،قرأ على شيوخ عدة كأبي جعفر بن الزبير في غرناطة والمكتب أبو الحسن البلوطي ،وبسبتة على المقرئ أبا القاسم بن الطيب فسمع وأسمع وأقرأ [4] .

وكذلك أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داوود الأنصاري الأزدي ت612هـ /1215م الذي يصفه بن الخطيب بأنه ذا سماع جم لم يشاركه في أحد من أهل المغرب

---

[1] يقصد بالإقراء قراءة الطالب على أستاذه ما حفظه من كتابه أو صدره، ويسميها أغلب المحدثين عرضا كونه يعرض فيها على شيخه، واشترط في المقرئ أن يتمتع بصفات خلقية حميدة،ومستوى علمي راق لكي يكون ثقة بين الناس (أنظر: جلال الدين السيوطي ،**تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** ،شرح ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صالح بن محمد بن عويضة ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م ،ج2 ،ص.8).

[2] السيوطي ،**الإتقان في علوم القرآن** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1418ه/1997م ،ج1 ،ص ص.279،280 .

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة**، مج3،ص.20 وما بعدها.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.400،401.

حيث قرأ أكثر من ستين تأليفا بين الكبار والصغار وأخذ على أبو محمد بن عبد الله من ستة وثلاثين تأليفا بين قراءة وسماع منها الصحيحان[1] .

ومن الذين اشتهروا أيضا قاضي غرناطة وكاتبها محمد بن أحمد بن حيون الذي تحيز إلى التحليق لتدريس العلم وتفرغ لإقراء العربية والفقه[2] ،وأبو القاسم محمد بن أحمد بن علي الغساني الذي كان يقرأ الفقه والعربية معا[3].

2/ الإجازة:

جاء في تعريف الإجازة أنها أذن من الأستاذ لتلميذه أن يروي عنه مروياته أو مسموعاته أو بعضا منها[4] وتضاربت أراء المحدثين بين قبول ورفض حول ما إن كانت الإجازة طريقة كافية لنقل العلم لوحدها ؛فمن الصنف الأول الحسن البصري وبن شهاب الزهري[5]، والصنف الآخر مثله شعبة وعطاء[6]؛ حيث قالوا: "لو صحت الإجازة بطلت الرحلة"[7] ،ومنهم من حملها محمل الفتيا أي أنه من عرف عنه العلم والدين جاز له أن يعلم يعلم ويفتي[8].

---

1 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص416،417.

2 **نفسه** ،مج2،ص.183.

3 **نفسه** ،مج3 ،ص.64.

4 السيوطي ،**تدريب الراوي** ،ج2 ،ص.19 وما بعدها.

5 أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ،**الكفاية في علوم الرواية** ،تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم ،ط2،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1406هـ/1986م ،ص.350.

6 زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي ،**التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة بن الصلاح** ،وضع حواشيه: محمد عبد الله شاهين ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م ،ص.180.

7 الخطيب البغدادي ،**المصدر السابق** ،ص.353.

8 الونشريسي ،**المعيار المعرب في فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب** ،تح: محمد حجي وآخرون ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1981م ،ج11 ،ص.17.

وتجلت مظاهرها في أن الشيوخ كانوا يكتبونها لطلابهم على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتب يثبتون فيها لهم قراءتها ويجيزون تدريسها[1].

وقد شهدت غرناطة العديدة من طلبة العلم الذين كانوا يأتونها طلبا للإجازة عن شيوخها وعلمائها كما هو حال أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوى الفقيه المفسر من أهل بجاية الذي أجازه الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالإلبيري بغرناطة عام 753هـ /1352م وذلك ما ساعده على تصدر الفتيا بها ،ويذكر بن الخطيب أنه أجازه رفقة أبنائه الثلاثة عبد الله ومحمد وعلي[2] ،والأمر نفسه مع أبو عبد الله بن محمد بن أحمد جزي المقرئ الذي أجازه جمع من الشيوخ منهم أبو عبد الله محمد بن بيبش الذي منحه إجازة عامة لجميع كتاب الموطأ وأغلب كتاب الشفا للقاضي عياض والشيخ أبو الحسن بن الجياب وأثير الدين أبو حيان[3] .

وكذلك أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله المعروف بابن سلون ت 741هـ /1340م مؤلف كتاب **الشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي** ، أجازه جمع من الشيوخ منهم بغرناطة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن النولي وأبو عمران موسى الداري برندة ،ومن أهل المشرق عز الدين أحمد بن محمد الحساني وبن دقيق العيد[4].

ولم يقتصر طلب الإجازة على طلبة العلم بل تعداه إلى أصحاب الوظائف السامية كما هو حال القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الغافقي ت 731هـ/1330م صاحب كتاب **المنهاج لترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله بن الحاج** أجازه كل من أبي جعفر الطباع وأبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن بن الصائغ الإشبيلي [5] .

---

[1] لبيب عبد الستار ،**الحضارات** ،ط14 ،دار المشرق ،بيروت ،1997م ،ص.273.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص- ص. 324-329.

[3] **نفسه** ،مج3،ص-ص.392-395.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص- ص. 400-404.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص ص411،412.

وكذلك القاضي أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد الأنصاري ت 745هـ/ 1344م الذي أجازه جمع كبير من العلماء قرأ عليهم كأبي الحسن بن فضيلة والحاج أبو محمد بن جابر[1] ،والأمر نفسه مع الطبيب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن الزبير ت 683هـ/1284م شقيق أبو جعفر بن الزبير الذي أجاز له كل من أبو بكر المحرز وأبو الحسن الشاري[2].

ومن الإجازات ما كانت تعطى عامة لكل من عاصر شيخا من الشيوخ مثل تلك التي منحها الإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ الباوي لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستة مائة للهجرة [3] .

كما كانت الإجازة مطلبا للكثير من طلب العلم على اختلاف أصقاع بلدانهم يحملون أنفسهم ويكابدون عناء السفر من أجلها ؛من ذلك ما ذكره بن الخطيب عن أهل بغداد الذين طلبوها من الأندلسيين فكتبها لهم أبو عبد الله محمد بن على المعروف بابن عسكر ت 636هـ/1238م صاحب المؤلفات العديدة أشهرها " **المشرع الروي في الزيادة عن المروي**" و"**تزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر**"[4].

ومما ورد في شان الإجازة ما أورده أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري المعروف بالساحلي ت752ه/1351م من شعر قال فيه :

أجزت لهم أبقاهم الله كلما ... رويت عن الأشياخ في سالف الدهر

وما سمعت أذناي عن كل عالم ... وما جاد من نظمى وما راق من نثر

على شرط أصحاب الحديث وظبطهم ... برى من التصحيف عار من نكر[5]

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص413،414.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.419.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.289.

[4] **نفسه** ،مج2،ص.172 وما بعدها.

[5] **نفسه** ،مج4 ،ص.406.

وكذلك ما قاله أبو الحسين محمد بن أحمد التلمساني ت746هــ/1345م عن إجازته والتي جاء فيها:

ولدت لعام من ثلاث وعشرة   وست مئين هجرة لمحمد

تطوفت قدما بالحجاز وإنني   بمصر هو المربلي وسبتة مولد[1]

3/ الرحلة:

ألف العرب الرحلات[2] التجارية منذ القديم والتي كانت أغلبها في أولى أمرها تتم بين اليمن والشام[3] ،وصارت فيما بعد من أهم روابط التواصل بين بقاع الإسلام المترامية الأطراف التي اتسعت بفضل الفتوحات الإسلامية حيث ساعد هذا الاتساع العلماء والرحالة على الحركة دون قيود، لذا وجدت في تراجم العديد منهم مصطلح الرحلة من بلد لآخر [4].

كما كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين طلبة العلم في العهود الإسلامية ،حيث اعتبرت فكرة ملاقاة الشيخ والجلوس إليه ذات أهمية بالغة لا بد منها في تحصيل العلم[5] ،فلم يكتف الطالب بقراءة مؤلفات شيخ من الشيوخ وإنما حرص على قراءتها عليه أو سماعها منه حتى يتفقه فيها أكثر ويستفيد من علمه ،لعل أبرزها رحلة أبو عبد الله البخاري في طلب الحديث على علماء البصرة [6].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.202.

[2] الرحلة مأخوذة من الإرتحال فيقال ارتحل القوم عن المكان أي انتقلوا إلى غيره ورحل الرجل ترحيلا فهو راحل ،وأرحل إذا كثرت رواحله (أنظر: الفيروز آبادي ،**المصدر السابق** ،ص.1005).

[3] عبد العزيز سالم ،**التاريخ والمؤرخون العرب** ،،د.ط ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،2008 م ،ص.211.

[4] أحمد فراج حسين ،**المدخل للفقه الإسلامي** ،د.ط ،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت ،2002م ،ص.151.

[5] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.559.

[6] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ،**تاريخ بغداد أو مدينة السلام** ،دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ج2 ،ص.15.

والرحلة في بلاد المغرب الإسلامي عدت منذ الوهلة الأولى اتجاه المشرق إحدى الصفات التي تميز بها رجاله بحثا عن المعرفة ،غير أنها تراوحت بين الطابع الديني والعلمي ؛فالديني كان بدواعي قضاء مناسك الحج[1] وزيارة المسجد النبوي[2] ،إضافة إلى الإطلاع على المواقع التي شهدت أحداثا حاسمة في تاريخ الإسلام في أوائل عهده بغية أخذ العبرة والاستذكار[3] ،أما العلمي فكان بهدف ملاقاة الشيوخ والجلوس في حلقهم مع الإطلاع على مؤلفات مشاهيرهم ،ناهيك عن دورها الهام في تفعيل روابط الأخوة وتبادل الأفكار بين أبناء الأمة الواحدة خصوصا في موسم الحج[4].

والأمر الجدير بالاهتمام هو أن كتب الرحلات جاءت قليلة إذا ما قورنت بمؤلفات أخرى كالتاريخ وكتب السير والطبقات ،لكن ذلك لم يمنع ما قل منها من أن تحفل بالمعلومات الهامة والأخبار النادرة نظرا لحرص أصحابها على تدوين كل صغيرة وكبيرة شاهدوها أو سمعوا بها، فصارت التآليف التي اهتمت بهذه الظاهرة تعرف بكتب الرحلات لعل أبرزها رحلة بن بطوطة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ت777ه/1375م التي سماها صاحبها **بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**[5] ورحلة العياشي المعروفة بماء الموائد[6] ورحلة أبو عبد الله محمد بن عمر بن

---

[1] ذكر ابن الخطيب أن سلاطين غرناطة كانوا حريصين على أداء مناسك الحج حيث كانوا يصطحبون إليها العلماء وذوي المعرفة بشؤون الرحلة كما هو شأن السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن نصر التي صحبه أبو عبد الله بن رشيد الفهري صاحب الرحلة المعروفة باسمه (أنظر: **الإحاطة** ،مج2 ،ص.445).

[2] جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره (أنظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة ،**السنن** ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط ،ص.57 ،حديث رقم: 227).

[3] محمد أحمد ترحيني ،**المؤرخون والتأريخ عند العرب** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.54.

[4] محمد محمود محمدين ،**التراث الجغرافي الإسلامي** ،ط3 ،دار العلوم للطباعة والنشر ،الرياض ،1419ه/1999م ،ص.46.

[5] مصطفى الشكعة ،**المغرب والأندلس**: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1407ه/1987م ،ص.205.

[6] أبو عبد الله محمد بن عمر ،**رحلة ابن رشيد السبتي** ،دراسة وتحليل: أحمد حدادي ،د.ط ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1424ه/2003م ،ج1 ،ص.225.

رشيد السبتي ت721ه/1321م الشهيرة ب"**ملئ العيبة**"[1] ،إضافة إلى رحلة أبو البقاء خالد البلوي المسماة ب " **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**"[2] ،وكتاب "**تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام**" لمحمد بن أحمد الصباغ المكي[3].

ساهمت كلها في إعطاء صورة جلية لصفات ذلك العصر وأعلامه وأحواله الثقافية ،ناهيك عن ما قدمته من تعريفات لبلدان ومواقع ومسالك طرق كانت مجهولة عند الكثيرين من ذي قبل.

كما اهتم الأندلسيون بدورهم بالرحلة لتحصيل العلم فألفوا فيها الكتب حرصا منهم على تسجيل أخبار المشرق الإسلامي وتعريف أهل بلدهم به ،ويتجلى ذلك في عديد المؤلفات منها **كتاب الرحلة** لصفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي ت598ه/1201م [4] ،وكتاب **ترتيب الرحلة** للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري ت543ه /1148م[5].

ومن الذين اشتهروا بالرحلة في غرناطة نجد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن لب ت725ه /1324م من نبهاء الطلبة الغرناطيين ،رحل إلى المشرق عام 720ه/1320م فاستقر بالقاهرة بمدرستها الصالحية التي أقرأ بها العربية واشتهر بعدها بأبي عبد الله النحوي[6].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي ت708ه/1308م كاتب ديوان الإنشاء بالمملكة الذي رحل إلى المشرق مرات عديدة منها تلك التي رافق فيها العلامة أبو عبد الله بن رشيد الفهري عام 683ه/1284م حاجا بيت الله الحرام ومنه إلى المدينة النبوية فدمشق مارا في طريق عودته ببجاية بحثا عن مجالس العلم والرواية [7].

---

[1] عبد الله كنون ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.392.

[2] مصطفى الشكعة ،**المرجع السابق** ،ص.205.

[3] خير الدين الزركلي ،**الأعلام** ،ط15 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،2002م ،ج6 ،ص21.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.350.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.36.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.434.

[7] **نفسه** ،مج2 ،ص.445.

والأمر نفسه مع أبو عمرو محمد بن علي التجيبي ت602ه/1205م الراوية الثقة ،رحل إلى الإسكندرية فسمع بها مسائل العلم على أبي عبد الله بن منصور وجمع من العلماء[1].

بالإضافة إلى أبي محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الغافقي ت731ه/1330م الذي حج سنة 687ه/1288م فالتقى بجمع من الشيوخ أمثال الإمام بن دقيق العيد والحافظ أبو محمد عبد المؤمن الدمياطي[2].

كما كان العديد من الرحالة الغرناطيين سواء من الحجيج أو من طلبة العلم ما يتعرضون لعديد المصاعب والمخاطر في سبيل بلوغ مرامهم وقد تنتهي في نهاية المطاف بالهلاك ؛من ذلك ما حدث لأبي بكر محمد بن عبد الله بن مقاتل الذي غرقت به السفينة وبجملة من مرافقيه طلبة وأدباء حينما عزموا على الرحلة نحو المشرق سنة 739ه/1338م[3].

والأمر ذاته حدث مع عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي الشهير بابن القصير ت576ه /1180م الذي غرق في البحر قبالة مرسى تونس بعد تعرض السفينة التي كانت تقله نحو الحج إلى اعتداء من طرف النصارى[4].

ومنهم من كان يستقر في البلد الراحل إليه دون عودة إلى بلده لظروف قد تطرأ عليه أو لحال رآه مختلفا عن بلده أثر في ذلك مثل ما حدث مع أبو عبد الله محمد بن محمد بن الشديد الذي رحل إلى الحجاز التي طال بها بقائه وانقطعت أخباره[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.228.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.412.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.380.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.483.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص.386.

المؤسسات التعليمية :

1/ الكتاتيب:

جاءت هذه الكلمة للتعبير عن المكان الذي يتعلم فيه الصغار مبادئ العلم وجمعها مكاتب وكتاتيب[1] ويطلق على من يتولى التعليم به إسم المكتب[2].

ويشير الزبيدي أن هذه المهنة ظهرت في الأندلس بشكل ملفت للانتباه وذلك حينما يتعرض لشخصية الغازي بن قيس ت199هـ/814م[3] الذي كان ملتزما بالتأديب في قرطبة أيام دخول عبد الرحمن الداخل ت172هـ/788م [4] إليها ،وكيف كان يتعامل المؤدبون مع المتعلمين الصبية وذويهم[5].

كما أن بن القوطية بدوره يذكر ما دار بين الصميل بن حاتم وبين أحد المؤدبين أثناء عملية الإقراء وأشار أن هذا النقاش وقع عرضا وذلك بمرور الصميل بمكتب المؤدب وهذا فيه دليل على وجود هذه المؤسسة التعليمية وأنها كانت ظاهرة للعيان بحيث

---

[1] بن منظور ،**المصدر السابق** ،مج6 ،ص.699.

[2] اشترط في معلم الكتاب أن يكون صحيح العقيدة تجنبا لفساد عقيدة الصبية، لذا حرص الآباء على التأكد من عقيدة معلم

أبنائهم قبل بحثهم عن دينه في الفروع (أنظر: تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم** " الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية ، تصدير أحمد عبيدلي ،ط2 ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1985م ،ص.130).

[3] يعتبر الغازي بن قيس أول من أدخل **موطأ الإمام مالك** إلى الأندلس وكذالك أول من أدخل إليها قراءة نافع (أنظر: الزبيدي ،**طبقات النحويين واللغويين** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط.،دار المعارف،مصر،1973م، ص.254).

[4] هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الدمشقي الأموي المعروف بالداخل أو صقر قريش ت172ه /787 م ،دخل إلى الأندلس بعد زوال خلافة بني أمية سنة 132هـ/749م وصار أميرا بقرطبة على إطاحته بيوسف الفهري عام 138هـ/755م (أنظر: بن العماد الحنبلي ،**المصدر السابق** ،ج1،ص281).

[5] الزبيدي ،**المصدر السابق** ،ص.254.

يسمع ما كان يجري فيها من تلقي علوم المشرع [1] ،خصوصا وأن منها ما كان يقام بالشوارع الآهلة بالناس وبالقرب من الدكاكين نظرا لإلحاح أهل الرقابة على ذلك[2].

ورغم أن الكتاب كان في أول الأمر ملحقا بجوار المسجد يأتيه الصبية [3] لقراءة القرآن الكريم [4] إلا أنه صار فيما بعد هيكلا مستقلا بنفسه خصوصا بعد أن كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وكثر الولدان حيث أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه [5] ببناء بيوت المكاتب وعين الرجال لتعليم الصبية وتأديبهم [6] ،غير أن ذلك لم يمنع من وجود البعض منها بداخلها ؛من ذلك ما ذكره الخشني عند حديثه عن ما دار بين القاضي عمرو بن عبد الله ومعلم الصبية مؤمن بن سعيد نظرا لقرب المجلسين من بعضهما [7]

---

[1] أبو بكر بن القوطية ،**تاريخ افتتاح تاريخ الأندلس** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط2 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410هـ / 1989 م ،ص. 60 ؛بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.347.

[2] أبو عبد الله محمد السقطي الملقي ،**كتاب في آداب الحسبة** ، تح: كولين ولفي بروفننسال ،د.ط ،مكتبة أرنست لوروكس ،باريس ،د.ت.ط ،ص. 68 .

[3] محمد عطية الأبراشي ،**التربية الإسلامية وفلاسفتها** ،د.ط ،دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع ،الكويت ،د.ت.ط ،ص.73.

[4] القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة ،إلا أن الصحابة رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة ،تواترها نقلها أيضا بأدائها واختصت بالإنتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير ،فصارت القراءات السبع أصولا للقراءة (أنظر: بن خلدون ،**المقدمة** ،ط1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،1424ه ،ص.419).

[5] هو الصحابي الجليل أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح وأمه حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة ،ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ،شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها أول من لقب بأمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين ،له فضل كبير في الإسلام على عهد النبوة وبعدها ،مات سنة 23ه من أثر طعنات أبو لؤلؤة المجوسي (أنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير ،**أسد الغابة في معرفة الصحابة** ،تح: الشيخ خليل مأمون شيحا ،ط1 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418ه/1997م ،ج3 ،ص.318 وما بعدها).

[6] محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي ،**نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية** ،إعتناء وتحقيق عبد الله الخالدي الخالدي ،ط2 ،دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2 ،ص.200.

[7] أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني ،**قضاة قرطبة** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط2 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ، 1410هـ/1989م، ص ص. 149 ،150.

،فكانت هذه الحادثة وشبيهاتها سببا في نهي رجال الحسبة عن إقامة المكاتب في جوف المساجد من ذلك ما أقره بن عبدون الاشبيلي كون المساجد هي بيوت الله ومواضع الذكر والعبادة ،مشهورة بالطهارة لذا وجب أن لا يؤدب فيها الصبية لأنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم ،غير أنه عند الحاجة لم يرى بأسا في إقامتها بالسقائف[1].

والجدير بالإشارة أن الأيام الأولى في تعليم الأطفال [2] تكون صعبة ،لذا استوجب على أهل المتعلمين والمعلمين أنفسهم أن يسهروا على تعويدهم على هذا النمط الجديد في حياتهم ؛ومن ذلك أن يعتاد الطفل على التبكير في الذهاب إلى المكتب أين يبقى هناك إلى قرابة الظهر، بعدها يعود إلى منزله للغداء وأخذ قسط من الراحة ثم يرجع إلى المكتب من جديد ليبدأ الدراسة بعد الظهر بقليل لينصرف إلى بيته وهكذا دواليك[3].

وهذه الطريقة وشبيهاتها أثرت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمره لعابد بن عبد الله الخزاعي بأن يلازم تعليم الصبية من بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى ،ثم من الظهر إلى صلاة العصر ويسرحهم بقية النهار، ولا يلزمه الله بشرط أو عادة كعادة أهل البادية في إقرائهم السور ليلا[4].

غير أن هناك من لم يحدد للتعليم أوقات معينة يجب إتباعها ومن ذلك ما قاله الونشريسي "وسئل أبو الطيب عبد المنعم بن خلدون الكندري ت421هـ/1030م هل

---

[1] محمد بن أحمد بن عبدون الاشبيلي ،**رسالة في الحسبة** ،تح: ليفي بروفنسال ،د.ط ،مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة ،1955م ،ص.24.

[2] يصف بن خلدون تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للولدان بأنه شعار من شعائر الدين الذي أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من الآيات وبعض متون الأحاديث ،فصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات ،بالإضافة إلى أن التعليم في الصغر أشد رسوخا كونه أصل لما بعده (أنظر: **المقدمة** ،ص.556).

[3] أحمد فؤاد الأهواني ،**التربية في الإسلام** ،د.ط ،دار المعارف ،مصر ،1968م ،ص.65.

[4] أحمد بن أبي جمعة المغراوي ،**جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**،تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ،رابح بونار ،د.ط ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،د.ت.ط ،ص.51.

يجلس المعلم من الصبح إلى المغرب أو عند طلوع الشمس إلى الإسفار؟ "فأجاب أما وقت جلوس المعلم وقيامه فبحسب العرف، وما تعاهده أهل التعليم في كل بلد"[1].

أما عن طريقة التعليم في الكتاب فصورتها أن يقرأ المعلم آية من آيات الذكر الحكيم ويقوم الطفل بترديدها إلى أن يحفظها وهكذا[2] ،غير أن البعض كانوا يلجئون إلى تعليم الصبية قصار السور القرآنية وهو ما أقره بن مرشد بقوله: "وأول ما يبدأ به المؤدب في تعليمه الصبي تحذيقه كتاب الحرف وقراءتها حتى يألف ذلك ثم يشرع في تحفيظه السور القصار من القرآن"[3] ،وأن يجعل لتفقد حفظه وقتا معلوما مثل يوم الخميس أو الأربعاء يعرض الصبي عليه[4].

ونظرا لدور المكتب الهام في نشر العلم صار شيوخه يبجلون لدى العام والخاص بغرناطة كغيرها من إمارات الإسلام ويتميزون بألقاب سامية تدل على رفعة قدرهم وعلو شانهم أشهرها لقب معلم كتاب مثل أحمد بن عبد الملك العدوي الذي يقول عنه بن الخطيب "وهو اليوم من معلمي الكتاب "[5] ،والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني الغرناطي المعرف بالعواد ت750هـ/1349م الذي يصفه ب "الشيخ المكتب الأستاذ الصالح ،سابق الميدان وعلم أعلام القرآن في إتقان تجويده والمعرفة بطرق روايته والإطلاع بفنونه"[6].

كما ذكر العديد من أسماء الذين اشتهروا بقوامتهم على الكتاب أمثال أبو القاسم محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي الذي يصفه بأنه أصبح صدرا في الكتاب وسهما في الكتاتيب[7] ،وأبو عبد الله محمد بن محمد الخولاني الشهير بالشريشي ت 718هـ/1318م

---

[1] الونشريسي ،**المصدر السابق** ،ج8 ،ص.152.

[2] محمد عطية الأبراشي ،**المرجع السابق** ،ص.184.

[3] بن مرشد ،**المرجع السابق** ،ص.138.

[4] أحمد فؤاد الأهواني ،**المرجع السابق** ،ص.360.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.149.

[6] **نفسه** ،مج2 ،ص .33 وما بعدها.

[7] **نفسه** ،مج2 ،ص.250 ؛**ريحانة الكتاب** ،ج2 ،ص.383.

الذي يعد من الذين كانوا يقعدون في هذه المؤسسة التعليمية لمزاولة التدريس ؛حيث أكتب للصبيان في بعض أطوار التعليم[1].

وفي رسالته إلى صديقه عبد الله اليتيم يعطينا أصدق تعبير عن تلك المكانة الرفيعة بقوله: "وإني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمرا فوق المراتب من كل مسيطر الدرة ،متقطب الأسرة متنمر للوارد تنمر الهرة، يغدو إلى مكتبه والأمير في موكبه"[2].

ولعل من أبرز الكتاتيب التي شهدتها غرناطة تلك الزاوية التي كان لابن الخطيب دور كبير في إنشائها بأخشارش أحد أحياء الحضرة الملكية بجوار جامع البكري[3].

2/المسجد:

عد المسجد[4] عند قيام دولة الإسلام كمركز للإمارة تنظم فيه شؤون المسلمين لذا كان يقام في وسط المدينة حتى يسهل الوصول إليه[5] ،وإلى جانب وظيفة المساجد التعبدية التعبدية كإقامة الصلاة[6] وتعليم الناس الحلال و الحرام[7] كانت تؤدي رسالة حضارية حضارية في مختلف جوانب الحياة [8]جمعت بين الروح والمادة اللتين ساهمتا معا في

---

[1]بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.167.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.100،101.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص. 40.

[4] المسجد والمسجد هو المكان الذي يسجد فيه ،وجمعه المساجد ،وهو كل موضع يتعبد فيه ،وسجد يسجد سجودا أي وضع جبهته عل الأرض (أنظر: بن منظور ،**المصدر السابق** ،مج3 ،ص.240).

[5] أحمد عبد الفتاح رواس قلعة جي ،**مدخل إلى علم الجمال الإسلامي**، دار قتيبة، بيروت ،1991م،ص.61.

[6] طه الولي ،**المساجد في الإسلام**،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت ،1409ه/1998م ،ص.158.

خير الدين وانلي ،**المسجد في الإسلام:أحكامه ،آدابه،بدعه** ،ط4 ،المكتبة الإسلامية

[7]،الأردن،1419هـ/1998م،ص.211.

[8] إبراهيم بن صالح الخضيري ،**أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية**،د.ط، مطابع الشرق الأوسط ،الرياض ،د.ت.ط، ،د.ت.ط، ج1، ص.8.

تفعيل البناء الحضاري[1] ،وصارت بمرور السنين من أهم المراكز التي يلتقي فيها الطلبة بشيوخهم لأخذ العلوم الشرعية ودروس اللغة والنحو ،وهذا ما أشار إليه الونشريسي عندما استفتي في أمر جماعة كانوا يحلقون في المساجد للفتيا ومذاكرة العلم[2] ،لذا كانت تغص بحلقات الذكر والوعظ من إقراء لقرآن ونشر لحديث[3].

وباعتبار مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام وضع فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجر أساسه4 وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: "**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**"5 وفي فضله قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الصحابي أسيد بن ظهير الأنصاري "**الصلاة في مسجد قباء كعمرة**"6 ،ناهيك عن دوره الفعال كأول مؤسسة شرعية قامت بتبليغ شرائع الإسلام من عقيدة وعبادات ومعاملات7 لذا عمل النبي عليه السلام رفقة صحابته الكرام بعد انتقاله من قباء على تشييد مسجده في مكان كان قد اتخذه أسعد بن

---

[1] أحمد عبد الرحيم السايح ،المساجد ودورها الثقافي ،مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية ، دار العلوم، ديوبند ،الهند، العدد01 ،السنة 24 ،1421هـ /2000م ،ص.11.

[2] الونشريسي ،**المصدر السابق** ،ج9 ،ص.27.

[3] مفتاح محمد دياب ،**مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة العربية الاسلامية** ،ط1 ،الهيئة القومية للبحث العلمي ،بنغازي ،1401ه/1992م ،ص.35.

[4] أبو محمد عبد الملك الحميري المعارفي البصري ،**السيرة النبوية**،حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدماتها وفهارسها عبد الرؤوف سعد ،د.ط، دار الجليل ،بيروت ،د.ت.ط ،مج2، ج3 ،ص.22.

[5] سورة التوبة: الآية:108.

[6] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،**شرح السنة** ،حققه وعلق عليه: الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1412ه/1992م ،ج2 ،ص.190 ،حديث رقم:460.

[7] محمد حسن شراب ،**المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي** ،ط1 ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،1415هـ/1994م ،مج1 ،ص ص354،355 .

زرارة[1] للصلاة فيه مع أصحابه من قبل[2].

ولمكانة المسجد عند المسلين حرصوا على صيانته من كل ما هو داخل في باب الإذاية من طرح لقاذورات في محيطه[3] ونهي عن تجارة [4] أو إنشاد ضالة به[5].

وغرناطة كغيرها من أمصار الإسلام شهدت الأمر نفسه بل كانت في الكثير من الأحيان أشد تشبثا بهذه المؤسسة الشرعية الرئيسة خصوصا في فترات الاضطرابات ،سوءا الخارجية مع ممالك النصارى المجاورة وذلك ببعث روح الجهاد والحث على الدفاع عن ديار الإسلام أو الداخلية بإخماد الفتن وحركات الانقلابات المتكررة التي كانت تثيرها الفئات الناقمة على سياسة بعض سلاطين المملكة بين الفينة والأخرى ،من ذلك الثورة التي قام بها الشيخ علي بن أحمد بن نصر بمساعدة جملة من بني غرون ضد السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري[6] حيث تلي بمسجد غرناطة الأعظم نص بأمان الرعية على إثر التخلص من تلك المحنة [7].

---

[1] هو الصحابي الجليل أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن مالك من بني النجار ،شهد بيعتي العقبة ،وكان نقيبا على قبيلته من الخزرج ،توفي قبل غزوة بدر (أنظر: بن حجر العسقلاني ،**الإصابة في تمييز الصحابة** ،حقق أصوله وظبط أعلامه ووضع فهارسه: علي محمد البجاوي ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1412ه/1992م ،مج1 ،ص ص.54،55).

[2] محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ،**الطبقات الكبرى** ،دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418هـ/1997م ،مج1 ،ص.184 .

[3] أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي ،**آداب الحسبة والمحتسب**، تح: فاطمة الإدريسي ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1425هـ/2005م ،ص.106.

[4] يعد اتخاذ المساجد أماكن للمتاجرة من الأمور التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :" إذا رأيتم الرجل يبيع ويشتري في المسجد فقولوا :لا أربح الله تجارتك" (أنظر: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ،**صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان** ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ،ط3 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1418هـ/1997م ،مج4 ،ص.528، حديث رقم: 1560.

[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا" (أنظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ،**صحيح مسلم** ،ط 1 ،دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419هـ/1998م ،ص.228 ،حديث رقم:1260).

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.65 وما بعدها.

[7] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** ،مج2 ،ص ص.57،58.

ومما يوحي بمكانة المسجد وقدسيته لدى الغرناطيين تخصيصه بالهبات والعطايا وعدم قبض الأيادي عنه لتسهيل تأدية رسالته السامية ؛لعل أبرزها ما أغدق به الوزير الغرناطي أبو علي بن هدية جامع غرناطة حيث خصه بأوقاف ساهمت في توسعته وزيادة حوانيته وحماماته1.

وكذلك ما قام به الوزير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافري ت518ه/1124م الذي بنى حماما في جامع غرناطة الأعظم وشرع في توسعته حتى يتسع لجموع المصلين[2].

كما كانت تعتمد في مداخيلها على أوقاف البساتين والحوانيت المحبسة عليها رفقة البيوت وأجزاء من مداخيل عامة الناس ،والتي بدورها جعلت للإنفاق على الأئمة والمؤذنين والفقراء والراغبين في العلم وصرف رواتب المقرئين ومعلمي القرآن والحديث في المساجد والجوامع نظرا لدورها الهام في تدريس العلوم الشرعية ،ويذكر بن الخطيب في العديد من المناسبات أن طلبة العلم والحديث بالمساجد الغرناطية خصوصا على عهد بني نصر كان لهم أحباس أوقفت عليهم3.

وعلى حد تعبيره أن أبا عبد الله محمد بن محارب ت750ه/1349م تبرع بسخاء من مال وريع لفائدة الطلبة وحبس عليهم كتبه4 ،وهي مبادرات حسنة تكرر ورودها في أحيان مختلفة سجلها أهل السير والفتوى من ذلك ما أورد الونشريسي في فتوى لأبي القاسم بن سراج عن كتب كانت محبسة على المساجد من طرف بعض الواقفين منها التي كانت بخزانة جامع غرناطة النصرية ضواشتراطهم ألا تقرأ إلا به وإن خرجت فبرهن أو ثقة 5.

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.429.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.524.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.79.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.78،79.

[5] الونشريسي ،**المصدر السابق** ،ص ص.227،228.

والأمر ذاته كان مع أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ت710ه/1311م ثالث ملوك بني نصر الذي اعتنى بالمسجد الجامع بالحمراء أيما عناية من فخامة أعمدة وإحكام الإنارة ،ناهيك عن توقيفه لحمام كان محاذيا له مع كثير الإنفاق من أموال الجزية[1].

ولم يقتصر اهتمام الغرناطيين بمساجد وجوامع بلدهم بل تعدى ذلك إلى إمارات الأندلس قبل سقوطها من ذلك ما قام به عبد الملك بن حبيب السلمي الذي أوقف أرضه وبستان الزيتون على أحد مساجد قرطبة2.

وهذه السنة الحميدة نجدها تتكرر في الكثير من المرات كما هو حال محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصريحي ت 754ه/1353م الذي بنى العديد من المساجد ،حصل أموالها من مترفي وزراء الدول بالمغرب على إثر سفارة وجهه بن الخطيب إليها[3] ،وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكاتب ت 607ه/1210م الذي بنى مسجد دار القضاء وأصلح عدة مساجد من خالص ماله [4].

تلك المساهمات جعلت هذه المؤسسة العلمية تقوم بدور فعال في نشر الوعي بين العام والخاص نظرا لعددها الكبير الذي ناهز الخمسين مسجدا [5] ،فجامع الربض ومسجد البكري بغرناطة على سبيل المثال لا الحصر كانا يشهدان حركة نشطة ودءوبة لطلبة العلم ،يأخذون ما أمكن أخذه من العلوم من أفواه العلماء والمحدثين الذين حضوا في أرجاء المملكة الطيبة بسمو ورفعة نظرا لجودة بيانهم وحسن تفهيمهم كما هو شأن قاضي الجماعة الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعد بن بقي الذي كان ينهال عليه المتعلم والمستفيد والسامع [6] رفقة أقرانه من الشيوخ يجلسون في المساجد في حلق ويقرؤون الطلبة مختلف العلوم كما هو حال الشيخ أبو الحسن القيطاجي ت730ه/1329م الذي أقرأ بمسجدها

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.546،547.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص. 129 ؛مج3 ،ص ص.548،549.

[3] **نفسه** ،مج3،ص ص.190،191.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.211.

[5] **نفسه** ،مج1 ،ص.132.

[6] **نفسه** ،مج3 ،ص.40.

الأعظم الفقه والأدب [1] ،والحال نفسها مع أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العبدري ت 750ه/1349م الذي كان يقرأ كتب الحديث والرقائق[2] للعامة بالمسجد نفسه بأعذب نغمة وأمثل طريقة[3].

وكذلك الشيخ أبو الحكم محمد بن أحمد الغساني ت749ه/1348م الذي كان يحلق بمسجد مالقة الأعظم للتدريس والفتيا[4] ،ومحمد بن إبراهيم بن المفرج الشهير بابن الدباغ ت668ه/1269م الذي كان يقرأ للعلماء الفقه وأصوله وللعامة الفروع والعقائد في كل من مسجدها الجامع وبمسجد بن عزرة وبجامع باب البيازين [5].

ويذكر بن الخطيب في إحدى المناسبات ما حدث في هذا المسجد مع الخطيب محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ت721ه/1321م من أهل سبتة والذي ورد على غرناطة عام 692هـ/1292م أين عين خطيبا و إماما به وما كان من قيامه على المنبر للخطبة والمؤذن لم يرفع صوته للآذان بعد ،ظنا منه أنه فرغ من ذلك وكيف رد على من حاول إشعاره ببديهة ورد بديع[6].

زيادة على ذلك كانت مساجد غرناطة تتزاحم بالمصلين عند قدوم المشاهير لإلقاء الدروس والمواعظ بها كما هو حال مسجدها الجامع الذي كان ينزل به كل ذي شهرة بالعلم وصاحب سمت ووقار؛من ذلك قدوم أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.104.

[2] الرقائق مفرد رقيقة وهي اللطيفة الروحانية ،وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين ،كما تطلق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد (أنظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني ،**كتاب التعريفات** ،تحقيق وتقديم: إبراهيم الأبياري ،ط3 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1417ه/1996م ،ص.149 ؛محمد عبد الرؤوف المناوي ،**التوقيف على مهمات التعاريف** ،تح: محمد رضوان الداية ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1410ه/1990م ،ص.371).

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.97،98.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.66.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.69.

[6] **نفسه** ،مج3،ص .135 وما بعدها.

عام 718ه/1318م أين كان يقوم فيه على شرح كتب السيرة النبوية الشريفة ليعين بعدها إماما بمسجد قصر السلطان[1].

وكما كانت المساجد ملتقى للعلم وتنوير العقول فقد استخدمت في الكثير من الأحيان لتحقيق المآرب الشخصية وتمرير المشاريع التوسعية ؛من ذلك أمر والي غرناطة عتبة بن يحي المغيلي بسب محمد بن يوسف بن الأحمر أول سلاطين غرناطة النصريين على المنابر نظرا لخصومته الشديدة معه[2].

أدى هذا الاهتمام الجاد بالمسجد بمرور السنين إلى حنق أعداء الملة عليه لهذا وبمجرد سقوط غرناطة لجأ فرناندو وأعوانه إلى طمس هذه المعالم مثل ما حدث مع مسجد حي البيازين الذي تم تحويله إلى كنيسة سميت باسم سان سلفادور[3] كما تم تشييد كتدرائية غرناطة فوق أنقاض مسجدها الجامع[4] ،والأمر نفسه حدث من قبل لمسجد قرطبة قرطبة الجامع إذ حول بدوره إلى كنيسة فور سقوطها في يد القشتاليين سنة633ه/1235م[5].

3/ المدرسة:

جاء ظهور المدرسة[6] كمؤسسة علمية في أولى عهود الإسلام متأخرا إذا ما قورن بالكتاتيب والمساجد نظرا لاستئثارهما بنصيب كبير في التكوين العلمي سواء للصبيان أو الكبار[7] ،غير أنه وباتساع حلقات الذكر والمناقشات والجدل التي أثرت على السير الحسن لأداء المسجد وظيفته السامية والمتمثلة في العبادة أدى ذلك إلى استحداث بدائل لنشر

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 3 ،ص ص.200،201.

[2] بن الخطيب ،**اللمحة البدرية**، ص.35 .

[3] عنان ،**نهاية الأندلس**، ص ص.315،316.

[4] **نفسه** ،ص.83.

[5] **نفسه** ،ص.34.

[6] المدرسة في اللغة مأخوذة من المدراس والمدرس أي الموضع الذي يدرس فيه ومنه المدراس وهو البيت الذي يدرس فيه القرآن ،ويقال للذي قرأ الكتب ودرسها المدارس (أنظر: بن منظور ،**المصدر السابق** ،مج6 ،ص.80).

[7] أحمد علي الملا ،**أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية** ،ط2 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1417ه/1996م ،ص.51.

العلم فظهرت المدرسة كمؤسسة علمية لها قواعدها ونظمها[1] ،حيث وجب على المدرس أخذ أوقات التدريس بعين الإعتبار سواء من حيث التقديم أو التأخير حتى يتسنى للطلبة حضور الدرس ؛فإن قدمه قبل شروق الشمس أو أخره إلى ما بعد الظهر حرم من قبض راتبه نظرا لمخافته العرف المعتاد في ذلك[2] ،كما لزمه أن يحسن إلقاء الدرس وتوضيحه للحاضرين مع مراعاته لحالهم ،فإن كانوا مبتدئين يتدرج في تعليمهم من الأسهل إلى السهل حتى ينتهي بهم إلى أعلى درجات فهم المسائل[3] ،دون إهماله الظهور بهيئة لائقة في مجلس التدريس من لبس أحسن الثياب وأنظفه ووضع أجود الطيب[4].

هذه المظاهر وغيرها أثارت اهتمام العديد من مشاهير العلماء الذين أوردوا بدورهم مؤلفات خاصة جاءت على شكل إرشادات وتنبيهات للمعلمين والمتعلمين على حد سواء ؛من ذلك ما ألفه الإمام بن حجر الهيثمي ت973ه/1565م[5] ،ومحمد بن أبي زيد في كتابه كتابه **حكم المعلمين والمتعلمين** [6] ،وكذلك أحمد بن زيد البلخي ت322ه/933م صاحب كتاب **العلم والتعليم** [7] ،وأبو نعيم في كتابه **رياضة المتعلمين** [8] ،وكتاب **الرسالة في طلب طلب العلم** لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ت386ه/996م إمام المالكية ببلاد المغرب في وقته[9].

---

[1] مفتاح محمد ديب ،**مقدمة في تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية** ،ص ص.37،38.

[2] بدر الدين بن جماعة الكناني ،**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.44.

[3] السبكي ،**المصدر السابق** ،ص.105.

[4] بن جماعة ،**المرجع السابق** ،ص.31.

[5] أبو العباس أحمد بن علي بن حجر الهيثمي ،**تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال** ،تح: محمد سهيل الرس ،وإشراف محمود الأرناؤوط ،ط2 ،دار بن كثير ،بيروت ،1407هـ/1987م.ص.15 وما بعدها.

[6] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.559.

[7] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1440.

[8] بن الأبار ،**المصدر السابق** ،ص.181.

[9] القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي ،**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ،دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م ،ص.223.

وتعتبر مدرسة أبو بكر بن فورك ت 406ه/1015م[1] ومدرسة أبو بكر البيهقي ت 485هـ /1092م بنيسابور من أولى المدارس التي ظهرت في بلاد المسلمين[2] تلتها فيما فيما بعد مدارس بغداد على العهد العباسي كمدرسة مشهد أبي حنيفة عام 459ه/1066م[3] ،ومدرسة توركان خاتون ت487ه/1094م[4]- زوجة السلطان ملك شاه السلجوقي[5] –غير غير أن أشهرها هي مدارس نظام الملك السلجوقي ت485ه/1092م[6] في كل من البصرة والموصل ونيسابور والتي اشتهرت بتدريسها للعلوم الشرعية وعرفت بالنظامية نسبة إليه[7].

واختلفت تلك المدارس من جهة النوع والوظيفة ؛فمنها ما لا يعدو أن يكون منزلا صغيرا يتخذه صاحبه لتلقين الدروس لطلبة العلم ،وهذه عرفت بالأهلية كمدرسة أبي حاتم بن حيان السبتي ت304ه/916م التي أوقف بها كتبا وجمعها في داره[8] ،أما النوع الآخر

---

[1] أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تح: إحسان عباس ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،1978،ج4 ،ص.272.

[2] تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ،**المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2 ،ص.363.

[3] أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ،**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1359ه ،ج8 ،ص.84.

[4] بن الجوزي ،**المصدر السابق** ،ج9 ،ص.84.

[5] هو السلطان أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق بن دقاق الملقب بجلال الدولة ،اشتهر برعايته للقائمين على على المدارس والرباطات ،ناهيك عن أعماله الجليلة في خدمة الإسلام من فتوحات وإرساء للأمن وإقامة العدل بين الرعية (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج5 ،ص.283 وما بعدها).

[6] هو الوزير أبو علي الحسن بن علي بن بن العباس الملقب بنظام الملك ،بنى المدارس والربط والمساجد ،وكان مجلسه مجلسه عامرا بالفقهاء والصوفية مقدما لهم كما هو حال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وأبو القاسم القشيري (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص.182 وما بعدها).

[7] جرجي زيدان ،**تاريخ التمدن الإسلامي** ،ج3 ،ص.203.

[8] ياقوت الحموي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.418.

فهو المدارس التي احتوت على مسجد للطلبة والمدرسين بحيث يكون للدولة باع طويل في إنشائها كما هو شأن نظامية بغداد[1].

ليتسع نطاق تشييدها فيما بعد وينتقل هذا التقليد إلى بلاد المغرب[2] ومن بعدها إلى الأندلس التي يقول عنها المقري أنه ليس لأهلها مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة "[3] ،ويشاطره الرأي خوليان ريبيرا الذي يذهب إلى القول بأن وجود المدرسة ببلاد الأندلس يرجع إلى التأثير الأوروبي الذي بدأت معالمه تتضح بإنشاء ألفونسو العاشر أول مدرسة إسلامية بمرسية نظرا لشغفه الشديد بالعلوم مهما اختلفت مصادرها ثم يذكر أنه سلمها لأحد العلماء المسلمين الذي كان ضليعا في معارفه متعمقا في كافة العلوم ولا يقصد بذلك العلوم فحسب ،وإنما تلك التي يطلق عليها اسم العلوم القديمة من هندسة وطب وموسيقى ومنطق وباقي فروع الفلسفة[4].

هذا العالم هو أبو بكر محمد بن أحمد الرقوطي الذي اشتهر بتقديم علومه إلى المسلمين والنصارى واليهود ،فوصلت أخباره مدينة غرناطة التي تحرك سلطانها أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالفقيه (671-701ه/1272-1301م) بدعوته للانتقال إلى مدينته وبعد إلحاح غادر مرسية وانتقل إلى غرناطة حيث أنزله سلطانها في أعدل بقع حضرته وبقي بها إلى غاية وفاته[5].

وتعد هذه المبادرة أول محاولة رسمية لإقامة مدرسة بغرناطة والتي تأسست فيما بعد عام1349/750م وعرفت باسم المدرسة النصرية وأطلق عليها كذلك جامعة غرناطة ؛وهي التي أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف(733-755ه/1332-1354م) فعلا ذكرها

---

1 Dodge bayard : muslime education in medieveal time , the middle east institute Washington, 1962,p .20.

2 عبد العزيز محمود لعرج، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ،مجلة الدراسات الإنسانية الإنسانية ،تصدر عن كلية العوم الإنسانية،العدد 1،السنة 1421هـ/2001م ،ص.118.

3 المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.220.

4 Julian Ribera y tarrago, op.cit, p p.18.19.

5 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.67،68.

في ظل حكم بني نصر سلاطين غرناطة ،بحيث صارت قبلة لطلبة العلم من الأندلس والمغرب وبلاد النصارى.

كان موقعها تجاه المسجد الجامع الذي أنشأت مكانه الكنيسة العظمى[1] ،ويحتفظ متحف غرناطة للآثار بقطع رخامية لبقايا لوحة هذه المدرسة ،التي يقول عنها غرسيا غومس أن يوسف الأول افتتحها مقلدا المدارس الشهيرة على الشاطئ الآخر من مضيق جبل طارق ومغايرا للتقاليد الأندلسية في مجال التعليم[2].

لقد كانت هذه المدرسة من المشاريع الهامة التي شغلت حاشية السلطان أبو الحجاج يوسف والتي عرف عنها حبها للعلم و توقير أهله ؛فيذكر بن الخطيب أن الحاجب رضوان النصري كان من المهتمين والمشاركين في إحداث هذه المدرسة ،إذ سبب لها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة وانفرد بمنقبها وجلب إليها الماء من النهر حتى جاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرا وظرفا وفخامة[3].

وكثرت أوقافها فيما بعد وهو ما أدى إلى تعيين مسؤول لها وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الذي أوكلت له مهمة مراقبة أحباسها ؛حيث يقول عنه بن الخطيب: " وهو الآن بالحالة الموصوفة مستوطنا حضرة غرناطة، وتاليا للأعشار القرآنية بين يدي السلطان أعزه الله ،مرفع الجانب، معزز الجراية بولايته أحباس المدرسة "[4].

كما أنها توفرت على أماكن معدة لإقامة المحترفين ببضاعة الطلب والمتسمين بالخير ؛شأن ذلك قاضي الجماعة بفاس وتلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري الكبير ت759ه/ 1357م الذي سكن بها حينا من الزمن[5] ،وهذه الصفة لم تكن خاصة بغرناطة دونها من الإمارات الأخرى ؛كون أغلب المدارس التي عرفت في تاريخ الإسلام

---

[1] عنان ،**الآثار الباقية** ،ص.172،171.

Emilio Garc�a G�mez, cinco poetas musulmanes : biographias y estudios, secunda edicion [2] austral. n=513 . Madrid,p.190.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.509،508 .

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.196 وما بعدها.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص.199.

اشتملت على أماكن للراحة وخزن الأمتعة ومساكن للطلبة الذين يفوق سنهم العشرين سنة ويحضرون دروس العلم ومجالس الإقراء[1] ،كما كان التعليم مجانيا في أغلب الحالات إذا ما استثني أبناء الأغنياء الذين تلقوا تعليمهم على أيدي شيوخ خصوصيين[2].

وذكر المقري بدوره أنها خصت بمكتبة أمدها سلاطين بني نصر بالعديد من الكتب اشترطوا وقفها عليها ؛كما هو حال كتاب الإحاطة الذي كتب صيغته الفقيه الغرناطي أبو يحي بن عاصم[3].

وقد اختلفت هذه المدرسة عن نظيراتها من المدارس الإسلامية من حيث نمط التدريس وعدد المدرسين وشهرتهم ؛كما هو حال الرقوطي الذي كان يلقي دروس في العلوم العقلية[4] ومحمد بن علي بن أحمد الخولاني ت754هـ/1353م يدرس النحو[5] ،وأبو علي منصور بن عبد الله الزواوي يدرس الحساب والهندسة [6] ،وأبو زكريا يحي بن بن هذيل ت753ه/1352م يقرأ الأصول والطب[7].

إضافة إلى مكانة هؤلاء المدرسين العلمية لم يكن من السهل على أي فرد أن يظفر بمنصب بها نظرا لكونها أحد الرموز الهامة لدولة بني الأحمر ،فكان السلطان في أغلب الأحيان هو من يعين المدرسين مع توصيات كبار العلماء عن من يرون فيهم الصلاح والعلم ؛منها تزكية منصور بن علي بن عبد الله الزواوي الذي أوصى به إمام الصنعة العربية الشيخ أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالإلبيري على حد قول بن الخطيب[8].

أدت هذه المدرسة دورا فعالا في تبليغ العلم نظرا لما كانت تقدمه لهذا المطلب الشريف من تسهيلات ،فنجدها بمثابة قبلة سواء للطلبة أو العلماء من داخل غرناطة أو

---

[1] الونشريسي ،**المصدر السابق** ،ج7 ،ص.7.

[2] لبيب عبد الستار ،**الحضارات** ،ط14 ،دار المشرق ،بيروت ،1997م ،ص .270.

[3] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.55.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.68.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص ص. 35،36.

[6] **نفسه** ،مج3 ،ص.325.

[7] **نفسه** ،مج4 ،ص.390.

[8] **نفسه** ،مج3 ،ص.342 وما بعدها.

من خارجه ؛ فالطلبة كانوا يأتون لمجالسة العلماء وأخذ ما أمكن أخذه بغية التحصيل والتدرج في المراتب العلمية ،والعلماء كانوا يلبون دعوات السلاطين للإقراء بها سواء من أهل الأندلس كما هو حال محمد بن محارب الصريحي المالقي ت750هـ/1349م الذي دعي للتدريس بالمدرسة النصرية عام 749هـ/1348م والذي عهد بدوره بريع كبير لطلبة العلم وحبس عليهم كتبه[1] ،أو من أهل المغرب مثل محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني ت771هـ/1369م الذي قدم سفيرا عن السلطان أبو الحسن المريني إلى غرناطة أواخر عام 748هـ/1347م فأقعده سلطانها للإقراء بها مع تقليده الخطبة بالمسجد الجامع إلى غاية أواخر عام 754هـ /1353 م [2].

وبقيت على ذلك المنوال إلى غاية عهد أبي عبد الله آخر سلاطين غرناطة حيث ذكر المقري أن أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي كان شاعر بلاط السلطان المفضل ولقبه بالمدرس وهذه قد تكون إشارة إلى مزاولته مهنة الإقراء بالمدرسة الغرناطية[3].

3/ الرباط :

عدت الرباطات [4] من المظاهر الخاصة التي ميزت الأندلس منذ أولى سنوات الفتح لها ولعل أولى الإشارات إلى هذه المراكز بها هو ما ذكره المقري عند حديثه عن عقبة بن حجاج السلولي ت123هـ/740م والي الأندلس الذي بنى رباطا على حدود أربونة جعله قاعدة لعمليته الجهادية[5] ،غير أن بن حيان ثقة مؤرخي الأندلس أقر أن أول رباط عسكري هو ذلك الذي اعتصم فيه المتطوعة للجهاد نتيجة لغارات النورمان الأولى على

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.78،79.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.103 وما بعدها.

[3] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج1 ،ص.103.

[4] مأخوذة من الرباط والمرابطة وهو ملازمة ثغر العدو ،ومنه المواظبة على الأمر وفي الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها (أنظر: بن منظور ،**المصدر السابق** ،مج7 ،ص.302).

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص ص.19،20.

السواحل الأندلسية[1] ،وبمرور السنين شهدت هذه البقاع تطورا ملحوظا انتقلت فيه المهمة من مجرد مواجهة المتربصين بحواضر بلاد إلى مراكز لتعليم وحفظ القران الكريم[2].

وأدت هذه المؤسسة التعليمية رسالة حضارية فعالة سواء في تنشئة الأجيال المجاهدة للدفاع عن سلامة البلاد من الأعداء المتربصين بها [3] وبالتالي المحافظة على المكتسبات أو من حيث مساهمتها في تنوير من يرتادها من طلبة العلم والمتطوعة يدرسون بها القرآن الكريم ومختلف العلوم ويقيمون فيها الصلوات وينمون فيها روح التعاون والتآخي ابتغاء لمرضاة الله [4].

وبما أنها شهدت انتشارا واسعا في غرناطة فقد كانت لها دورا كبير في سير النشاط العلمي ،خصوصا في الفترات التي شهدت تزايد تحرشات القوى النصرانية على تخوم أراضيها بزعامة قشتالة[5] ناهيك عن تقبل المسلمين لحماس الدفاع عن ممتلكاتهم فوجدوا بين الانعزال الروحي والمران العسكري ملاذا هاما لطموحاتهم[6].

ولعل من أشهر تلك الرباطات رباط العقاب الذي كان يتعبد فيه الفقيه الغرناطي أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الشهير بالإلبيري ت459ه/1066م[7] ،وذكر ابن الخطيب

---

[1] بن حيان ،**المصدر السابق** ،ص.24 .

[2] إبراهيم الفيومي ، **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1417هـ/1997م ،ص.15.

[3] عبد الله السويسي ،**المرجع السابق** ،ص.52.

[4] كانت هذه الميزات مشتركة في أغلب الرباطات التي أنشأت سواء ببلاد المغرب أو الأندلس كما هو حال الرباط الذي أنشأه الفقيه المرابطي عبد الله بن ياسين ت450ه بجدالة حينما طلب منه شيخه واكاك بن زلو اللمطي مرافقة الجوهري بن سكن الجدالي الذي مر بالسوس عائدا من الحج إلى بلده فرافقه إليه ؛أين أقرأ الناس وأظهر الإيمان بتغيير المنكر ،لينتقل فيما بعد إلى لمتونة التي ألزم أهلها بصلاة الجماعة وعاقب كل من تخلف عنها بعشرة أسواط لكل ركعة تفوته (أنظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تح: عبد القادر الصحراوي ،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1403ه/1983م ،ج8 ،ص ص.81،82).

[5] حكمت علي الأوسي ،**الأدب الأندلسي في عصر الموحدين** ،ص ص.214،215.

[6] ليفي بروفنسال ،**حضارة العرب في الأندلس** ،ص.62 ؛ليفي بروفنسال ،**الشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية** ،ص.35.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة**، مج2 ،ص.155.

أن أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين ت669ه/1270م صاحب كتاب **بد العارف** في التصوف زاره في جملة من أتباعه[1].

وكذلك رباط المحروق الواقع في أعلى حي نجد والذي ينسب إلى أحد زعماء مدينة غرناطة وأعيانها وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن المحروق[2].

والشأن نفسه مع رباط ألميرية الذي أعتبر لفترات عديدة قاعدة رئيسة للأسطول الإسلامي الأندلسي[3].

ولم يقتصر الاهتمام بالرباطات والعناية بها على أمراء غرناطة وسلاطينها بل تعداه إلى أمراء الدول الإسلامية من ذلك معاهد به سلطان فاس أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني من أموال الصدقات لبعض رباطاتها عام 762هـ/1360م قدم بها قاضي الحضرة الفاسية أبو العباس بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب[4].

دور الحكام في الحياة العلمية:

شهدت الأندلس فترات عديدة من التمزق السياسي وذلك بانقسامها إلى ممالك عديدة تنازعت فيما بينها وأهم هذه الفترات ما عرف بعصر الطوائف بممالكه الصغيرة[5] ،ولكن ذلك لم يمنع من بزوغ قفزة ثقافية أعطت ثمارا لما سبقها من مراحل استقرار التي كانت من ذي قبل ويرجع ذلك إلى عمل حكام تلك الممالك على تقريب على ما أمكن تقريبه من علماء وأدباء وفلاسفة وأطباء ساهموا بقسط وافر في إذكاء روح تنافس العلمي [6] ،وفي هذا الصدد يورد المقري قول الشقندي :" وكان في تفرقهم اجتماع

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.37.

[2] **نفسه** ،مج3 ،273.

[3] الحميري ،**المصدر السابق** ،ص.537.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.188.

[5] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،ج3 ،ص. 43.

[6] ليفي بروفنسال ،**حضارة العرب في الأندلس** ،ص. 20.

على النعم لفضلاء العباد ،إذ انفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور المنظوم ،فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني[1].

وكان تشجيع العلماء بالأندلس عادة حميدة سار عليها حكام وأمراء البلاد طيلة قرون عديدة نظرا لما لها من دور هام في توطيد ركائز الحكم ومسايرة تطورات الأحداث ،إضافة إلى ثقافة ولاة الأمر التي تميزت بكونها إسلامية بحتة أساسها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هذا ما جعلهم يخضعون المؤسسات التعليمية لمناهج تدريس شرعية[2] ،ناهيك عن المكانة الجليلة التي كان يحظى بها أهل العلم لدى العامة والخاصة وتقديرهم لهم على حد سواء ؛بالإضافة إلى أنهم كانوا على دراية واسعة بفنون عدة ،لذا كانت تعقد مجالس المناظرات العلمية والمساجلات الأدبية على مرأى منهم مرة في الأسبوع أو أكثر[3].

كما كانوا يبذلون من مالهم ووقتهم الشيء الكثير للعلماء والأدباء ،لذالك راجت دولة العلم والأدب رواجا كبيرا وكثر التأليف والتصنيف على حد تعبير بن النديم[4].

ويذكر المقري أن العالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ،يشار إليه ويحال عليه ،وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة [5] ؛وهذه السمة لم تكن في غرناطة فحسب بل كانت غالبة على أمراء الأندلس عامة طيلة قرون عديدة ،ففي

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص 190.

[2] حامد الشافعي دياب ،**الكتب والمكتبات الأندلس** ،ط1 ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998م ،ص. 31.

[3] يوهنس بيدرسن ،**الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة** ،ترجمة حيدر غيبة ،د.ط، دمشق ،1989 م ،ص61 .

[4] شعبان خليفة ووليد محمد العوزة ،**الفهرست لابن النديم** ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1991م ،مج1 ،ص. 10. 10.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص. 211.

قرطبة شهد عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل(172- 180 هـ/788 – 796 م) تشجيعا حقيقيا على التعليم واتخذ مؤدبين لأبنائه اشتهروا بالعلم وحسن الخلق حتى أنه أسكن بعضهم في داره كشمر بن نمير الذي أنزله في الدار المعروفة بسلار[1] ،زيادة على تعيينه للعالم الكبير وكيبة بن ربيعة مؤدبا خاصا بولي عهده الحكم بن هشام ت206هـ/821م [2] الذي يقول عنه غونثالث بلنثيا :" أن تسامح الحكم مع العلماء لم يكن له حدود مما دفعهم للالتفاف حول بلاطه ،ولقد قام بحمايتهم وتشجيعهم حتى الفلاسفة منهم" [3].

وفي إشبيلية شهد الشعر على عهد المعتمد بن عباد ازدهارا كبيرا كون الأمير نفسه كان شاعرا الأمر الذي جعل أغلب حاشيته من الشعراء [4]،وكذلك عند بني المظفر [5] أمراء بطليوس إذ كانوا ملجأ لأهل الآداب ،فالمظفر يحي بن منصور ت 460ه/1067م كان شديد الحرص على جمع علوم تأدب من نحو وشعر ونوادر الأخبار وعيون التاريخ ،وانتخب مما اجتمع له من ذلك كتاب كبير ترجمه باسمه [6].

غير أن مجاهد العامري [7] صاحب دانية خالف أمراء عصره؛ فرغم ما عرف عنه من نبوغ في علوم مختلفة [8] إلا أنه كان شديدا مع الشعراء من خلال تتبعه لقصائدهم كلمة

---

[1] بن الفرضى ،**المصدر السابق** ،ص. 165.

[2] بن الأبار ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.65 .

[3] غونثالث بالنثيا ،**المرجع السابق** ،ص.448.

[4] عبد الواحد المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.94

[5] نسبة إلى عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر،تلقب بالمظفر سيف الدولة بعد وفاة أبيه في رمضان سنة392ه/1001م ؛غزا سبع غزوات منها إلى بلاد الفرنجة ومنها إلى بنبلونة ومنها إلى غيلسية.(أنظر: بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.83 وما بعدها).

[6] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.78.

[7] هو أبو الجيوش ذو الوزارتين مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية ،صاحب الوقائع الشهيرة والخلال الفضيلة الفضيلة من إجلال أهل العلم وتقدم فروسية وغزوات ضد الروم (أنظر: بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.217 وما بعدها).

[8] عنان ،**دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ،ص.414.

كلمة كلمة، ناقدا لقوافيها، لذا أحجموا عن مدحه نظرا لإجحافه عن تكريمهم[1] ،والأمر نفسه نجده عند المرابطين الذين امتدت سلطتهم إلى غرناطة على عهد الاضطرابات التي كانت تشهدها الأندلس بين الحين والآخر،فالأمير المرابطي أبو محمد بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين لما دخل غرناطة في ذي الحجة عام 523ه/1125 م عكف على إكرام الفقهاء وطلبة العلم وإغداقهم بالمنح للمناظرة وسماع الطريف من أخبار الأولين[2] سالكا في ذلك نهج أسلافه؛ فالأمير يوسف بن تاشفين عرف عليه رعايته للفقهاء والصلحاء وإجرائه الأرزاق عليهم من بيت المال طيلة أيامه[3].

واشتهرت في العصور الوسطى ظاهرة استدعاء الحكام و الملوك لأهل العلم وتقريبهم منهم ؛وغرناطة بدورها كان لها الحظ الأوفر في ذلك ،فهاهو الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي يستقبل الشعراء بمجلسه ويغدقهم بالعطايا أمثال الشاعر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي ت 465 هــ / 1072 م[4] ،والشاعر عبد الرحمن بن الحاج الحاج القيمي [5] والشأن نفسه مع الأمير عبد الله بن بلكين الذي استدعى إلى بلاطه الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن مالك المري ت 481 هــ/1088 م[6].

كما عرف بنو نصر بدورهم الجلي في رعاية العلماء والأدباء ؛لذا عمر بلاطهم بالتقاليد العلمية الزاهرة على اختلاف أقسامها ؛فنجد السلطان محمد بن الأحمر ت671ه/1272م اشتهر بولعه الشديد بالعلوم ،هذا ما جعله من أبرز حماة العلم والأدب بغرناطة الذين جعلوا أيام خاصة لقراءة أحاديث الصحيحين واستقبال الشعــراء وسماع

---

[1] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص.156.
[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.449،450.
[3] بن أبي زرع ،**المصدر السابق**،ص38.
[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص234.
[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.517.
[6] **نفسه** ،مج2 ،ص.282.

قصائدهم ،حيث كـــان صالـــــــح بن شريف الرندي ت684هــ /1285م [1] صاحب مرثية الأندلس الشهيرة من خاصة مقربيه الذين يحب سماع ما تفيض به قرائحهم[2].

وسار خلفه على نفس النهج ؛حيث أن السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه (671- 701 هــ/ 1272 – 1301م)[3] ثاني ملوك غرناطة كان عالما متمكنا يهوى مجالس العلم ولا يتوانى في تكريم العلماء ؛من ذلك استقدامه لمحمد بن أحمد الرقوطي المرسي الذي ذاع صيته ببلده ونبغ في فنون عديدة كالهندسة والطب والمنطق والفلسفة ،فأنزله أحسن المنازل وجعله لمناظرة كل من ينتحل صناعة أو علما[4].

علما[4].

والشيء نفسه مع الأستاذ المتفنن محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي ت 715هــ / 1315م الذي استقدمه من مدينة بجاية فانتفع الناس به في الحساب وعلم الهيئة وأقرئهم كتابه الكبير وزيجه الكبير ،ناهيك عن كتابه الحيوان والخواص[5].

وكذا الأمر مع السلطان أبو عبد الله محمد الملقب بالمخلوع الذي اشتهر بنظم الشعر الرقيق على حسب ما أورده لنا بن الخطيب في قصيدة من نظمه:

واعدني وعدا وقد اخلفا أقل شيء في الملاح الوفا
وحال عن عهدي ولم يرعه ما ضره لو أنه انصفا
ما بالها لم تتعطف على صب لها مازال مستعطفا

---

[1] هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ويكنى بأبي الطيب، كان فقيها حافظا متفننا في النثر والنظم،له مقامات ومختصر في الفرائض وكتاب سماه "الوافي في نظم القوافي"، اشتهر بنونيته الشهيرة في وصف حال الأندلس الذي تهاوت إماراته الواحدة تلو الأخرى (أنظر: المقري ،**نفح الطيب** ،مج4 ،ص.486).

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.95.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.565 ؛ بن الخطيب ،**كناسة الدكان** ،ص.20.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.67،68.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.69،70.

يستطلع الأنباء من نحوها ويرقب البرق إذا ما هفا [1]

ولم يقتصر اهتمام بنو نصر على علماء ومشاهير غرناطة فقط بل تعداهم إلى الغرباء والوافدين عليها ؛مثل الشاعر محمد بن حسن العمراني الفاسي ت748ه/1347م الذي أغدقه السلطان أبو الحجاج يوسف بالهدايا وأمر له بكسوة، فنظم فيه قصيدة منها:

خذ ذا أبا الحجاج من خير مادح لخير مليك في البرية مرتضا

فقد كان قبل اليوم غاض قريضه فلما رأى الإحسان منك تقيضا

ونظم الفتى يسمو على قدر ما يرى من الجود مهما ينقضي نيله انقضا [2]

والحال نفسها مع الأديب أبو عبد الله محمد بن عمر المليكشي ت 740هـ / 1339م الذي لقي بها حفاية وانسحبت عليه بها جراية[3].

ولم ينحصر تشجيع العلم وحملته على دعم سلاطين غرناطة فقط ،بل تعداه إلى الوزراء الذين أدوا دورا هاما في دفع عجلة تلك الحركة العلمية المزدهرة ؛وذلك حسب ما ذكره بن الخطيب من أنه قام بدعوة العديد من ذو العلم والوجاهة ،كالفقيه محمد بن محمد العبدري ت 753هـ / 1352م من سبتة وحمله إلى غرناطة أين أسندت له مهمة الإقراء فبقي بها إلى أن وافته المنية [4] ،ومنها حرصه على تثبيت أبي عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني المعروف بالعواد ت 750هـ/1349م للإقراء بقوله " طلب للتصدر

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.545،546.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.523،524.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.563.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص-ص.27-31.

للإقراء فأبى لشدة انقباضه فنبهت بالباب السلطاني على وجوب نصبه للناس ،فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته فانتفع به "[1].

والأمر نفسه مع محمد بن عبد الله الخولاني إذ قال عنه: " وترقى إلى هذا العهد بإشارتي التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان والرياسة القرآنية بباب الإمارة والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة[2] ،وكذلك اجتذابه للشاعر محمد بن علي بن عبد الله العرادي (731-755هـ/1330-1354م) إلى الدار السلطانية [3].

كما أشاد بدور الوزير أبو عبد الله بن أحمد المحروق ت729هـ /1328م وزير السلطان الغرناطي بن عبد الله بن إسماعيل بن الأحمر ؛حيث أحظى هذا الوزير الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن فتوح اللخمي ت 730هـ/ 1329م بعناية كبيرة إذ قال عنه :" واختصه ورتب له بالحمراء جراية وقلده نظره خزانة الكتب السلطانية" [4] ،والحال نفسه حدث مع الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد الشراط الذي استدعي للكتابة بالباب السلطاني ،فلقي من العناية والاهتمام ما يليق بأمثاله[5].

كما أن اهتمام باقي السلاطين بشأن العلوم جعلهم يحرصون على تعليم أبنائهم واختيارهم لأحسن المعلمين ؛ذلك ما ذكره بن الخطيب عن السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيلالنصري أنه كان يخرج بنفسه طلبا لمعلمي قران لأبنائه [6].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 3،ص-ص.33-35.
[2] **نفسه** ،مج 3 ،ص ص.167،168.
[3] **نفسه** ،مج 2 ،ص ص.286،287.
[4] **نفسه** ،مج3 ،ص-ص.23-25.
[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.441.
[6] **نفسه** ،مج2 ،ص.39.

دور العلماء في الحياة العلمية:

ساهمت أفواج العلماء التي قدمت على غرناطة سواء من المشرق أو المغرب الإسلاميين في دفع الحركة العلمية وازدهارها،وذلك عن طريق نشر العلم بين الناس حيث شهدت هذه الأخيرة فرار عديد من العلماء وعائلاتهم إليها بحكم أنها صارت ملجأ لهم بعد سقوط الأندلس كما هو حال الفقيهين أبو محمد عبد الله بن أيوب الأنصاري ت562هــ/1166م صاحب كتاب **المنوطة في الفقه المالكي**[1] ،وعبد العزيز بن على بن الإمام الأنصاري من أهل سرقسطة ، حيث كانا كأمثالهم من عديد العلماء يساهمون بدورهم في إثراء خزائن الكتب عن طريق وقف مؤلفاتهم عليها سواء بأنفسهم أو عن طريق وصاية يشيرون فيها إلى وقفها على مدارس معينة ،وهي النظرة التي يضيفها المقري عن كتاب **الإحاطة بأخبار غرناطة** الذي تم وقفه على المدرسة اليوسفية [2].

كما أنه وجد منهم من كانت لهم مكتبات خاصة تعرضت للنهب والإتلاف كما هو حال أبو جعفر أحمد بن الزبير ت 708هــ/1308م التي ضاعت أغلبها بسبب استيلاء الغوغاء عليها [3] ،وهذه الحالة تكررت فيما بعد مع كتب بن الخطيب الذي أحرقت كتبه أمام مرأى الجميع على إثر اتهامه بالزندقة ومخالفته لأمور الدين[4].

كما أن أبا عبد الله محمد بن محارب الصريحي ت 750هــ /1349م تصدق بمال كثير وعهد بريع مجد لطلبة العلم وحبس عليهم كتبه [5] ،ولم تنحصر مساهماتهم في هذا الحد بل تعدته إلى أبعد من ذالك وهو ما حدث مع أبو عبد الله محمد عبد الرحمن الكاتب

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.405.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج7 ،ص ص102،103 .

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.191.

[4] خوليان ريبيرا ،**التربية الإسلامية في الأندلس:** أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ،ترجمة: الطاهر أحمد مكي ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1994م ،ص191.

[5]،مج3 ،ص.79.

ت607 هـ /1210م الذي بني مسجد دار القضاء من ماله وتأنق في بنائه وأصلح مساجد عدة [1].

ومن العلماء من لم تشغلهم مناصبهم السلطانية كما هو حال الفقيه المحدث أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي ت 708 هـ/1308م الملقب بذي الوزارتين حيث كان شغوفا بجمع الكتب حتى ضاقت خزائن قصوره بها[2].

دور العامة في الحياة العلمية :

كان لأهل العلم مكانة رفيعة ومرموقة لدى أهل غرناطة وسلاطينها كغيرهم من أهل الأندلس وأمرائه من قبل ،فعند الرعية أولوا عناية فائقة بتربية أبنائهم وتعليمهم بحيث كانوا ينظرون إلى المعلم دوما نظرة إجلال وتوقير ،كونه أدرى الناس بطرق تعليم الطلبة وأحرصهم على مصالحهم ناهيك عن تحسين خلقهم وإصلاح شأنهم[3].

لذا حرصوا كثيرا على اختيار مؤدبي أولادهم ممن اشتهروا بالعلم الغزير والأخلاق الحسنة ،وهو ما يفهم من قول للعالم الأندلسي أبو بكر بن العربي ت543ه/1148م بين فيه مدى اهتمام الآباء بذلك "...كنت يوما مع بعض المعلمين فجلس إلينا أبي رحمة الله عليه يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه مع عظيم انشغاله ..."[4] ،وأضاف في مناسبة أخرى أن أباه قرنه بثلاثة من المعلمين أحدهم لظبط القرآن والثاني لعلم العربية والثالث للتدريب في الحسبان[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.211.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.446.

[3] بن جماعة ،**المصدر السابق** ،ص ص.49،50.

[4] أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي ،**قانون التأويل** ،دراسة وتحقيق: محمد السليماني ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1990،ص.76.

[5] **نفسه** ،ص.70.

ولعل من دلائل اهتمامهم بالعلماء ما ساقه أبو زيد عبد الرحمن الغرناطي المعروف بابن القصير من أن العامة بغرناطة خرجوا بعدد لا يحصى رفقة ما يزيد عن مائتي راكب للقاء الفقيه المالكي القاضي عياض عند وروده عليها ،حيث برزوا تبريزا لم يرى لأمير من ذي قبل[1].

كما عرف الغرناطيون كغيرهم من مدن الأندلس كإشبيلية ومرسية اهتماما بالغا بالكتب ما أدى إلى وجود العديد من المكتبات العامة والخاصة [2] ،وهذه السمة ظهرت بشكل ملحوظ ليس في غرناطة فحسب بل في شتى أقطار الدولة الإسلامية كما هو بغداد ؛حيث زاد من انتشارها سعة ثقافة بائعي الكتب الذين كانوا في أغلبهم أدباء يدركون قيمتها العلمية أكثر من التجارية [3] ،والشأن ذاته كان في قرطبة أيام ازدهارها أشهرها مكتبة المستنصر الأموي ت 366هــ/976م [4] التي احتوت على أربع وأربعون فهرسة في كل منها خمسون ورقة ذكر فيها أسماء الدواوين فقط[5].

وتكمن تلك الأهمية في العناية التي جسدتها شهرة حرفة الوراقة حتى صار بها حي يعرف بحي الوراقين [6] كان العلماء يقصدونه لنسخ مؤلفاتهم ومنهم من امتهنها كما هو شأن النحوي أبو عبد الله بن محمد بن سارة البكري ت519هــ / 1125م.

---

[1] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج3 ،ص ص.11،12.

[2] عمر رضا كحالة ،**مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام** ،ط1 ،مطبعة الحجاز ،دمشق ،1394ه /1974م ،ص.244.

[3] محمد أحمد كريم وآخران ،**تاريخ التربية والتعليم** ،د.ط ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،د.ت.ط ،ص.112.

[4] عنان ،**دولة الإسلام في الأندلس –الخلافة الأموية والدولة العامرية** ،العصر الأول:القسم الثاني ،ط3 ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1380ه/1960م ،ص.457.

[5] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،**جمهرة أنساب العرب** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418ه ،1418ه /1998م ،ص.100.

[6] خوليان ريبيرا ،**المرجع اسابق** ،ص.193.

ومن شعره في هذه الحرفة قوله:

أما الوراقة فهي أيكة حرفة　　　　أغصانها وثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بإبرة خايط　　　　يكسو العراة وظهره عريان [1].

كما زاد من اعتناء بعضهم بالكتب أن اشتغلوا بالنسخ كالعلامة أحمد بن عباس بن أبي زكريا ت 427هـ/1035م الذي برع في نسخ الكتب بخطه الجميل واشتهر عنه أنه كان مغاليا فيها نافعا من خصه بها لا يستخرج منها شيء لفظ بخله بها إلا لسبيلها [2].

والشأن ذاته مع محمد بن محمد بن عياش الذي ألف كتابا جمع فيه أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها رتبها ترتيبا حسنا[3].

---

[1] بن الخطيب،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.439،440.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.259.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.148.

الفصل الثالث

العلوم الشرعية

- القراءات
- التفسير
- الفقه
- أصول الفقه
- الحديث
- علم الكلام

طوال تاريخ الأندلس كان للدين دور هام ومميز في تشييد صرح ذلك البلد الإسلامي بحكم أنه جزء لا يتجزأ من حياة الناس في أي بلد إسلامي كان ،وأن أولي الأمر والرعية كانوا يبذلون قصارى جهدهم في أن تكون تصرفاتهم موافقة لتعاليم الشرع أو قريبة منه على أقل تقدير ،لكن مافتئ الأمر أن اقترب العلماء والفقهاء من الحكام وشاركوهم في الحكم حتى يبدوا الأمر أمام العامة أنه من وظائف الدولة يقوم به رجال عارفون بالعقيدة ،فأدى ذلك في العديد من المرات إلى استغلال بعضهم لهذه الدولة في تحقيق مآربهم أو استغلالهم من طرف الحكام لتمرير مشاريعهم وطموحاتهم المختلفة ،كانت في الكثير من المرات تسيء إلى تعاليم الدين الحنيف كما هو حال غرناطة .

1/القراءات :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي كانت فيه البشرية تسبح في فلك الشرك وترزخ تحت وطأة العبودية والجهل فكانت بعثته للإنعتاق وكسر قيود الظلم مصداقا لقوله تعالى " **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"[1] .

فصار القرآن الكريم الذي نزل به جبريل عليه السلام حجته التي أيده الله سبحانه وتعالى بها[2] وأمره بتبليغه للناس حتى يفهموا تعاليم الدين الحنيف ومقاصده النبيلة لقوله تعالى " **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**"[3] ،وتعهد بتنزيهه عن التحريف والتزييف فقال جل وعلى " **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"[4] ،وشرف نبييه صلى الله عليه وسلم بصدق ما يقول ،فقال جل شأنه: "**وما ينطق عن الهوى (2) إن هو إلا وحي يوحى(3)**"[5] وقوله أيضا " **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**"[6] ،وأوصاه بإقراء الناس وتعليمهم إياه مصداقا لقوله " **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** "[7] .

---

[1] سورة الأنبياء ،الآية :107.

[2] مناع القطان ،**مباحث في علوم القرآن** ،ط34 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418ه/1998م ،ص.39.

[3] سورة المائدة ،الآية :67.

[4] سورة الحجر ،الآية:09.

[5] سورة النجم ،الآيتين :03،04.

[6] سورة النمل ،الآية :06.

[7] سورة الإسراء ،الآية :106.

فانكب الصحابة الكرام رضوان الله عنهم على تعلمه وأولوه عناية تليق به[1] حفظا وترتيلا ابتغاء للأجر ومعرفة لأحكام الشرع للعمل به على بينة ونيل الشرف ؛ لقوله صلى

الله عليه وسلم "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه** "[2] وقوله عليه السلام " **بلغو عني ولو آية**" [3] ؛فكثر فيهم القراء حتى عين فيهم النبي عليه الصلاة والسلام نفرا منهم يأخذ المسلمون عنهم فقال :" **استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل** "[4].

وانتشروا بعد ذلك في الأمصار يقرئون الناس ويعلمونهم القراءات ؛فكان مصعب بن عمير رضي الله عنه أول من أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة لتفقيه الناس ويقرؤهم القرآن [5] والشأن نفسه مع الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري الذي بعثه بعثه الى اليمن[6].

وسلك التابعون من بعدهم نهج أسلافهم أشهرهم سعيد بن المسيب ت 94ه/2l71 والحسن البصري ت 110ه/728م وزر بن حبيش ت 83ه/702 م ،واستقروا جميعا على مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ت 35 ه/655م الذي كانت صحفه عند أم

---

[1] أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القارىء ،**سنن القراء ومناهج المجودين** ،ط1 ،مكتبة الدار ،المدينة المنورة ،1414ه ،ص.33.

[2] من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه (أنظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ،**سنن الترمذي** ،تع: محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط ،ص.650 ،باب ما جاء في تعليم القرآن ،حديث رقم: 2907).

[3] من حديث عبد الله بن عمرو (أنظر: **صحيح البخاري** ،ص.582 ،باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،حديث رقم:3461.

[4] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،**فتح الباري شرح صحيح البخاري** ،تح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،ط1 ،مكتبة دار السلام ،الرياض ،ودار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،1418ه/1997م ،ج7 ،ص.129 ،كتاب فضائل الصحابة ،حديث رقم: 3760.

[5] محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ،**الطبقات الكبرى** ،دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418ه/1997م ،مج3 ،ص.87.

[6] بن حجر ،**الإصابة في تمييز الصحابة** ،ج8 ،ص ص.75،76.

المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[1] حيث صار مرجعا للناس يعودون إليه في قراءاتهم وفي حال خلافهم[2].

ومع طلائع الفتح الإسلامي الأولى لبلاد المغرب حرص الصحب الكرام على تعليم أهله القرآن الكريم وتفسيره لهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم[3] وزاد اهتمامهم بالدراسات القرآنية بعد إنشاء مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري عام 51 ه /671[4] حيث ظهرت بها الكتاتيب[5] التي شهدت إقبالا واستحسانا من طرف مرتاديها خصوصا الصبية منهم من الذين بقيت بعض الحوادث مرتبطة بذاكرتهم ؛فقد روى غياث بن أبي شبيب أن الصحابي سفيان بن وهب رضي الله عنه كان يمر بهم وهم غلمان بالقيروان فيسلم عليهم وهم في الكتاب[6].

وما يدل على نجاح تلك المدارس القرآنية في تأدية مهامها هو علو نجم العديد ممن تعلموا بها من الطلبة أصبحوا في ما بعد شيوخ القراءات وعلماء في زمنهم أمثال حفص

---

[1] هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأمها زينب بنت مظغون ،تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عام ثلاث للهجرة ،كانت صوامة قوامة لله تعالى ،روى عنها كثير من الصحب الكرام رضوان الله عنهم ،توفيت سنة 45ه/665م (أنظر: بن حجر ،**الإصابة** ،مج7 ،ص.581 وما بعدها).

[2] إبراهيم الأبياري ،**تاريخ القرآن** ،ط2 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1402ه/1982م ،ص.104 وما بعدها.

[3] أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ،**كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ،تح: بشير البكوش ،راجعه:محمد العروسي المطوي ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1414ه /1994م ،ج1 ،ص.60 وما بعدها .

[4] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.51.

[5] لعل أصدق دليل على انتشار الكتاب في العهود الأولى للإسلام ببلاد المغرب الإسلامي هو تأليف كتاب آداب المعلمين المعلمين لمحمد بن سحنون المالكي ت240هــ/854 م الذي بين فيه طرق تعليم القرآن وآداب متعلميه مع ذكر حقوق المعلم وواجباته

(أنظر: سحنون المالكي ،**آداب المتعلمين** ،ص.137).

[6] المالكي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.91.

بن عمارة ت 198ه/ 813 م[1] ،ومعاوية بن الفضل الصمادحي ت199ه/814م [2] ،وأسد بن الفرات ت213ه/828م [3].

ويعد كل من يحي بن يعمر العدواني ت129ه/746 م وأبو عبيد القاسم بن سلام ت 224ه / 838 م مؤلف كتاب **غريب القرآن** من الأوائل الذين ألفوا في علم القراءات[4] ،تلاهم جمع من العلماء أشهرهم أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمى صاحب **كتاب السبعة** ت324ه/935م [5] ،وأبو الحسن الطاهر بن غلبون الحلبي ت 399ه/ 1008م مؤلف كتاب " **التذكرة في قراءة الثمان**"[6] .

ولعل أشهرهم أبو بكر الخير محمد بن محمد بن الجزري ت 833م/1429م صاحب كتاب " **النشر في القراءات العشر** " عرف فيه بأشهر القراءات وقرائها[7].

ووجد هذا العلم بالأندلس أيما عناية نظرا لعظيم منزلته وشرف أهله بين الناس ،ويبين ذلك المؤلفات الشهيرة والعديدة في هذا الشأن ككتاب "**التيسير في القراءات السبع**" لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت 444ه/1052م[8] ،و"**التقريب في القراءات السبع**

---

[1] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ ،**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى التنوخي ،صححه وعلق عليه إبراهيم شبوح ،د.ط ،المكتبة العتيقة ،تونس ،1413ه/1993م ،ج1 ،ص ص.319، 320.

[2] **نفسه** ،ج1 ،ص ص.317،318.

[3] المالكي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.255.

[4] السيوطي ،**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ،تح: أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2 ،ص.253.

[5] أبي نصر عبد الوهاب بن علي المعروف بتاج الدين السبكي ،**طبقات الشافعية الكبرى** ،تح: عبد الفتاح محمد الحلو ،محمود محمد الطناحي ،ط2 ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،مصر ،1413ه/1992م ،ج3 ،ص.57.

[6] بن خير الأموي الإشبيلي ،**فهرسة بن خير** ،تح :إبراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410هـ/1989م ،ج1 ،ص.41.

[7] إبراهيم الأبياري ،**تاريخ القرآن** ،ص.139.

[8] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.197.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن حرب [1] ،و "**حرز الأماني ووجه التهاني**" لأبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي ت 590ه/ 1193م وهي عبارة عن منظومة لامية من ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا تضمنت التعريف بالقراءات السبعة وقارئيها[2].

وغرناطة شهدت بدورها عناية فائقة بهذا العلم ولعل ما يفسر هذا هو ذلك العدد الكبير من المقرئين الذين أجادوا فيه ونبغوا قراءة وتعليما وتأليفا أمثال أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد خلف الأنصاري الذي عرف بين أنصاره بابن الباذش ت540ه/1145م ؛كان إماما في الإقراء متفننا في علومه إلى جانب تبحره في الأدب وبصيرته بالأسانيد ،أخذ القراءات على شيوخ أفاضل منهم أبو القاسم بن خلف بن النحاس ،وأبو جعفر هابيل بن محمد الحلاسي وأبو الحسن بن زكريا، وأجازه في الإمامة والإتقان أبو علي الغساني بعد أن أسمع عليه ،ترك تآليف عديدة منها كتاب "**الإقناع**" وكتاب "**الطرق المتداولة**" في القراءات[3].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الولي الرعيني المعروف بالعواد ت750ه/1349م الذي كان علما من أعلام القرآن اتقانا وتجويدا، قرأ على جهابذة المقرئين والحفاظ كأبي جعفر بن الزبير وأبي جعفر الجزيري الضرير، دعي للتصدر للإقراء فرفض لشدة ورعه وكثرة مشاغله ،زيادة على كونه أحد شيوخ بن الخطيب الذين نهل عنهم علوم الدين وعلى رأسها القرآن الكريم ،فنجده يقول عنه: "هو أستاذي وجاري الألصق ،لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه رحمة الله عليه" [4].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي المعروف بابن الأبار ،**التكملة لكتاب الصلة** ،عنى بطبعه وتعليق حواشيه ألفريد بل وبن أبي شنب ،د.ط ،المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا ،الجزائر ،1337ه/1919م ،ص.60.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.325..

[3] **نفسه** ، مج1 ،ص.196.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.34.

وتوارث سلفه من بعده هذا العلم على رأسهم ابنه أبو جعفر أحمد عبد الولي الرعيني ت750ه/1349م الذي نشأ في بيت أهله ذو دين والتزام بالسنة الأمر الذي ساعده على إتقان تجويد القرآن والمثابرة على تعلمه وتعليمه مقتفيا بذلك أثر الصالحين من نصح للناس وإعراض عن ذوي الوجاهة مع زهد في جميع أحواله ،ويبرز مدى عنايته بالقرآن الكريم قوله والله ما كتبت قط يميني إلا كتاب الله ،فأحب أن ألقاه على سجيتي بتوفيقه إن شاء الله وتسديده [1].

ومن المقرئين الذين نالوا شهرة كبيرة بغرناطة كذلك محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزى الكلبي ت741ه/1342م أحد شيوخ بن الخطيب ،أخذ القرآن حفظا على المقرئ أبو عبد الله بن الكماد ورواية على كل من الشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن وعلى القاضي أبو عبد الله بن برطال وأبو الوليد الحضرمي الذي اشتهر بالرواية عن سهل بن مالك وطبقته، ألف بدوره في هذا الباب كتابين سماهما "**المختصر البارع في قراءة نافع**" و"**أصول القراء الستة غير نافع**" [2].

وكذلك أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الكواب ت633ه/1235م خطيب مسجد غرناطة الجامع ،أتقن اهل زمانه في تجويد القرآن الكريم والذي أخذ مجمل القراءات عن جمع من المتمكنين فيها أمثال أبي الحسين بن كوثر وأبي عبد الله بن عروس وأبي الحسن الصدفي الفاسي[3].

وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن فتوح ت581ه/1185م الذي أخذ القراءات على جمع من مشاهير الإقراء بمكة على إثر رحلة له أمثال الخطيب أبي الحسن بن عباس وعلى أبي داود بن يحي ،له مؤلف سماه **الشريف والإعلام بما أبهم في القرآن من**

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.193 ،194.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.22.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.399،400.

أسماء الأعلام [1] ،بالإضافة إلى أبو جعفر أحمد بن الزيات صاحب كتاب "**لذات السمع من القراءات السبع**"[2].

2/ التفسير:

بعد انتهاء الطالب من حفظ القران الكريم أو أجزاء منه ينتقل إلى دراسة معانيه وفهم نصوصه وذلك في إطار ما يسمى بعلم التفسير[3] الذي لو لاه لما اتضحت مدلولات آياته عرفت أحكامه[4]، ولا علم الناسخ من المنسوخ[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.481.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.

[3] التفسير لغة مصدر فسر بتشديد السين ،والفسر هو الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر أوضح لمعنى المفسر من السامع ،وإصطلاحا هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها .(أنظر: محمد بن يوسف المعروف بابن حيان الأندلسي ،**تفسير البحر المحيط** ،دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ محمد معوض، تقريظ عبد الحي الفرماوي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1413هـ/1993م ،ج1 ،ص ص.10،09).

[4] عبد الرحمن مسعد علي بركة ،**بن جزي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل** ،ط1،منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ،ليبيا ،1994م ،ص.16.

[5] المقصود بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين ،ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر تارة أخرى إما بتخصيص عام أو تقييد مطلق وحمله على المقيد وتبيينه.(أنظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ،**إعلام الموقعين عن رب العالمين،** قراءة وتقديم وتعليق أبو عبيرة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،السعودية ،1423هـ ،مج2 ،ص.66 ؛أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت224هـ ،**الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن** ،دراسة وتح : محمد بن صالح المدفر،ط2 ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،الرياض ،1418هـ /1997م ،ص ص.54،55).

ويعد تفسير الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ت68ه/687م[1] أول تفسير وضع للقرآن الكريم على هيئة كتاب في تاريخ الدولة الإسلامية [2] ،وسار فيه على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في شرح كلام الله المنزل والذي عرف فيما بعد بالتفسير بالمأثور[3] ،وهو ما اتفق عليه أغلب أهل الأندلس الذين تناقلوه عن الفاتحين [4] واعتبروه مصدرا أساسيا للدراسات القرآنية[5] ،تلاه فيما بعد بعض المحاولات التي قام بها شلة من العلماء الأندلسيين الذين تمكنوا من الرحلة صوب المشرق الإسلامي أين احتكوا بالعديد من المهتمين بهذا العلم العزيز لعل أبرزهم الغازي بن قيس ت199ه/814م الذي كان رأسا في علوم القرآن ببلده[6] .

ويعتبر تفسير بقي بن مخلد ت276ه/889م [7] منطلقا للدراسات في هذا الباب الواسع الواسع وأشهرها[8] ،لتظهر فيما بعد ذلك تفاسير عديدة كتفسير محمد بن عبد الله المزي ت399ه/1008م[9] ،وكتاب **الناسخ والمنسوخ** لأبي الحسن مجاهد بن أصبغ

---

[1] هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عم النبي صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة وفقيه عصره وإمام التفسير،ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ،أفتى الناس وهو حدث صغير،له مسند من ألف وستمائة وستون حديثا (أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،**سير أعلام النبلاء،** اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم ،ط1 ،مكتبة الصفا، القاهرة ،ج3 ،ص.491).

[2] أحمد أمين ،**فجر الإسلام** ،د.ط ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1994م ،ص.240.

[3] المراد بالتفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو في السنة أو في كلام الصحابة الثابت الصحيح ،بيانا لمراد الله تعالى في آي كتابه الكريم من حيث ما اشتمل عليه من هداية وعقيدة وتشريع.(أنظر: أبو بكر جلال الدين السيوطي ت911هـ ،**الدرر المنثور في التفسير المأثور**،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411هـ/1990م ،ج3 ،ص.11؛ إبراهيم حسن ،**التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب** ،د.ط ،الدار العربية للكتاب ،د.م.ط ،1994م ،ص.13)

[4] تذكر العديد من المصادر أن الصحابي عكرمة بن عبد الله مولى الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهم هو أول من عنى بتفسير القرآن الكريم ببلاد المغرب بعد أن تلقاه عن شيخه بالحجاز إلى جانب الإفتاء وتدريس العلوم الشرعية وذلك بجامع عقبة بن نافع بالقيروان (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص.265).

[5] بن الفرضي ،**المصدر السابق** ،ص.439.

[6] **نفسه** ،ص.272.

[7] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.50.

[8] المقري ،**نفح الطيب**،مج2 ،ص ص.518،519.

[9] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.269.

ت382ه/992م[1] ،والتفسير الكبير لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت437ه/1045م[2] ،**والتفسير الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الشهير بالقرطبي ت671ه/1272م[3].

لقي التفسير بغرناطة أهمية كبيرة لدى علمائها نظرا لما له من علاقة متينة بعلوم الشرع الأخرى يعودون إليه كلما استشكلت عليهم المسائل التي أوجدتها ظروف البلد طيلة سنوات طوال ،خصوصا لما يكون الأمر متعلقا بشؤون الجهاد ولم الشمل تجنبا للفرقة والشحناء التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى ،فكانوا يستدلون بالآيات القرآنية التي تحظ على الوفاق والعمل على تحقيق المصلحة العامة ،ويفسرون ما أبهم منها لدى العامة خصوصا ،التي كانت تنساق وراء كل صاحب رأي وتوجه قد يسيء توظيف الآيات في موضعها الصحيح .

ولعل ما يبين هذه العناية هو ذلك العدد من المفسرين الذين تألقوا في هذا الباب منتجين ومتفوقين في الآن ذاته على كثير من الذين سبقوهم في هذا الباب كعبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي ت546ه/ 1151م صاحب كتاب "**الوجيز في التفسير**" والذي عد من مشاهير غرناطة في علم التفسير[4] .

وكتابا "**ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل**" و"**البرهان في ترتيب سور القرآن**" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708هـ /1308م[5] ،وكذلك كتاب

---

[1] بن الفرضي ،**المصدر السابق** ،ص.148.

[2] بن قنفد ،**المصدر السابق** ،ص.243.

[3] أحمد بن محمد الأدنروي ،**طبقات المفسرين** ،تح: سليمان بن صالح الخزي ،ط1 ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،1417ه/1997م ،ص.246.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.539.

[5] **نفسه** ،مج1،ص.190.

"**البرهان والدليل في خواص سور التنزيل**" لأبي بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي[1].

إضافة إلى "**كتاب التفسير**" و"**كتاب المستدرك**" لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بالبلنسي[2] وكتاب **الحلية في ذكر البسملة والتصلية** لأبي جعفر أحمد بن عبد النور بن راشد ت702ه/1302م[3] ،وكتاب **البحر المحيط** لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان ت745ه/1344م [4].

3/ الفقه:

كان النبي عليه الصلاة والسلام القائد الأعلى للمسلمين روحيا وسياسيا [5] والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي الذي دعا فيه قبل الهجرة إلى التوحيد ونبذ الشرك وبعدها إلى تطبيق الأحكام العملية من عبادات ومعاملات التي جاء بها الوحي [6] ،ولعناية الخلفاء المسلمين من بعده بهذه الأحكام ،أدوا دورا هاما تجلى في اتساع حركة الفقه[7] والتأليف فيه فيه [8] بعد أن كان مجرد مجموعة من الفتاوى تناقلها الصحابة فيما بينهم[9].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.171.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص .139.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.198.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.45.

[5] أحمد الحصري ،**تاريخ الفقه الإسلامي: نشأته ،مصادره ،أدواره ،مدارسه** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411ه/1991م ،ص.34.

[6] عبد الودود محمد السريتي ،**تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة** ،د.ط ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1993م ،ص.25 وما بعدها.

[7] الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له والفطنة وجمعه فقهاء ،وغلبت هذه التسمية علم الدين لشرفه (أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،**القاموس المحيط** ،تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،إشراف: محمد نعيم العرقسوسي ،ط6 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1419ه/1998م ،ص.1250).

[8] أحمد فراج حسين ،**المرجع السابق** ،ص.149.

[9] عبد المجيد عبد الحميد الربياني ،**المدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي** ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1994م ،ص.79.

وبعد ترسيخ الأئمة الأربعة أبو حنيفة النعمان ت150ه/767م [1] ومالك بن أنس ت179ه/795م [2] ومحمد بن إدريس الشافعي ت204ه/819م [3] وأحمد بن حنبل ت241ه/855م [4] رحمة الله عليهم لقواعد الخلاف [5] اقتصر من جاءوا بعدهم على الملخصات والشروح والتعاليق[6].

واشتهر في هذا العلم العزيز الذي يهتم بتنظيم شؤون المسلم من عبادات ومعاملات العديد من المؤلفات ككتاب **الفقه الأكبر** لمحمد بن إدريس الشافعي ت204ه/ 819م [7] ،وكتاب **جامع الفقه** لأبي محمد عبد الله بن قتيبة ت276ه/889م [8] وكذلك كتاب **اختلاف الفقهاء** لمحمد بن جرير الطبري [9] ،إضافة إلى كتابي **النوادر والزيادات ومختصر المدونة** لابن أبي زيد القيرواني ت386ه/996م[10] ،لتبرز فيما بعد باسم كتب الفتاوى كما

---

[1] هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي فقيه العراق ،وإمام أصحاب الرأي ولد عام 80ه/697م ،سمع من علماء كثر أمثال عطاء بن أبي رباح وحماد بن أبي سلمان وعطية العوفي ،استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور لتولي القضاء ببغداد فامتنع ،ثنى عليه علماء كثر أمثال مكي بن إبراهيم الذي وصفه بأنه أعلم أهل زمانه والشافعي الذي قال عنه أن الناس عيال عليه في الفقه (أنظر: الخطيب البغدادي ،**تاريخ بغداد** ،ج13 ،ص.325 وما بعدها).

[2] هو أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة ،أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الفقهي المشهور بإسمه ،ولد عام 95ه ،أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافعا مولى بن عمر ضي الله عنهما ،توفي سنة 179ه /795م (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج3 ،ص ص.284 ،285).

[3] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ص.326 وما بعدها.

[4] هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام المحدثين وصاحب المسند الشهير باسمه ،أبتلي على عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي بمحنة القول بخلق القرآن الكريم ،قال فيه الشافعي خرجت من بغداد ولم أترك بها أتقى وأفقه منه ،توفي سنة241ه/855 م (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص ص.62،63).

[5] أبو عبد الله محمد بن نصر المرزوي ،**اختلاف الفقهاء** ،دراسة وتحقيق وتعليق: محمد طاهر حكيم ،ط1 ،مكتبة أضواء السلف ،الرياض ،1420ه/2000م ،ص.54.

[6] نظير مارون عبود ،**مؤلفات جرجي زيدان الكاملة** ،د.ط ،دار الجليل ،بيروت ،1401هـ/1981م ،ج14 ،ص.201.

[7] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1287.

[8] **نفسه** ،ج1 ،ص.356.

[9] حسن إبراهيم حسن ،**التاريخ السياسي والديني والثقافي والإجتماعي** ، ط14 ،دار الجليل ،بيروت ،1416ه/1996م ،1416ه/1996م ،ج3 ،ص.356.

[10] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ص.223.

هو حال فتاوى أحمد بن أبي القاسم ت319ه/931 في فقه الحنفية [1] ،وفتاوى أبي العباس أحمد بن القاص ت335ه/946م في فقه الشافعية [2] ،وفتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ت728ه /1327م في فقه الحنبلية[3].

أما الأندلس فشهدت بدورها نشاطا رائجا في التآليف الفقهية لعل أبرزها كتاب **المحلى** لأبي محمد علي بن حزم ت456ه/1063م [4] وكتاب **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس** لأبي بكر بن العربي ت543ه/1148م [5] ،وكتاب **شرح المستخرجة** لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ت595ه/1198م[6].

وعند تعريف بن الخطيب بموطنه وصفات أهله ذكر أن أحوالهم في الدين والعقائد أحوال سنية ،وأنهم على مذهب مالك [7] بن أنس ت179ه/795م إمام دار الهجرة [8] .

وتكمن أهمية الفقه بغرناطة في ذلك الكم الكبير من مشاهير الفقهاء الذين عنوا به دراسة واجتهادا أمثال أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك القليعي الذي كان فقيها ،طليع دهره في الخير والعلم والتلاوة يشار إليه في كل نازلة ،تتلمذ على كل من أبي عمر بن القطان بن عبد الله بن عتاب وأبي زكريا القليعي وأبي مروان بن سراج ،اشتهر بعلو

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1220.

[2] بن العماد الحنبلي ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ج2 ،ص.339.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ج6 ،ص.82.

[4] ناصر بن عقيل بن جاسر الطريفي ، **تاريخ الفقه الإسلامي** ،ط2 ،مكتبة التوبة ،الرياض ،1418ه/1997م ،ص ص.178،179.

[5] الضبي ،**المصدر السابق** ،ص.80 ،المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.35.

[6] بن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.74.

[7] يعتبر أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي ت204ه الملقب بفقيه الأندلس أول من أدخل المذهب المالكي إلى بلده بلده بعد أن كان أهله يفتون بالمذهب الأوزاعي (أنظر: الحميدي ،**المصدر السابق** ،ص ص.191،192).

[8] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.134.

المنزلة بين كل من عرفوه خصوصا عند المرابطين على إثر اجتياز يوسف بن تاشفين في ثاني حركاته إلى الأندلس لنصرتها أين قربه منه فذاع صيته وعلت مرتبته[1].

وكذلك أحمد بن محمد بن أحمد الهمذاني اللخمي الذي كان رغم انشغاله بالوزارة على اضطلاع كبير بالفقه ومسائله أين صار حسيبا جليل القدر على حد تعبير بن الخطيب إضافة إلى اشتهار ذكره بين المؤرخين الذين ذكروه واثنوا عليه كما هو حال بن القاسم الغافقي وبن اليسر في مختصره[2].

وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن جزى الذي يعتبر من أهل الفضل والنزاهة بغرناطة سيرا على نهج أسلافه ؛أخذ الفقه والقراءة عن والده الخطيب أبو القاسم بن أحمد الذي لازمه وتأدب به ،إضافة إلى الأدب والشعر الذي أخذه عن بعض معاصري أبيه الذين استجلبهم له، الأمر الذي أهله لأن يكون كاتبا للسلطان أبي الحجاج بن نصر الذي صرفه في الخطط الشرعية منها توليته قضاء برجة ثم أندرش فوادي آش أين ذاع صيته وازدادت نزاهته خصوصا بعد تقلده الخطبة بمسجد السلطان في شوال من عام 760 هـ/1358م.

من مؤلفاته تقييد على كتاب والده المسمى بـــ "**القوانين الفقهية**"، إضافة إلى رجز في الفرائض يتضمن العمل، ومما قال في هذا الباب:

أرى الناس يولون الغني كرامة   وإن لم يكن أهلا لرفعة مقدار

ويلوون عن وجه الفقير وجوههم   وإن كان أهلا أن يلقي بإكبار

بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة   فما صححوا إلا حديث بن دينار[3]

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.147 وما بعدها.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص .150 .

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.157 وما بعدها.

ومن الذين نبغوا كذلك في هذا الباب الشرعي نجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري ت699ه/1299م ،دخلت أسرته الأندلس عام 94ه/ 712م واستقرت بقرية طغنر من أقاليم إلبيرة واشتهر بيتهم بالكتاب والوزراء والحجاب وأكابر الفرسان ،كان مضطلعا بالفقه ذا نظر سديد فيه ،قائما على مسائله ،التي أخذها على شيوخ عدة أمثال قاضي الجماعة بغرناطة أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع وأبو يحي بن عبد المنعم الخزرجي ،وأبو علي بن أبي الأحوص ،قرأ **كتاب التلقين في الفقه** ودرس **كتاب الأحكام الجيدة** التي عرضها في مجلس واحد ،إلى جانب مشاركته في فنون عديدة كالعربية والحساب ،تلك المواصفات جعلته يتقلد منصب قضاء العديد من مقاطعات غرناطة كبرشانة و لوشة مسقط رأس بن الخطيب ثم بسطة فمالقة التي أقام بها بضع سنين[1].

ونجد كذلك أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن لب بن بقى الذي يتصل نسبه بالفقيه الراوية بقي بن مخلد ت276ه/889م أحد قضاة قرطبة على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم القرطبي ،برع في علوم مختلفة إلى جانب الفقه من قراءات وأدب إضافة إلى حسن سيرة بين الناس فاشتهر ببلده وصار مرجعا لطلبة العلم الذين حلقوا حوله بجامع الربض ومن بعده بمسجد البكري لسماع دروس الفقه التي كان يلقيها فيهما ،قال عنه بن الخطيب انه التقى به حيث كانت تدور بينهما الحوارات والنقاشات حول مسائل العلم ،ونقل إلينا بعض ما أنشده إياه على إثر تشييع جنازة:

كم أرى مدمن لهو ودعة　　　لست أخلي ساعة من تبعه

كان لي عذر لدى عهد الصبا　　　وأنا آمل في العمر سعة

أو ما يوقظنا من كلنا　　　أنفا لقبره قد شيعه

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.162 وما بعدها .

سيما وقد بدا في مفرقي ما أخال الموت قد جاء معه

فدعوني ساعة أبكي على عمر أمسيت ممن ضيعه[1].

بالإضافة إلى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الدوسي ت738ه/1337م قاضي غرناطة الذي نعته بن الخطيب بشيخ الفقهاء والموثقين،الفقيه الحافظ الإخباري المحدث ،صدر أرباب الشورى مألفا للمتعلمين ،قرأ على مشاهير علماء غرناطة كأبي جعفر بن الزبير وأبي محمد عبد المنعم بن السماك وعلى أبو محمد عبد المؤمن الخولاني[2].

ومن المؤلفات الفقهية التي نالت شهرة وعناية بغرناطة كتاب **المنوطة في الفقه المالكي** لأبي محمد عبد الله بن أيوب الأنصاري المعروف بابن خروج ت562ه/1166م الحافظ لمذهب الإمام مالك ،والذي جاء مكونا من ثمانية أسفار[3] ،و كتاب "**نهج السالك للتفقه في مذهب مالك**" لأبي الحسن علي بن أحمد الغساني ت609ه/1212م[4] ،وكذلك "**الرسائل في الفقه والمسائل**" لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد النفري[5] ،وكتاب "**الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة**" لأبي إسحاق إبراهيم بن قاسم النميري ،وهو عبارة عن رجز في الأحكام الشرعية[6].

وكذلك كتابا **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية** و **التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية** لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى[7].

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص –ص.39 -41.
[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.159،160.
[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.405.
[4] **نفسه** ،مج4 ،ص.182.
[5] **نفسه** ،مج1 ،ص.369.
[6] **نفسه** ،مج1 ،ص.347.
[7] **نفسه** ،مج3 ،ص.21.

بالإضافة إلى الشروح والمختصرات **كشرح الكوامل** لأبي موسى الجزولي الذي عنى به أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن راشد [1] ،وكتاب **المغرب في اختصار المدونة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن زمنين ألفه في نحو ثلاثين جزءا [2].

والجدير بالإشارة أن الفقهاء والعلماء بغرناطة كثيرا ما كانوا يتعرضون للنكبات والمصاعب بسبب مواقفهم في المسائل العقدية وما يخص معيشة الفرد في مجتمعه ؛وهو ما حدث للمقرئ أبوعلي منصور بن علي الزواوي الذي أمتحن من طرف الفقهاء بالمشاركة في التكفير رفقة رجل قدح في جنب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن شك في تكفيرهم له ،وهو ما حمله على مغادرة الأندلس سنة 765ه/1363م[3].

وكذلك ما وقع للفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد الشهير بابن فركون الذي عزل من منصب قاضي الجماعة بغرناطة فأنشد بذلك يقول :

أنا من الحكم تائب وعن دعاويه هارب
بعد التفقه عمري ونيل أسنى المراتب
وبعد ما كنت أرقى على المنابر خاطب
أصبحت أرمى بعار للحال غير مناسب
أشكو إلى الله أمري فهو المثيب المعاقب [4]

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.198.
[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.172،173.
[3] **نفسه** ،مج 3 ،ص ص.324،325.
[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.156.

ومنهم من تعرض للأسر كما هو حال الأديب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن زمر الحجاري ت520ه/1126م الذي أسر من طرف البشكنس على إثر هزيمة المستنصر بن عماد الدولة بن هود وعن ذلك يقول:

أصبحت في بسقاية مسلما إلى الأعادي لا أرى مسلما

مكلفا ما ليس في طاقتي مصفدا منتهزا مرغما

أطلب بالخدمة وا حسرتي وحالتي تقضي بأن أختما

فهل كريم يرتجى للأيسر يفكه أكرم به منتما[1]

كما تجدر الإشارة إلى نقطة هامة ألا وهي طغيان ظاهرة التشاحن والتباغض بين من ينتسبون إلى مصاف أهل العلم ،لعل أشهرها تلك التي وقعت لابن الخطيب نفسه مع بن زمرك والقاضي النباهي في قضية اتهامه بالزندقة وأمور أخرى حسبت عليه ،وهذه سمة كانت موجودة بغرناطة كغيرها من دول العالم الإسلامي.

ومن الفقهاء من لقي عداءا شديدا سواء من بعض أهل القرار أو من العامة ،ومثال ذلك ما وقع بين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فتوح اللخمي المعروف بالطرسوني ت730ه/1329م وأبو عبد الله محمد بن المحروق ت729ه/1328م وزير السلطان أبو عبد الله بن إسماعيل الغرناطي ؛وذلك باتهامه بالإساءة إلى حرمة مسجد البيازين في إحدى المرات أدت إلى اعتقاله ونفيه فيما بعد[2].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3، ص ص.433،434.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.23 وما بعدها.

والأمر تكرر مع أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ت721ه/1321م عند مقتل صديقه أبو عبد الله الحكيم وزير غرناطة ،فصار عرضة لإساءات الناس وتهديداتهم بقتله ،هذا ما حمله على الرحيل إلى فاس التي بقي بها إلى أن توفي[1].

كما لم يكن فقهاء غرناطة على غرار إمارات الأندلس الأخرى في منأى عن الأحداث السياسية التي كانت تشهدها البلاد بين الفينة والأخرى ؛لعل أبرزها دعوتهم للمرابطين للقضاء على ملوك الطوائف ،نظرا للحالة المتدهورة التي آلت إليها مملكتهم ،حيث يورد الأمير عبد الله في ذلك قوله:"...وجعلوا في شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم منهم الفقيه بن القليعي ،قد صار خباؤه مغناطيسا لكل صادر ووارد ،يجد بهم السبيل إلى الطلب للقدر الذي قدره الله[2].

ويضاف إليها إصدارهم لفتوى خلع الأمير عبد الله بن بلكين (465-483ه/1072-1090م) وأخيه تميم صاحب مالقة ت488ه/1095م بعد أن صدرت عنهما المظالم وخروجهما عن أحكام الدين كسن المكوس والمغارم الجائرة[3].

ونظرا لمكانة الفقهاء الدينية والدنيوية سارع فرناندو بعد سقوط غرناطة إلى استدعاء الكردينال خمنيس الذي قام بدوره بتكليف أسقفها الدون تالافيرا سنة 905ه/1499م باستمالتهم بشتى أنواع الإغراءات مما كان سببا في اعتناق بعضهم للنصرانية وتبعهم خلق كبير [4].

---

[1] **بن الخطيب** ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.142.

[2] عبد الله بن بلكين ،**المصدر السابق** ،ص.137.

[3] عنان ،**ملوك الطوائف** ،ص.329.

[4] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص.314.

4/ أصول الفقه:

تعتبر أصول الفقه [1] من العلوم التي أولاها الأصوليون أهمية بالغة نظرا لصلتها الوثيقة بضوابط الفتوى حفاظا على العقيدة الإسلامية ومعرفة أسباب الخلاف بين العلماء [2] في الفروع من جهة الأسس التي تبنى عليها الأحكام الشرعية [3] وذلك لأهميتها الخاصة في تسيير شؤون المسلم [4].

ويعد الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت204ه/819م من أوائل الذين برزوا في هذا الباب وذلك بتأليفه لكتاب **الرسالة** [5] ،الذي ضمنه القواعد الأصولية وشواهدها من الكتاب والسنة [6] ،وذلك بعد المناظرات الفقهية بين المالكية والأحناف[7].

تلته مجموعة من المؤلفات التي عنت بهذا العلم حيث نجد كتاب تقويم الأدلة للدبوسي ت430ه/ 1038م [8] ،وكتاب **التمهيد في الأصول** لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد أحمد بن الحسن الكلواذاني ت510ه/1116م [9] وكتاب **الإحكام في أصول الأحكام** لأبي

---

[1] يقصد بالأصل في اللغة ما يبنى عليه غيره ،أما في الاصطلاح فمعناه استخراج الأحكام من أدلتها الشرعية وفق المناهج التي يلتزمها الفقيه (أنظر: محب الدين أبو فيض مرتضى الزبيدي ،**تاج العروس من جواهر القاموس** ،دراسة وتحقيق: علي سيري ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1414ه/1994م ،مج14 ،ص.18 ؛محمد أبو زهرة ،**أصول الفقه** ،،د.ط ،دار الفكر العربي للطبع والنشر ،القاهرة ،د.ت.ط ،ص.5).

[2] محمد بن حسين الجيزاني ،**معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة** ،ط3 ،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،1422ه ،ص ص.23،24.

[3] سميح عاطف الزين ،**علم أصول الفقه الميسر** ،ط1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1410ه/1990م ،ص.221.

[4] محمد محدة ،**مختصر علم أصول الفقه الإسلامي** ،ط5 ،الشهاب ،باتنة ،1994م ،ص.25.

[5] محمد كمال الدين إمام ،**أصول الفقه الإسلامي** ،ط1 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416ه /1996م ،ص.46.

[6] عبد الوهاب إبراهيم ،**منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه وأصوله** ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والنشر والتوزيع ،بيروت ،1420ه/1999م ،ص.96.

[7] محمد أبو زهرة ،**أصول الفقه** ،ص.11.

[8] حسن حنفي ،**بحوث في علوم أصول الدين** ،**أصول الفقه** ،**العقل والنقل** ،د.ط ،دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،د.ت.ط ،ص.50.

[9] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.321.

الحسن علي بن محمد الآمدي ت631ه/1233م [1] ،وكذلك كتاب **الغنية في الأصول** لعبد الرحمن بن مأمون الشافعي ت478ه/1085م [2] ،وكتاب **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه** لموفق الدين بن قدامة المقدسي ت620ه/1223م[3].

بالإضافة إلى مؤلفات مشاهير الأندلسيين أمثال أبو الوليد سليمان الباجي ت474ه /1081م صاحب كتاب **إحكام الفصول في أحكام الأصول** [4] ،وأبو عمر بن عبد البر ت463ه /1070م مؤلف كتاب **جامع بيان العلم وفضله** الذي أبان فيه عن مفسدة القول في الشرع بغير علم [5] ،وكذلك كتاب **المحصول في علم الأصول** لأبي بكر بن العربي[6].

أما عن مدى اهتمام الغرناطيين بهذا العلم فيظهر من خلال تلك التآليف التي صنفت فيه وإن كانت قليلة إذا ما قورنت بكتب الفقه ،غير أن ذلك لم يمنع ما وجد منها من أن تحفل بالمسائل التي تصب في هذا العلم ،مثل كتاب **تقريب الوصول إلى علم الأصول** لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي ت741ه/ 1340م [7] وكتاب **أبكار الأفكار** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي ت 715ه /1315م [8] وكتاب **شرح الإشارة في الأصول**

---

[1] بن قنفد ،**المصدر السابق** ،ص ص.312،313.

[2] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1212.

[3] ناصر بن عقيل الطريفي ،**المرجع السابق** ،ص.148.

[4] أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ،**كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل** ،دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس ،ط1 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416 ه/1996م ،ص.129.

[5] أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي ،**جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1 ،ص.3.

[6] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.36.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.22.

[8] **نفسه** ،مج3 ،ص.70.

الأصول لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708ه/1308م [1] ،بالإضافة إلى كتاب **النفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة** أبي جعفر أحمد بن الزيات ت728ه /1326م[2].

كما أن لابن الخطيب بدوره مؤلف شهير سماه **الحلل المرقومة في اللمع المنظومة** وهو عبارة عن أرجوزة من ألف بيت نظمها في هذا الباب [3].

5/ الحديث:

حرص الصحابة[4] رضوان الله عنهم على ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم ،فأخذوا عنه القرآن الكريم كتابة وحفظا ثم شرحا لمعانيه وأحكامه[5] ،لذا أحجموا عن تدوين أحاديثه[6] الشريفة خشية أن يختلط به شيء منها[7] ،وحتى لا ينصرف الناس عن الاهتمام به[8] ؛وهذا ما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنه[9] ،غير أن ذلك لا يعني أنهم

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.190.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.

[3] **نفسه** ،مج4 ،ص.462.

[4] يطلق لفظ صحابي على كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام وعرفت صحبته بالتواتر والإستفاضة (أنظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،**تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** ،شرح ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م ،ص.122 وما بعدها).

[5] وذلك مصداقا لقوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تأمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا"(النساء، الآية:59).

[6] يقصد بالحديث ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعل أو قول أو تقرير (أنظر: محمد جمال الدين القاسمي القاسمي ،**قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.61).

[7] أحمد أمين ،**فجر الإسلام** ،ص.339 ،محمد عبد العزيز الخولي ،**مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث**،ط4،دار الكتب العلمية،بيروت،1403هـ/1983م،ص.16.

[8] أكرم ضياء العمري ،بحوث في تاريخ السنة المشرفة،ط5،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،1415ه /1994م،ص.291.

[9] روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ،وحدثوا عني ولا حرج" (أنظر: **صحيح مسلم** ،ص.1297 ،باب التثبت في الحديث ،حديث رقم: 2493).

لم يولوه عناية تليقبه وبمنزلة صاحبه[1]، بل انكبوا على حفظه[2] والعمل به وتبليغه[3] ،الأمر ،الأمر الذي ساعد على انتشاره فيما بعد[4] ،وهو ما يبينه ذلك العدد الهائل من العلماء الذين الذين برزوا في هذا الشأن[5]

وصار يطلق عليهم فيما بعد إسم المحدثين[6] أو أهل السنة[7]على حد قول الإمام أبو عبد

---

[1] عبد الفتاح أبوغدة ،**لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث** ،ط4 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1417هـ ،ص.33.

[2] يقول بن عبد البر القرطبي ت463هـ/1070م أن أول ما نظر فيه الطالب وعنى به العالم بعد كتاب الله عز وجل سنن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله (أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ،**الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415هـ/1335م ،ج1 ،ص.117).

[3] جاء في الحديث النبوي الذي رواه أبو داوود في سننه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه عليه وسلم قال: "نضر الله وجه أمرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ،فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ،ورب حامل فقه ليس بفقيه" (أنظر: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ،**سنن أبي داود** ،تع: محمد ناصر الدين الألباني ،إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط ،ص.554 ،باب فضل نشر العلم ،حديث رقم: 3660).

[4] أحمد علي الملا ،**المرجع السابق** ،ص.50.

[5] أكرم ضياء العمري ،**المرجع السابق** ،ص.296 وما بعدها.

[6] يطلق إسم المحدث على من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل ،وحفظ مع ذلك جملة من المتون وحفظ البعض من الأسانيد وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية (تاج الدين السبكي ،**معيد النعم ومبيد النقم** ،ص.82 ؛ شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ،**نقد الطالب لزغل المناصب** ،تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،1412هـ /1992م ،ص.93).

[7] السنة كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وعمل وتقرير ،وهي على ضربان ؛ضرب مأخوذ مشاهدة وسماعا ،فهذا يجب على كل أحد قبوله واعتقاده على ما جاء به من وجوب وندب وإباحة وحظر،ومن لم يقبله كفر؛ لأنه كذبه في خبره وضرب يؤخذ خبرا عنه في الأسانيد أو في المتون (أنظر: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي ،**العدة في أصول الفقه** ،حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د.أحمد بن علي سير المباركي، ط3،د.م.ط ،الرياض ،1414هـ/1993م ،مج1 ،ص.72).

الله أحمد بن حنبل ت241ه /855م[1].

ويرجع الفضل في أول الأمر في تدوين الحديث إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[2] الذي أرسل إلى عامله بالمدينة النبوية بكتاب[3] جاء فيه: أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه ،فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله ،فكانت بذلك الانطلاقة الفعلية للتدوين الرسمي الذي حذا بالعلماء إلى الطواف في الأمصار بحثا عن حفظة الحديث ورواته[4] متبعين شروط اتفقوا على تأصيلها حتى يتجنبوا الوقوع في مطبات الوضاعين وأهل الإفتراء[5] ،مصداقا لقوله تعالى **"يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "**[6].

فجاءت الكتب التي تصب في هذا العلم الشريف غزيرة من حيث المحتوى والعدد مثل **صحيح** أبو عبد الله البخاري [7] و**صحيح** مسلم بن الحجاج [8] ،و**سنن** كل من محمد بن

بن

[1] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ،**شرف أصحاب الحديث** ،تح: محمد سعيد خطيب أوغلي ،د.ط ،نشرته دار إحياء السنة النبوية ،أنقرة ،1971م ،ص.27

[2] حسن أحمد محمود ،**الدولة الإسلامية الأولى عهد البعثة النبوية** ،د.ط ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1419هـ/1998م ،ص.7.

[3] محمد مصطفى الأعظمي ،**دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** ،د.ط ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،1413هـ /1992م، ج1 ،ص.71.

[4] الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ،**الرحلة في طلب الحديث** ،حققه وعلق عليه نور الدين عتر ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1395هـ/1975م ،ص ص.16،17.

[5] أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ،**معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه** ،شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1424هـ/2003م ،ص.112 وما بعدها.

[6] سورة الحجرات: الآية:06.

[7] الحاكم النيسابوري ،**المصدر السابق**،ص.135.

[8] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،**طبقات الحفاظ** ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1414ه/1994م ،ص.264.

إسماعيل الترمذي [1] وسليمان بن الأشعث الشهير بأبي داود [2] ،ومحمد بن يزيد بن ماجة[3].

ماجة[3].

وعلم الحديث بالأندلس شهد نشاطا متنوعا يبينه ذلك العدد الهام من المحدثين الأندلسيين الذين اشتهروا بدورهم أين صار لهم مكانة تكاد تكون في مجملها مشابهة لما كان عليه الحال لدى محدثي المشرق ،ولعل من أبرزهم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ت392ﻫ/1001م صاحب كتاب **النصيح في اختصار الصحيح** أحد مشاهير محدثي قرطبة على عهد المنصور بن أبي عامر [4] ،وأبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم إبراهيم الأنصاري ت656ﻫ/1258م صاحب كتاب **المفهم في شرح مسلم** [5] ،وعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط ت581ﻫ/1185م مؤلف كتابي **الجامع الكبير في الحديث** و**المرشد** الذي ضمنه أحاديث مسلم وما زاد عليه البخاري [6].

ومن المحدثين بغرناطة نجد أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن قاسم النميري الذي ألف كتابين في هذا الباب ؛الأول سماه **الأربعون حديثا البلدانية** والثاني **الأربعون حديثا التي رويتها عن الأمراء والشيوخ** [7] ،وأبو الحسن محمد بن أحمد

[1] السيوطي ،**المصدر السابق** ،ص.267.

[2] بن العماد الحنبلي ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ج2 ،ص.167.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي ،**طبقات علماء الحديث** ،تح: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1417ﻫ/1996م ،ج2 ،ص.341.

[4] عبد الله كنون ،**ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة** ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1430ﻫ/2010م ،ج1 ،ص.185.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.615.

[6] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ص.277.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.346 ،347.

الجبائي ت540ه/1145م الذي صنف في **شرح غريب البخاري** مصنفا مفيدا[1] ،وكذلك أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال ت540ه/1145م الذي كان من الجهابذة في الحديث معرفة برجاله ،متقننا لظبطه ،مقيدا لغريبه[2].

وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن يوسف الأنصاري ت645ه /13447م الذي برع في مصطلح الحديث من ضبط وإتقان ومعرفة بالأسانيد وطبقات الرجال إلى جانب مشاركته في فنون القرآن من قراءات وتجويد اكتسبها من كثرة شيوخه الذين قرأ عليهم سواء بغرناطة أو بإشبيلية أو بمرسية وبفاس ،ترك أمهات حديثية على حد قول بن الخطيب اعتمدها الناس من بعده ،اشتهر بعنايته بكتاب **مشارق الأنوار** للفقيه القاضي عياض المالكي ت 544ه /1149م[3] ،وكذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن يحي الأنصاري ت621ه/1224م رئيس المحدثين وإمامهم ذا معرفة واسعة بأسماء رجال الحديث وطبقاتهم على اضطلاع بالجرح والتعديل ،أهله لعقد مجلس عام بجامع مالقة الأعظم أقرأ فيه متون الحديث بأسانيدها[4].

كما اشتهر أيضا كتاب **وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم** لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى ت741ه /1340م [5] ،وكتاب **الأربعون حديثا** لمحمد بن عبد الواحد الغافقي

الغافقي

ت619ه/1238م الذي وصفه بن الخطيب بأنه كان مكثرا للرواية ،ثقة عدلا [6].

---

[1] **نفسه** ،مج2 ،ص.315.
[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.388.
[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.42.
[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.405،406.
[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.21.
[6] **نفسه** ،مج3 ،ص.177.

بالإضافة إلى كتاب **شرح صحيح البخاري** لأبي القاسم المهلب بن أحمد الأسدي ت436ه /1044م[1] ،وكتاب **أنس الجليس** لأبي الحسن علي بن عمر الهمداني ت540ه/1145م [2].

ولعل من أبز كتب الحديث العديدة التي لقيت شهرة كبيرة واهتماما فائقا لدى الغرناطيين عامة ونبهائها خاصة ؛كتاب **الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى** للفقيه المالكي القاضي عياض ت544ه/1149م الذي مدحه أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي بقوله :

ولا مثل تعريف الشفا حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها

بمرآة حسن قد جلتها يد النهى فأوصافه يلتاح فيه بديعها

لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها

ولله ممن قد تصدى لشرحه فلباه من غر المعاني مطيعها [3]

كما كانت تعقد بغرناطة مجالس يدرس فيها الحديث للعامة بالمساجد لعل من أشهرها مجلس أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الحميري ت639ه/1241م الذي عنى بشرح **صحيح البخاري** [4] .

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.303.

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص.86.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.310.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص.316.

6/ علم الكلام:

يعتبر علم الكلام [1] من العلوم التي ظهرت إلى الوجود بعد مضي زمن الرعيل الأول ممن عاصروا ظهور الإسلام ،خصوصا لما كثرت الآراء والخلافات العقدية التي عرفت أوجها في عصر الخلافة العباسية [2] ،ويعزو المؤرخون الإرهاصات الأولى لهذا العلم المحدث في الدين إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقات الحسن البصري التي كان يلقيها على طلبته بعد أن أثار مسألة منزلة مرتكب الكبيرة بين الإيمان والكفر[3].

ومن الذين أولو عناية بهذا العلم [4] الطارئ على الملة أبو حامد الغزالي ت505ه /1111م الذي يرى فيه أنه نافع في وقت الانتفاع وفق ما تقتضيه الضرورة ويحرم تعاطيه عند الإستضرار [5] ،ومن بعده عبد الكريم الشهرستاني 548ه/1153م الذي أورد العديد من القواعد العقدية التي خاض فيها المتكلمون[6] مع الفلاسفة والفرق المختلفة أمثال

---

[1] يعرف بن خلدون علم الكلام بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ،والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة (أنظر: بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.440).

[2] محمد عبد الهادي أبوريدة ،**تاريخ الفلسفة في الإسلام** ،ط3 ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374ه /1954م ،ص.86.

[3] أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور اللالكائي ،**شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم** ،تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ،ط5 ،دار طيبة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1418ه ،مج1 ،ج1 ،ص.42.

[4] أورد أبو بكر بن فورك أن سبب ميله إلى علم الكلام كان منطلقه من مسألة دارت بينه وبين أحد فقهاء أصبهان حول الحجر الأسود فلم يجبه عنها فدل على أحد المتكلمين فأجابه عن ما كان يريد ومنها عزم على الخوض في غماره أين ظهر به (أنظر: أبو بكر بن فورك ،**مشكل الحديث وبيانه** ،تحقيق وتعليق: موسى محمد علي ،ط2 ،عالم الكتب ،بيروت ،1405ه /1985م ،ص21).

[5] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ،**إحياء علوم الدين** ،اعتنى به وظبطه وراجعه ووضع فهارسه: محمد الدالي بلطة ،ط3 ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1419ه/1998م ، ج1 ،ص.97.

[6] تعددت طوائف المتكلمين الذين خاضوا في عديد المسائل والأقوال مثل أن الفقه معدود من باب الظنون لا من العلوم ،وأن الله ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا بغير حال ،وهي أقاويل كان يرى بها شيوخهم كما هو حال أبوعلي محمد بن

الدهرية والبيانية والهاشمية كالتشبيه والتعطيل والإرادة [1].

لكن نظرا لما آل إليه حال مدعوا هذا العلم من المساس بأمور العقيدة صار العلماء يحذرون منه ومن الدعاة إليه [2] ،فالإمام الشافعي كان يرى بأن لقاء العبد ربه بالذنوب كلها ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام[3] ،وأوصى بأن يضربوا بجريد النخل ويطاف بهم بين القبائل جزاء عقابا لأخذهم به وتركهم للسنة[4] ،أما بن عبد البر فينعتهم بكونهم أهل بدع وزيغ الأمر الذي جعلهم لا يعدون في طبقات الفقهاء[5].

والشأن ذاته نجده عند بن حزم الأندلسي الذي أورد وصفهم لحال الكثيرين من مرتكبي الكبائر من أهل الإسلام تصل بهم إلى حد الكفر كما هو شأن المعتزلة [6] والمرجئة [7].

عبد الوهاب الجبائي ت303ه/915م وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت403ه/1012م (أنظر: أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ،**الإستقامة** ،تح: محمد رشاد سالم ،ط2 ،توزيع مكتبة السنة ،القاهرة ،1409ه ،مج1 ،ص.47 ،ص.72).

[1] عبد الكريم الشهرستاني ،**كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام** ،حرره وصححه: ألفرد جيوم ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط ،ص.103 ،ص.123 ،ص.238.

[2] الخطيب البغدادي ،**شرف أصحاب الحديث** ،ص.74 وما بعدها ؛الشريف حاتم بن عارف العوني ،**المنهج المقترح لفهم المصطلح** ،ط1 ،دار الهجرة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1416ه/1996م ،ص.73 ،**تاريخ بغداد** ،ج13 ،ص.332.

[3]

[4] أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة ،**موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ،تح: علي دحروج ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1998م ،ص.211.

[5] أبو عمر يوسف بن عبد البر ،**جامع بيان العلم وفضله** ،تح: أبي الأشبال الزهيري ،ط5 ،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،1422ه ،ج2 ،ص.42.

[6] ويعرفون كذلك بأصحاب العدل والتوحيد ،وهي من الفرق التي ظهرت في الإسلام متخذة أصولا عقدية حاولت بثها بين صفوف المسلمين كالقول بخلق القرآن ونفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة وخلق الأفعال ،والوعد والوعيد (أنظر: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ،**الملل والنحل** ،تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود ،ط6 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1417ه/1997م ،ص.56 وما بعدها.

[7] أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ،**الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ،ط2 ،دار الجليل ،بيروت ،1416ه/1996م ،ص ص.79،80.

غير أن ذلك لم يمنع من وجود العديد من المؤلفات التي عنيت به ،حيث نجد كتاب **فضائح المعتزلة** لأبي منصور عبد القادر البغدادي ت429ه/1037م [1] ،وكتاب **القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية** لعبد الوهاب الشعراني [2] ،وكتاب **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين** لفخر الدين الرازي [3] ،وكذلك كتاب **الطوالع** للبيضاوي[4].

ولا يكاد الدارس لتاريخ العلوم بالأندلس أن يعثر على مؤلفات أندلسية في علم الكلام مقارنة بما كان عليه الحال بالمشرق الإسلامي ولعل ذلك مرده إلى كون البلد لم تتجاذبه فيه الخصومات ولا اختلفت فيه النحل فقل لذلك إنتاجهم في هذا الباب [5] ،زيادة على ذلك مواقف الفقهاء المالكيين التي كانت تضيق على المشتغلين بهذا العلم ،ويفهم ذلك من قول الفقيه القرطبي الكبير عمر ابن يوسف بن عبد البر أن أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أجمعوا أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء ،وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ،وهي النظرة التي وافقه فيها الفقيه أبو محمد ابن حزم عن طريق توضيح ملابسات أهله وردود العلماء عليها [6].

غير أن ذلك لم يمنع من بروز العديد من العلماء الذين اهتموا بهذا العلم أمثال أبو بكر يحي بن يحي المعروف بابن السمينة القرطبي ت315ه/927م الذي يعد من أوائل الذين خاضوا فيه وذلك بعد عودته من رحلته إلى المشرق واضطلاعه على كتب الحجج

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1274.

[2] **نفسه** ،ج2 ،ص.1360.

[3] **نفسه** ،ج2 ،ص.1614.

[4] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.448.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص.176.

[6] بن حزم ،**الفصل في الملل** ،ج2 ،ص.265 وما بعدها.

ومذهب المتكلمين[1] ،والشأن ذاته مع أبو العباس أحمد بن محمد الجذامي صاحب كتاب **المسائل في علم الكلام**[2] ،وبن رشد الحفيد الذي تعمق في دراسة أقوال المتكلمين ونقده لمذاهبهم [3].

ومن مشاهير المتكلمين الغرناطيين نجد أبو عبد الله محمد بن خلف الأوسي الذي كان على اضطلاع بمذاهب المتكلمين التي أخذها عن شيوخ عدة أمثال أبو جعفر بن محمد بن باق وأبي الحجاج بن موسى الكلبي ،ألف في هذا الباب كتاب **النكت والأمالي في الرد على الغزالي** وكتاب **الإيضاح والبيان في الكلام على القرآن** بالإضافة إلى رسالة سماها **البيان في حقيقة الإيمان** [4] ،وقاسم بن عبد الكريم المعروف بابن جابر ت741ه /1340م الذي شغف بالجدل والمنطق إلى جانب الفقه والإقراء رحل إلى المشرق فالتقى بشيوخ عدة وبه اضطلع على كتب المنطق التي أقرأها بغرناطة بعد عودته إليها [5] ،ومحمد بن عبد الله بن داود الغافقي ت 686ه /1287م الأصولي المتكلم الذي شغل منصب كاتب لدى سلاطين غرناطة فذاعت شهرته ورفع شأنه لدى عامة غرناطة وخاصتها[6] .

والشأن ذاته مع أبو عبد الله محمد بن أحمد الإستجي ت639ه/1241م صاحب كتاب **اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين** [7] ،وأبو جعفر أحمد بن الزيات مؤلف كتاب **أسس مبنى العلم وأس مبنى الحلم** [8] ،وكذلك أبو القاسم بن جزى الكلبي شيخ بن

---

[1] بن الفرضي ،**المصدر السابق** ،ص ص.438،439.

[2] بن الأبار ،**المصدر السابق** ،ص.48.

[3] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ص.284..

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.165،166.

[5] **نفسه** ،مج4 ،ص.262.

[6] **نفسه** ،مج4 ،ص.426.

[7] **نفسه** ،مج2 ،ص.326.

[8] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.

الخطيب الذي كان يثني عليه في عديد المناسبات مثل عكوفه على العلم تقييدا وتدريسا ،جماعا للكتب ممتع المحاضرة ،له كتاب **النور المبين في قواعد عقائد الدين** [1].

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.20 وما بعدها.

الفصل الرابع

العلوم الأدبية

- اللغة
- النحو
- الأدب
- الشعر
- الموشحات

شهدت غرناطة نشاطا واسعا في مجال العلوم الأدبية والاجتماعية رغم الانحطاط السياسي الرهيب الذي شهدته الأندلس على عهد ملوك الطوائف ؛أذكى ناره الصراع حول السلطة بين أمرائه ،إضافة إلى تكالب القوى النصرانية عليها ،فكانوا كلما ضعف سلطانهم إلا وتسابقوا إلى تقريب الشعراء منهم لكسب الرعية بمدائحهم الرنانة مقابل إغراقهم بالجوائز السنية ،بل تجاوز الأمر ذلك إذ صاروا يطمحون إلى سدة الحكم سواء بتقلد المناصب السياسية أو التواطىء مع الأمراء المتغلبين على السلطة في العديد من الأحيان.

1/ اللغة :

يرى أبو بكر بن العربي ت 543ه/1148م[1] أنه في عصور الإسلام الأولى لم يكن العرب بحاجة إلى تعلم اللغة [2] العربية كونهم آنذاك كانوا يتكلمونها بطريقة سليمة خالية من الأخطاء ،وبعد اختلاطهم بشعوب أخرى ذات لغات وثقافات مختلفة نزح الفساد إلى الألسن وداخلها اللحن ومن ثمة صار تعليمها أساسي وذلك عن طريق تعلم ألفاظها ومعانيها وأساليب تكوين الجمل[3].

ولكون أحكام الشرع مأخذها من الكتاب والسنة كان لزاما معرفة العلوم المتعلقة بها[4] ،لذا اشتغل أهل الملة بهذا الفن وأولوه أهمية كبيرة خشية فساد موضوعات ألفاظه ؛ويدل على ذلك العدد الكثير من الكتاب الذين برزوا فيه ،وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهدي ت170ه/786م [5] ،الذي كان السباق في ذلك بتأليفه لكتاب **العين** وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي[6] ،ودخل هذا الكتاب إلى الأندلس على يد ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم ت302هـ/ 914 م[7] .

---

[1] هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ،الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس ،ولد عام 468ه ،طاف خلال حياته بالحجاز والشام ومصر والإسكندرية ،ترك مؤلفات كثيرة ؛منها **القواصم من العواصم** و**عارضة الأحوذي في شرح الترمذي** ،توفي بفاس سنة 543ه/1148م وبها دفن (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص ص.423،424).

[2] يهتم علم اللغة ببيان الموضوعات اللغوية والتي يعمد إلى حفظها بالكتابة والتدوين مجانبة للدروس وما ينجم عنه من جهل بالقرآن و السنة الشريفة ،وهو ما عكف عليه أئمة اللسان من خلال بذل الجهود المضنية في تأليف وإملاء الدواوين (أنظر: بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.567).

[3] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.153.

[4] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.565.

[5] هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي الأزدي (96هــ-714م/170هــ/786م) من مشاهير نحاة البصرة وصاحب علم العروض ،قال عنه عبد الله بن المقفع رأيت رجلا عقله أكثر من علمه (الزبيدي ،**المصدر السابق** ،ص.47 وما بعدها).

[6] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص .567.

[7] بن فرحون ،**المصدر السابق** ،ص.168.

ومما ساعد على انتشار اللغة بالأندلس دخول عدد من التابعين إليها أمثال حنش بن عبد الله الصنعاني وأبو عبد الرحمن علي بن رياح اللخمي ،ناهيك عن قادة المسلمين الذين جنحوا إلى الجهاد في سبيل نشر الإسلام في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا أمثال السمح بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي ت114ه/732م[1] ،فما لبثت أن صارت فيما بعد لغة الأندلسيين الرسمية في معاملاتهم وشؤونهم كافة باعتبارها لغة القرآن الكريم[2].

ويعتبر أبو بكر الزبيدي ت330هـ/941م [3] صاحب كتاب **لحن العامة** [4] وأبو الحسن علي بن سيده ت458ه/1065م [5] صاحب **كتاب المحكم** الذي ليس في كتب اللغة أحسن ولا أنفع منه[6] قمة تطور هذا الفن لدى الأندلسيين الذين يرى فيهم بن خلدون أنهم أهل صناعة بالعربية ومعلموها وأقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها عن سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم[7] ،كون الفاتحين من عهد موسى بن نصير إلى غاية عصر عبد الرحمن الناصر

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.287.

[2] حامد دياب الشافعي ، **الكتب والمكتبات في الأندلس** ،ط1 ،دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998م ،ص.31.

[3] هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ت330هـ/941 م اللغوي النحوي الشهير ،صاحب كتاب "الواضح" في النحو ومختصر كتاب العين (أنظر: الضبي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص ص.93،94).

[4] الحميدي ،**المصدر السابق** ،ص.42 ،المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.62 .

[5] الضبي ،**المصدر السابق** ،ص.366.

[6] جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ،**إنباه الرواة على أنباء النحاة** ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط.،دار ،ط.،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1369ه/1950م ،ج2 ،ص.468.

[7] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.584.

ت350ه/961م[1] كانوا ينقلون من المشرق ما عرفوه من لغة وأشعار العرب ويتداولونها في ليالي سمرهم دون أن تكون علما منظما[2].

وغرناطة بدورها اشتهر بها عدد كبير من اللغويين الذين برزوا في هذا الباب الرفيع الشأن نظرا لما خلفوه من إنتاج غزير دل في مجمله على مدى العناية الفائقة التي كانت تتميز بها اللغة عند عامة الغرناطيين وخاصتهم ،غير أن المقام قد لا يتسع بذكرهم جميعا لذا يمكن الاقتصار على المشاهير منهم ؛كما هو شأن أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي الذي اشتهر بصنعة الرسم على الذهب ،قرأ على شيوخ كثر أمثال الشيخ أبي الحسن بن أبي العيش والأستاذ أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي جعفر بن الزيات والراوية أبي الحسن بن مستقور ،حظي برفعة سامية في غرناطة إذ ولاه وزيرها أبو عبد الله بن المحروق النظر في خزانة الكتب السلطانية ،وأغدق عليه العطايا ،لكن الأمر ما فتىء أن فسد ما كان بينهما بعد اتهامه بأمور صدرت عنه لها علاقة بمسجد البيازين ؛فقبض عليه ثم نفي إلى إفريقية التي عزم العودة منها إلى الأندلس بعد موت خصمه ،إلا أن المنية وافته وهو في طريقه إليها سنة 730ه/1329م[3].

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن بيبش العبدري ت750ه/1349م الذي برع في العربية محققا فيها وشغفا بها ،الأمر الذي أدى به إلى الاشتغال بتجارة كتبها الثرية ،قرأ على شيوخ عدة منهم ببلده شيخ الجماعة أبي جعفر بن الزبير وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي وقرأ بسبتة بعد انتقاله إليها على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي ،يقول عنه ابن الخطيب أنه التقاه بها عندما أرسل سفيرا إلى سلطان

---

[1] هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ثامن خلفاء بني أمية بالأندلس وأول من تلقب منهم بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ،عرفت قرطبة على عهده مكانة عالية هابتها بسببها ملوك الروم التي كانت تبعث بالهدايا وترسل الرسل لربط العلاقات معها ،توفي سنة 350ه (أنظر: المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.54 وما بعدها)

[2] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،،ط3 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1962م ،ج3 ،ص.82.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.23 وما بعدها.

المغرب عام 752ه/1351م وأنشده مجيبا عن الأبيات التي كثر اشتهارها لدى الناس وهي:

يا ساكنا قلبي المعنى   وليس فيه سواك ثان

لأي معنى كسرت قلبي   وما التقى فيه ساكنان

فقال : نحلتني طائعا فؤادا   فصار إذ حزته مكان

لا غرو إذ كان لي مضافا   إني على الكسر فيه بان.

بقي بسبتة إلى أن استدعاه بن الخطيب إلى غرناطة فجرت عليه جراية من أحباسها ،وقعد يقرئ بها إلى أن وفاه الأجل فدفن بإلبيرة [1].

وأبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الخولاني الشهير بابن الفخار الذي أطلق عليه سيبويه العصر نظرا لنبوغه في علوم اللغة التي صار مبرزا لها مجاريا أعلام البصريين من النحاة ،إضافة إلى مشاركته في علوم الشرع من فقه وتفسير الأمر الذي أهله لأن يكون خطيبا بجامع غرناطة الأعظم ،ومدرسا بمدرستها النصرية ،كما ساهم في السفارة إلى عدوة المغرب رفقة الفقهاء للاستزادة في طلب العلم فالتقى في سبتة بشلة من العلماء أشهرهم الشيخ الإمام أبي إسحاق الغافقي الذي لازمه كثيرا ونهل من علمه الغزير ،وببلده قرأ على الشيخ النظار أبي القاسم بن الشاط والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد والقاضي أبي عبد الله القرطبي ،وهو أحد الشيوخ الذين قرأ عنهم بن الخطيب حيث يقول عنه :"وقرأت عليه القرآن وكتابي الجمل والإيضاح وحضرت عليه دولا من الكتاب وتوجه صحبتي في الرسالة إلى المغرب".

قال فيه محمد بن عبد الله اللوشي يوم وفاته سنة 754ه/1353م:

ويوم نعى الناعي شهاب المحامد   تغيرت الدنيا لمصرع واحد

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.27 وما بعدها.

فلا عذر للعينين إن لم تسايحا بدمع يحاكي الوبل يشفى لواحد

مضى من بني الفخار أفضل ماجد جميل المساعي للعلا جد شاهد[1].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الذي عد من مشاهير الطلبة المكبين على طلب العلم ،شديد الحرص على تحصيله من ذكر مسائل وإتقان حفظ ،ذا نزعة للعربية وبيانها ،لازم شيخ الجماعة أبو عبد الله بن الفخار وانتفع به كثيرا ،تعرض في حياته لمحن مختلفة أبرزها شلل أصاب يده لكنه لم يثنيه عن التألق في بين أقرانه ،إضافة إلى تعرضه للأسر والتشهير بين الناس من قبل سلاطين غرناطة بتهمة التآمر مع أمراء بني مرين كادت تودي بحياته ،غير أنها لم تدم إذ عفي عنه في الأخير وأعيد إلى موطنه أين عين مقرئا بإحدى جوامعه[2].

ولعل من مشاهير غرناطة في ميدان اللغة دون منازع أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الشهير بأثير الدين بن حيان النفزي ت745ه/1344م ،كان على اضطلاع بعلوم العربية من نحو وشعر زيادة على حفظ تفسير وطرق رواية ،قرأ بغرناطة على الشيخ أبو جعفر بن الزبير الذي لازمه كثيرا وبلغ من شدة تعلقه به أن صلى عليه بالقاهرة صلاة الغائب أيام إقامته بها فارا من دسائس خصومه ،ودرس على الخطيب أبي جعفر الطباع والخطيب أبي الحسن بن فضيلة المعافري ،كما روى عن العديد من المحدثين كالقاضي المحدث أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري ،وأبو عبد الله محمد بن عمران الأنصاري ،كما جالس بالقاهرة جهابذة كبار أمثال الإمام بهاء الدين محمد بالنحاس الشافعي الذي عرض عليه كتاب سيبويه وأقر له أنه لم يقرأه على أحد غيره وذلك عام 688ه/1289م[3].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.35 وما بعدها.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.38،39.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.43 وما بعدها .

ومن كتب اللغة التي تداولها أهل غرناطة نجد كتاب "**رصف المباني في حروف المعاني**" لأبي جعفر أحمد بن راشد الشهير بابن عبد النور ت702ه/1302م [1] ،وكتاب " **قاعدة البيان وظابطة اللسان** " لأبي جعفر الحسن الكلاعي ت 728ه/1327م [2] ،**وكتاب روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق** لأبي القاسم محمد بن علي الهمداني الشهير بابن البراق ت596ه/1199م [3] ،وكذلك كتاب **الدرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن فضيلة المعافري ت749ه/1348م [4].

النحو:

تعددت الروايات العربية التي تحدثت عن تاريخ نشأة علم النحو[5] بين مجتهد مصيب وبين سامع مقل ؛فمنهم من عزاه إلى عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يجعل للناس حروفا من رفع ونصب وجر بعد أن سمعهم يلحنون فيها [6] ،ومنهم من أسند ظهوره إلى نصر بن عاصم الليثي[7] وعبد الرحمن بن هرمز الذي كان أعلم الناس بشؤون قريش وأخبارها على عهده [8].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.198.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.489.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص.342.

[5] يقصد بالنحو في اللغة الطريق والقصد ،وفي اصطلاح العلماء العلم بالقواعد التي يعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها من الإعراب والبناء وما يتبع ذلك (أنظر: مرتضى الزبيدي ،**تاج العروس** ،مج20 ،ص.225 وما بعدها).

[6] ابن سلام الجمحي ،**طبقات فحول الشعراء** ،تح: محمود محمد شاكر ،د.ط،مطبعة المدني ،مصر ،د.ت.ط ،ص.12؛ أبو القاسم الزجاجي ،**الإيضاح في علل النحو** ،تح: مازن المبارك ،د.ط ،دار العروبة ،القاهرة ،1378ه/1959م ،ص.42 وما بعدها.

[7] أبو سعيد السيرافي ،**أخبار النحويين البصريين** ،اعتنى بنشره وتهذيبه: فريتس كرنكو ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،1936م ،ص.13.

[8] ابن النديم ،**الفهرست** ،د.ط ،مطبعة الإستقامة ،القاهرة ،د.ت.ط ،ص.65.

واعتبر علم النحو بمثابة صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي وفهم القرآن الكريم والحديث النبوي فهما صحيحا لكونهما أصل الشريعة وعليهما مدارها [1] ،لذا جاءت التآليف العديدة التي تصب في هذا الباب مثل **الأجرومية** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم ت723ه/1323م [2] و**الألفية** لابن مالك ت672ه/1273م [3]،إضافة إلى ما ألفه أبو محمد عبد الله بن درستويه في كتابه **الإرشاد في النحو** [4] وكتاب **الأصول في النحو** لأبي بكر بن السراج[5] ،وكذلك كتاب **المغني في الإعراب** لجمال الدين بن هشام [6] ،وهي في مجملها تسعى إلى تطهير اللغة مما لحق بها من كلمات دخيلة عليها[7].

شهد النحو في الأندلس تطورا ملحوظا نظرا لاشتغال الكثيرين به وعلى رأسهم العلماء ؛إذ يذكر المقري أنه وصل عندهم إلى نهاية علو الطبقة متشبهين بأصحاب أحمد

[1] محمد الصغير العبادلي المقطري ،**الحلل الذهبية على التحفة السنية** ،ط3 ،دار الإمام مالك ،البليدة ،1428ه/2007م ،ص.25.

[2] السيوطي ،**بغية الوعاة** ،مج1 ،ص ص238 ،239.

[3] هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني إمام النحويين واللغويين في عصره ،تتلمذ على على شيوخ عدة أمثال بن الحاجب وبن يعيش ،استقر به المقام بعد رحلته بدمشق أين تقلد مهام مشيخة المدرسة العادلية ،ترك مؤلفات في النحو والصرف بلغت نحو ثلاثين مصنفا بين منظوم ومنثور ؛منها الألفية المشهورة ،والكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت ،والمؤصل في نظم المفصل للزمخشري ،وفي العربية له شرح الجزولية وعمدة الحافظ وعدة اللافظ ،توفي بدمشق سنة672ه/1273م(أنظر: بن العماد الحنبلي ،**المصدر السابق** ،ج5 ،ص.339).

[4] بن النديم ،**المصدر السابق** ،ص ص.99،100.

[5] أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي ،**فهرسة بن خير** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410ه/1989م ،ج2 ،ص.402.

[6] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.567.

[7] يوهان فيك ،العربية ،عرض ونقد غازي مختار طليمات ،أفاق الثقافة والتراث ،مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،السنة الأولى ،العدد3 ،دبي ،رجب 1414ه/ديسمبر 1993م ،ص.10.

خليل الفراهدي وسيبويه ،إذ أن كل عالم لا يكون متمكنا من علم النحو ليس عندهم بمستحق للتمييز ولا بسالم من الازدراء[1].

ولعل من أشهر النحويين بالأندلس دون منازع أبو مروان عبد الملك بن سراج ت488ه/1095م[2] الذي أكثر مؤرخو الأندلس من وصفه في كتبهم[3] كونه أخرج ما كاد يندرس من المؤلفات الأدبية الشهيرة حفظا وتنقيحا ؛**ككتاب البارع** لأبي علي القالي و كتاب **أبيات المعاني** للقتبي [4] ،بالإضافة إلى نوابغ آخرين أمثال بن أبي الربيع والشلوبين الذين زادت ملكتهم في هذا الفن بفضل رحلاتهم إلى المشرق وتلقيه من أفواه أربابه[5] .

شهدت غرناطة بدورها ازدهارا كبيرا في هذا الفن نظرا لأهمية أصحابه الذين حفظوا لغة القرآن من الاندثار والتأثر بكل ما هو مشوه لقدسيتها ومواصلة رسالتها الحضارية من تهذيب للطباع وتعبيرا عن سماحة الدين الحنيف ؛سواء من اللهجة العامية التي أصبح مستعملوها يلحنون في القول عند محاولاتهم التكلم بها من فئات المجتمع الغرناطي المختلفة الأجناس أو من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها بحكم علاقاتها مع الممالك النصرانية أوقات السلم والحرب من تبادل للزيارات والوفود الرسمية وعقد الصفقات التجارية أو من خلال عقد المعاهدات وتبادل الأسرى الذي كان الكثير منهم يلبثون لسنوات طوال في بلاد العدو فينقلون ما علق بأذهانهم إلى بلداتهم من تعابير وألفاظ أثرت بمرور الزمن على نسق اللغة العام ،وهذه الحالة مست حتى الطبقة الحاكمة التي لم تكن بمنأى عن ذلك وهو ما يفهم من قول بن الخطيب عند حديثه عن الأمير الغرناطي أبو

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.222.

[2] الضبي ،**المصدر السايق** ،ص.331.

[3] بن فرحون ،**المرجع السابق**،ص.257.

[4] الزركلي ،**المرجع السابق** ،ج4 ،ص.159..

[5] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج3 ،ص.27.

الوليد إسماعيل بن يوسف النصري الذي نعته بالفاقد لحسن الأدب ،العريقة ألفاظه في العجمة [1].

ولعله إذا جيء إلى حصر إسهامات الغرناطيين في هذا الباب العزيز المطلب لوجد القارئ العديد منها ؛خصوصا إذا علم أن أغلبهم كانوا ذوي نزعات علمية في أبواب العلم المختلفة والتي تنبأ في مجملها عن مدى قيمة هذا اللون الأدبي العزيز ،لذا يمكن الاقتصار على البعض منهم أمثال أبو جعفر أحمد بن الزيات مؤلف كتاب **رصف نفائس اللآلئ ووصف عرائس المعالي** [2] ،وأحمد بن جزى ت741ه/1340م صاحب كتاب **الفوائد العامة في لحن العامة** [3] .

الأدب :

لم تكن لفظة الأدب مشهورة عند العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إلا بما يخص وزن الأخلاق وتقويم الطباع[4] ،ليتسع مدلولها فيما بعد إلى عدة معان منها تهذيب النفس وتعليمها ومنها الكلام الحكيم الناجم عن حكمة أو قول سديد ،وهي في أغلبها تؤدي إلى مجمل الكلام الجيد المروي نثرا وشعرا [5].

وفي بداية عهد المسلمين بالأندلس اتخذ الأدب طابع الحماسة والتغني بالبطولات وذلك بغية إذكاء عزيمة المقاتلين ،فجاء إنتاجهم الأدبي بمختلف أنواعه امتدادا للمشرق لكنه سرعان ما فتئ يتميز عنه نظرا لامتزاج بيئته الاجتماعية بأجناس مختلفة من عرب

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.398.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.290.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.22.

[4] مصطفى صادق الرافعي ،**تاريخ آداب العرب** ،د.ط ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1425هـ/2005م ،ج1 ،ص.21.

[5] عمر فروخ ،**تاريخ الأدب العربي** ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1978م ،ج1 ،ص.42.

المشرق وسكان أصليون احتضنوا كل ما هو جديد ،إضافة إلى عنصر المولدين الذين أخذوا ينافسون العرب في لغتهم[1].

ووجد هذا التنوع وسطا جغرافيا ساهم بقسط كبير في تطور فنونه وذلك ما تجلى في قول الشاعر بن سفر المريني :

في أرض أندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا نقوم الماء صهباء
وأين يعدل عن أرض تخضبها على الشهادة أزواج وأبناء
وأين يعدل عن أرض تحث بها على المدامة أفياء وأناء [2]

والأدب الأندلسي عرف بدوره نقلة علمية منذ عصر الخلافة التي ساعد استقرارها السياسي والاجتماعي على مسيرته بخطى سريعة نحو الرقي الحضاري مقارنة بالعلوم الأخرى ،ناهيك عن تأثير البيئة الأندلسية بجمالها الذي يسلب الأفكار ويسبي النفوس من الجنسين رجال ونساء[3] ،لذا حرصوا على تحصيله والاغتراف من مناهله كونه علم نبيل يتقرب به إلى مجالس الملوك والأعيان ومن لم تكن له مشاركة فيه أو متصفا بشيء منه كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه عندهم [4].

كما أن منهاج التعليم الذي اتبعوه في تكوين أبنائهم كان له دور إيجابي في رقي هذا الفن عندهم وذلك بتلقينهم الأدب قبل غيره من العلوم[5] ؛ويشير أحمد أمين إلى أن إنتاج الأندلسيين في هذا المجال كان أكثر من بقية العلوم الأخرى ،حيث أكثروا من وصف

---

[1] بن حيان ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص.76.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.227.

[3] عبد الرحمن الحجي ،**الحضارة الإسلامية في الأندلس** : أسسها ،ميادينها ،تأثيرها على الحضارة الأوربية ،ط1 ،دار الإرشاد ،بيروت ،1969م ،ص.37.

[4] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.222.

[5] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.558.

مجالات الحياة الاجتماعية ووصف الطبيعة والمواقع الحربية[1] ؛دل عليه ذلك التنوع في الأدباء والمؤلفات التي صار لأصحابها شأن كبير لقرون عديدة كما هو حال أبو الوليد أحمد بن زيدون ت463ه /1070م صاحب النونية [2] وبن عبد ربه ت328ه/939م صاحب كتاب **العقد الفريد** [3] ،وأبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ت426ه/1034م صاحب كتاب **حانوت عطار**[4].

لقي هذا الفن اللغوي بغرناطة عناية فائقة بين أفرادها على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية ؛فلا تكاد تجد فقيها أو محدثا أو رجل من رجالات الدولة إلا وكان له في الأدب السبق والتألق ،يظهر ذلك من خلال العدد الهام من الأدباء الذين كان يذكرهم بن الخطيب في مختلف المناسبات سواء بالتفصيل أو بالإشارات يمكن الاقتصار على أشهرهم كما هو حال إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المكنى بالطويجن ؛كان وحيد أقرانه في الأدب نظما ونثرا ،مشاركا في فنون عديدة ،طاف بالأندلس بعد أن اشتهر بغرناطة فضله وذاع صيته ،ومنها إلى بلاد السودان[5] التي أقام بها عند ملكها زمنا زمنا طويلا ازدادت فيها شهرته وسما ذكره ،عرج بعدها على مراكش أين مدح أميرها عند اقترابه من تلمسان بقصيدة مطلعها :

خطرت كمياس القنا المتأطر   ورنت بألحاظ الغزال الأعفر

وله في مدح غرناطة :

---

[1] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،ج3 ،ص35.

[2] مصطفى الشكعة ،**المغرب والأندلس** ،ص.385.

[3] بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.110.

[4] الضبي ،**المصدر السابق** ،ص.164.

[5] يطلق لفظ بلاد السودان على إمارات جنوب الصحراء كمالي وإيوالتن وميمة وتمبكتو وكوكو ،وضمت كذلك كل من مملكة غانة(300-1076) ومملكة الصنغاي(1326-1594) (أنظر: بن بطوطة ،**المصدر السابق**،ص.684 وما بعدها ؛يحي بو عزيز ،تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين ،د.ط ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،بوزريعة ،2001م ،ص.21 وما بعدها).

بلاد بها نيطت علي تمائمي   وأول ارض مس جلدي ترابها [1]

ومما زاد من ازدهار الأدب بغرناطة أن الكثير من الأدباء كانوا ينزحون إليها بعد توالي سقوط إمارات الأندلس في أيادي النصارى كما هو شأن الأديب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري ت520ه/1126م صاحب التآليف العديدة منها كتاب "**الحديقة**" في البديع ،و"**المسهب في غرائب المغرب**" ،احتمى بعبد الملك بن سعيد صاحب القلعة المشهورة باسمه بعد استيلاء العدو على بلدته بوادي الحجارة وفي ذلك يقول :

عليك أحالني الذكر الجميل   فجيت ومن ثناياك لي دليل

أتيت ولم أقدم من رسول   لأن القلب كان هو الرسول[2]

ومن علامات تألق أدباء غرناطة نبوغهم في فن المراسلات والمكاتبات الإدارية التي يطلق عليها تسمية الرسائل السلطانية نظرا لما لها من أهمية كبيرة في ترتيب شؤون الدولة وتسيير أمورها ،سواء الداخلية منها أو الخارجية ؛لذا أولوها عناية تليق بها ،فجاءت مؤلفاتهم حافلة ومتنوعة لعل أشهرها مؤلفي لسان الدين بن الخطيب ؛الأول بعنوان "**بستان الدول** " الذي شبه فيه أجهزة الدولة بعشر شجرات كل منها تعني جهازا معينا كالقضاء والحسبة والوزارة وجعل الكتابة إحداها [3] .

والثاني حمل عنوان "**ريحانة الكتاب**" الذي جمع فيه الرسائل التي كتبها عن سلاطين بني نصر[4] ،أبان فيها عن كفاءة عالية في فن المخاطبات نظرا للأساليب الراقية الواردة فيه والتي جعلته قبلة أرباب الإنشاء التي إليها يصلون وسوق دررهم النفيسة التي يزينون بها صدور طروسهم ويحلون[5] .

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص- ص .329-341.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.432 ،433.

[3] **نفسه** ،مج4 ،ص.460.

[4] **نفسه** ،مج4 ،ص.459.

[5] .

ولعل من أبلغ الرسائل التي خطها لسان الدين بأنامله تلك التي حث فيها أهل غرناطة على الجهاد بمناسبة محاولة استرداد ثغر الجزيرة الخضراء[1] التي لقبها بباب الأندلس وبكر الفتح الأول ،وأن الإسلام بالأندلس ساكن دار وهي بابه وهو مبعد مغار وهي ركابه...من هذه الفرضة دخل الإسلام تروع أسوده ،ومن هذه الجهة طلع الفتح الأول تخفق بنوده[2].

وكذلك رسالته إلى أبي عنان سلطان فاس يستشفعه في القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري ت759ه/1357م وذلك عام 757ه/1356م ،استعمل فيها عبارات تليق بالمقام وتكشف عن أحكامه لفنون الخطاب ،مما جاء فيها "...من حمراء غرناطة حرسها الله...وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ... نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد،وظمآها عن منهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ،حسبما سنه الأب الكريم والجد..."[3].

ومن المشاهير في هذا الفن أيضا نجد شيخ بن الخطيب أبو الحسن بن الجياب ت749ه/1348م الملقب برئيس كتاب الأندلس لحمله راية المنظوم والمنثور ،إمام في البلاغة والأدب[4] ،وهو ما جعله يحظى بمنزلة رئاسة الكتاب لدى سلاطين غرناطة لأعوام مديدة ،بدءا من السلطان أبو الجيوش نصر بن محمد (708ه-1308م/713ه-1313م)[5] إلى عهد السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (733ه-1332م /755ه-1354م) [6] ،أبان فيها عن مهارات فائقة في تدبيج الرسائل وصياغة الخطابات بأساليب ممتعة أوحت بتفوقه

---

[1] تطلق تسمية الجزيرة الخضراء على المنطقة الأندلسية المقابلة لسبتة ،بينها وبين قرطبة خمسة وعشرون فرسخا ،وهي من أجمل مدن الأندلس وأفضلها أرضا (أنظر: ياقوت الحموي ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص.136).

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.88.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.198،199.

[4] **نفسه** ،مج4 ،ص.125.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.336.

[6] **نفسه** ،مج4 ،ص.320.

على نظرائه من بني عصره وسعة اضطلاعه ، جمع بن الخطيب نتفا منها في مؤلف سماه "تافه من جم ونقطة من يم" [1].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن زمرك ت795ه/1392م تلميذ بن الخطيب وصديقه من قبل وعدوه من بعد ،بدأت مسيرته في هذا المجال بترقيه لدى سلاطين بني مرين بدءا بأبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن ليلتحق بعدها بخدمة السلطان الغرناطي محمد الغني بالله الذي قلده كتابة سره ،فاشتهر فضله وامتد في ميدان النثر والنظم باعه [2] .

والشأن نفسه مع محمد بن أحمد بن حيون حامل راية البلاغة والإعلام في ميادين البيان ،رحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان ،أهلته لأن يجمع بين الكتابة والقضاء والخطابة بغرناطة على عهد خامس ملوكها أبو الوليد اسماعيل بن نصر(713ه-1313م/725ه-1324م)[3].

كما تجدر الإشارة إلى مسألة هامة ألا وهي انحصار هذه الحرفة في بعض العائلات الغرناطية المشهود لها بسعة الباع وعلو الشأن العلمي والاجتماعي ،بحيث توارثوها أبا عن جد كما هو حال عائلة أبو عبد الله محمد بن الحكيم اللخمي الذي تبوأ كتابة الإنشاء لدى المملكة[4] وخلفه فيها ابنه أبو بكر بن الحكيم ت750ه/1349م أكثر عمره [5] ،ومن بعده أبو القاسم محمد بن الحكيم ت750ه/1349م الذي كان قاضيا ببعض جهات غرناطة[6].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.64.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.302،301.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.182،181.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.560.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.272،273.

[6] **نفسه** ،مج ،ص266.

والشأن نفسه مع أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري الذي خدمت عائلته في ظل الدولة النصرية لسنين طويلة ،اشتهر عنه تقلده للكتابة لدى أمراء وسلاطين عدة في كل من بجاية وفاس ثم غرناطة نظرا لرفعة أدبه وجودة نثره[1].

ومن فنون الأدب التي شهدتها غرناطة بشكل ملفت للانتباه فن الخطابة وإحكام استعمال العبارات التي تتماشى مع ما نظمت من أجله والتي كانت تزداد قوة في وقعها وغزارة في معانيها كلما زادت الخطوب والرزايا ،منها الخطب الجهادية التي كانت تصدر عن علية الدولة ،مثل خطبة السلطان الغرناطي محمد بن أبي الحجاج النصري التي تليت في المساجد يحث فيها أهل غرناطة على وجوب الإستعداد لمواجهة الخطر الصليبي الذي بات يهدد مملكتهم وما أعده من عدة لتحقيق ذلك ،ويذكرهم في الآن ذاته بعظم الأجر الذي سيحصلونه في الدفاع عن ديار الإسلام وبما كان عليه سلف الأمة في مثل هكذا مواقف ،ويحذرهم من الغفلة ومن مغبة التقاعس عن ذلك في الدنيا والآخرة ،وضرب مثلا بإمارات الأندلس التي سقطت بأيادي عبدة الصلبان نتيجة الغفلة والتناحر حول الملذات والملهيات ،فكان أن حلت النواقيس مكان الآذان[2].

وكذلك الخطبة التي حثت الناس على إنجاد الجزيرة الخضراء باب الأندلس وبكر الفتح الأول وإشعارهم بمدى أهمية هذه المنطقة نظرا لما لها من فضل في القديم والحديث ،استعملت فيها عبارات في غاية الدقة تنبأ عن المقام الذي جعلت له والغرض من ذلك[3].

ومن المؤلفات في هذا اللون الأدبي نجد عديد الكتب الأول بعنوان **شذور الذهب في صروم الخطب** والثاني حمل إسم **فائدة الملتقط وعائدة المغتبط** والثالث **المقام المخزون من الكلام الموزون** لأبي جعفر الحسن بن علي الكلاعي ت728ه /1327م [4] ،وكتاب

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.342 وما بعدها.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.53 وما بعدها .

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص ص .88،89.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.

روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق لأبي القاسم محمد بن علي الشهير بالبراق [1] ،وكذلك كتاب **المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة** لإبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري[2].

غير أن هناك من استعمل هذا الفن اللغوي كوسيلة للوصول إلى تحقيق الأهداف والمشاريع المرجوة كما هو حال عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي الذي يصفه بن الخطيب بصاحب الدرك الأسفل من النظم ،وسط الخط ،سوقي السجع ،وذلك عندما شغل منصب كاتب لدى السلطان الغرناطي أبو الوليد إسماعيل بن يوسف النصري[3].

لكن الذي يمكن ملاحظته رغم هذا التنوع هو أن الأدب لم يرتقي في غرناطة إلى مستو راقي في بداية الأمر نظرا لوجود طوائف من البربر تقلدوا مناصب ولاة الأمور الذين كان شغلهم الشاغل هو العمل على استتباب الأمن والمحافظة على مصالح المملكة الفتية التي كان لا تزال في أولى مراحل نشأتها ،هذا ما فسح المجال لدخول أعلامه من الغرباء عن البلد الذين كان لهم دور بارز في مختلف فروعه كأبي الفتوح الجرجاني الشاعر الفيلسوف والفلكي ،وصامويل بن النغريلة اليهودي الذي تألق في ميدان الدراسات العبرية ،قابله نزوح شعراء وكتاب غرناطيين إلى بلاط ألميرية[4].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.489.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.346.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص403.

[4] أنظر: – Angel Gonzalez Palencia , historia de la literatura ara bigo Espanola..pp18.19.

الشعر :

يرى بن خلدون أن الشعر من فنون كلام العرب شريف المنزلة ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون إليه في الكثير من حكمهم[1] ،كما أن بن قتيبة تدبر الشعر على حد قوله فوجده على أربعة أضرب ؛منه ما هو حسن لفظه وجار معناه وضرب حسن لفظه وحلا معناه فإذا فتشته لم تجد له فائدة في معناه ،ومنه ما جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه وضرب تأخر معناه ولفظه[2].

وقد يبدوا لمتتبع مسيرة الشعر الأندلسي منذ الوهلة الأولى أنه لم يختلف كثيرا عن الأدب من حيث انتمائه المشرقي وطريقة نظمه ومميزات أساليبه ومعانيه ،وذلك ما نلمسه من قول بن بسام الشنتريني ت 542ه/1147م أن أهل الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم إليه رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق بالأفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لبحثوا على هذا منها وتلوا ذلك كتابا محكما[3] ،غير أنه وبمرور السنين أخذ ينفرد بخصائص جعلت منه حقلا لضروب متنوعة ؛كون الأندلسيون لم يتركوا بابا من أبوابه المعروفة إلا وعالجوه[4] ؛فتركوا قصائد في المدح والهجاء والرثاء والفخر والزهد والغزل فجاءت غزيرة ومعبرة في مجملها عن نواحي الحياة الأندلسية[5] التي أثرت بدورها فيما بعد ولسنين طويلة في مؤلفات الشعر لدى الإسبان وهذا ما أشار إليه غوستاف لوبون من أن مصادر الشعر الإسباني والبروفنسي ترجع في أصولها إلى

---

[1] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.588.

[2] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،**الشعر والشعراء** ،المطبعة الشعبية للجيش ،د.ط ،الجزائر ،2007م ،ص.

[3] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،تح: سالم مصطفى البدري ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1419ه/1998م ،مج1 ،ص ص.3،4.

[4] يرى المقري أن الشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ،ولهم عليهم وظائف ،والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ،ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم .(أنظر: **نفح الطيب** ،مج1 ،ص.222).

[5] يوسف فرحات ويوسف عيد ،**معجم الحضارة الأندلسية** ،دار الفكر العربي ،ط1 ،بيروت ،2000م ،ص.5.

تأثيرات شعراء عرب الأندلس الذين كانوا يجتمعون في خيامهم كل مساء لسماع القصص العجيبة كما هو حال غرناطة[1].

كما أن هناك أمر آخر يعد من الأسباب الرئيسة التي أعطت الشعر مكانة مرموقة بهذا القطر ألا وهو ذلك الاهتمام الكبير الذي حظي به الشعراء لدى الملوك والأمراء خصوصا أوقات الأزمات والفترات العصيبة التي كانت تشهدها الأندلس بين الفينة والأخرى ،فكان لكل أمير شاعر يعتبره لسانه الحاد الذي يبدي محاسنه ومهابته لدى العامة وساعده القوي الذي يعينه على مجابهة مناوئيه من الداخل والخارج ،يغدقه بالعطايا والمركز السامي في دولته كما هو حال المعتمد بن عباد مع أبي الوليد أحمد ابن زيدون [2] ،ومحمد بن أبي عامر الذي كان يصحبه عدد كبير من الشعراء في غزواته لبلاد النصارى من ذلك ما أشار إليه بن الخطيب حين تعرض لذكر شخصه ومروره بإلبيرة ،حيث ذكر عددا منهم أمثال حسن بن الوليد الشهير بابن العريف وأبو الوضاح بن شهيد وطاهر بن محمد المعروف بالمهند ووصفهم بالشعراء المرتزقين من ديوانه [3] ،ناهيك عن دور مناظر الأندلس الخلابة التي أكسبت الشعر قوة وزادته جمالا خصوصا إذا علمنا أن أغلب شعراء البلد ازدادوا شهرة بين أقرانهم من شعراء المغرب والمشرق الإسلاميين نظرا لما أكثروه من وصف الطبيعة واستلهموه من تعابير لها وقعها على سامعها ،فكانوا مثلا عند ذكرهم المرأة يشبهونها بالزهر والنعمان والآس[4].

---

[1] غوستاف لوبون ،**حضارة العرب** ،نقله إلى العربية عادل زعيتر ،دار إحياء الكتب العربية ،ط3 ،القاهرة ،1375هـ/1956م ،ص.448.

[2] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.162.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.106.

[4] المقري ،**نفح الطيب** ،مج5 ،ص .52.

وإذا جيء إلى تقييم مدى اهتمام الأندلسيين على العموم بهذا الفن نجده يمثل عندهم في أغلب الأحيان السمة الأدبية العامة لهم حتى قيل أن مدينة شلب [1] مثلا قل أن يرى أحد من أهلها لا يقول شعرا ولا يهتم بالأدب حتى أهل الفلاحة لو سأل أحدهم عن الشعر لقرضه من ساعته[2]، يضاف إلى ذلك ما اتصف به الأندلسيون من خيالات ذهنية وكثرة المعاني جعلت منهم يتفوقون على المشارقة في الكثير من الأحيان ؛فتجدهم يأخذون عن المتنبي مثلا أسلوبه ويحاكون جزالة تعبيراته وعمق خياله كما فعل بن هانئ[3].

وقد جاءت أغلب الأشعار التي وردت في موسوعة الإحاطة تصب أغلبها في أغراض المدح والرثاء والاستنجاد ببني جلدة الإسلام ،ناهيك عن الفخر والغزل واستهجان العديد من الحوادث التي كانت تطرأ بين الفينة والأخرى ،غير أن التي نالت حظا أوفرا ضربا المدح والتغني بأعمال المشاهير من السلاطين ورجال الدولة ،أبانت على نباهة شعراء غرناطة وقدرتهم في استخدام الألفاظ الجزلة والقوية ؛من ذلك ما قاله أبو عبد الله محمد بن لب النحوي ت725ه/1324م في السلطان أبو الوليد إسماعيل بن نصر(713ه/1313م-725ه/1324م) على إثر انتصاره على جيش قشتالة في ربيع الثاني عام 718ه/ ماي 1318م:

أسمى الملوك أبو الوليد المرتضى   وأعز من شرفت به الأمداح

هو دوحة الملك العلي فروعها   وبراحتيه ترزق الأدواح

ولمثله قاد الجياد عدوه   فخباله قدح وخاب قداح [4]

---

[1] شلب: بكسر أوله وسكون ثانيه من مدن غرب الأندلس بينها وبين باجة مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين قرطبة عشرة أيام ،اشتهر عن أهلها برعايتهم للعلوم خوصا الأدبية منها(أنظر: ياقوت الحموي ،**المصدر السابق** ،مج3 ،ص.357).

[2] القزويني ،**المصدر السابق** ،ص.541.

[3] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،ج3 ،ص ص.105،106.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.438.

وما قاله بن الخطيب بدوره في السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج الخزرجي ت755ه/1354م :

أ يوسف إن الدهر أصبح واقفا على بابك المأمول موقف تائب

دعاؤك أمضى من مهندة الظبا وسعدك أقضى من سعود الكواكب

سيوفك في أغمادها مطمئنة ولكن سيف الله دامى المضارب

فثق بالذي أرعاك أمر عباده وسل فضله فالله أكرم واهب [1] .

وكذلك ما جاء في قصيدة طويلة لابن الجياب شيخ بن الخطيب يهنئ فيها ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اللخمي ت708ه/1308م:

يا قادما عمت الدنيا بشائره أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به من السعادة أجناد تظاهره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا قيست بفخر أولى العليا مفاخره

وزارة الدين والعلم الذي رفعت أعلامه والندى الفياض زاخره

لا يصدر الملك إلا عن إشارته فالرشد لا تتعداه مصائره[2] .

ومنه أيضا ما قاله الشاعر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي في مدح الأمير المرابطي علي بن يوسف اللمتوني أيام مكوثه بغرناطة :

أيا مالكا يسمو بسعد مساعد وقدر على علو الكواكب صاعد

نظمت قصيدا في علاك مضمنا ثلاث قواف في ثلاث قصائد

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.331.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص ص .453،454.

إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها　　　　وإن وصلت كانت ككعب وساعد[1]

ونجد أيضا العديد من القصائد التي كانت تنظم تبعا لمناسبات معينة منها القصيدة التي هنأ فيها أحمد بن محمد بن فركون ت729ه/1328م السلطان الغرناطي أبو عبد الله بن نصر بمناسبة تماثله للشفاء بعد مرض ألم به منها قوله :

شفاؤك للملك اعتزاز وتأييد　　　　وبرأك مولانا به عيدنا عيد

مرضت فلم تأو النفوس لراحة　　　　ولا كان للدنيا قرار وتمهيد

ولم تصبر عيني تود مؤلما　　　　ولازمها طول اعتلالك تسهيد [2]

وكذلك ما نظمه أبو الحسن بن الجياب في تهنئة محمد بن عبد الرحمن بن فتوح اللخمي ت 708ه/1308م بمناسبة عيد الفطر المبارك وهي قصيدة طويلة ابتدئها بقوله :

يا قادما عمت الدنيا بشائره　　　　أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به　　　　من السعادة أجناد تظاهره

قدمت فالخلق في نعمة وفي جذل　　　　أبدى بك البشر باديه وحاضره

الأرض قد لبست أثواب سندسها　　　　والروض قد بسمت منه أزهاره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا　　　　لما سقاها دراكا منك باكره [3]

ومن الرثاء نجد عددا من القصائد التي استعملت فيها أبلغ العبارات التي لها وقع على النفوس نظرا لما يقتضيه حال صاحبها ومنزلته من المقول فيه ؛من ذلك ما نظمه بن الخطيب في أبيه أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني ت741ه/1340م:

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطي　　　　وللدهر كف تسترد الذي تعطي

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 2 ،ص.477.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.156.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.453.

وإنا وإن كنا على ثبج الدنا فلا بد يوما أن نحل على الشط

وسيان ذل الفقر أو عزة الغنى ومن أسرع السير الحثيث ومن يبط

تساوى على ورد الردى كل وارد فلم يغن رب السيف عن ربة القرط [1].

وزاد عليه في رثائه قول شيخ بن الخطيب أبو زكريا بن هذيل :

إذا أنا لم أرث الصديق فما عذري إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر

ولو كان شعري غير ندبة لم يكن وأجريت دمعي لليراع عن الحبر

لما كنت أقضي حق صحبته التي التي توخيتها عونا على نوب الدهر [2].

ومنها كذلك رثاء السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاري ت725ه/1324م الذي ورد في مرثية طويلة لأبي الحسن بن الجياب :

أيا عبرة العين امزجي الدمع بالدم ويا زفرة الحزن احكمي وتحكمي

ويا قلب ذب وجدا وغما ولوعة فإن الأسى فرض على كل مسلم

ولم لا وشمس الملك والمجد والهدى وفتاح أبواب الندى والتكرم

ثوى بين أطباق الثرى رهن وحيدا وأصمته الليالي بأسهم

شهيد سعيد صبحته شهادة تبوأ منها في الخلود التنعم

فيا من يرى الدنيا مجاجة نحلة ألا فاعتبرها فهي نبتة أرقم

فمن شام منها اليوم برق تبسم ففي الغد تلقاه بوجه جهنم [3]

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.391.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.391 ،392.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص ص.395 ،396.

ولعل من أشهر المراثي في غرناطة قاطبة تلك التي نظمت عند وفاة السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر :

محمد الرضي سليل محمد إمام الندى نجل الإمام محمد

فيا نخبة الأملاك غير منازع ويا عالم الأعلام غير مفند

بكتك بلاد كنت تحمي ذمارها بعزم أصيل أو برأي مسدد

وكم من معلم للدين أوضحت رسمه بنى لك في الفردوس أرفع مصعد

كأنك ما سست البلاد وأهلها بسيرة ميمون النقيبة مهتد

كأنك ما قدت الجيوش إلى العدا فصيرتهم نهب القنا المتقصد

كأنك ما أنفقت عمرك في الرضى بتجديد غزوات وتشييد مسج

وإنصاف مظلوم وتأمين خائف وإصراخ مذعور وإسعاف مجتد [1]

وتعددت قصائد الفخر بدورها بغرناطة حيث كان الناس يتداولونها فيما بينهم خصوصا فيما يتعلق بباب النسب أو المكانة الاجتماعية والعلمية في الآن ذاته منها قول أبو عبد الله محمد بن الشديد :

لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهز به لدى الروع الحسام

ونحن اللابسون لكل درع يصيب الشمس منهن انثلام

بأندلس لنا أيام حرب مواقفهن في الدنيا عظام

ثوى منها قلوب الروم خوفا يخوف منها في المهد الغلام

حمينا جانب الدين احتسابا فها هو لا يهان ولا يضام [2].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.555 ،556.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.386 ،387.

وكان شعراء غرناطة في أحيان كثيرة يخرجون عن باب الفخر وذكر الأنساب إلى وصف معالم الطبيعة وأثارها المختلفة ؛من ذلك ما سالت به قريحة الشاعر أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المعروف بابن المرابع ت750ه/1349م واصفا لجبل شلير بطلب من أمراء غرناطة إذ يقول :

وشيخ جليل القدر قد طال عمره وما عنده علم بطول ولا بقصر

عليه لباس أبيض باهر السنا وليس بثوب أحكمته يد البشر

طورا تراه كله كاسيا به وكسوته فيها لأهل النهى عبر

وطورا تراه عاريا ليس يشتكي لحر ولا لبرد من الشمس والقمر

فداك شلير شيخ غرناطة التي لبهجتها في الأرض ذكر قد انتشر[1] .

هذا واشتهر بغرناطة ضرب آخر من ضروب الشعر ألا وهو الغزل الذي يعد امتداد لمؤلفات شعراء الأندلس الذين برزوا في هذا الشأن من قبل كما هو حال كتاب **الحدائق** لأبي عمر أحمد بن فرج الجياني الذي ألفه للحكم المستنصر القرطبي[2] وكتاب **طوق الحمامة في الألفة و الآلاف** لأبي محمد بن حزم القرطبي ت465ه/1072م[3] .

ومن قصائد الغزل العديدة نذكر ما نظمه أبو عبد الله محمد بن محمد النمري ت736ه /1335م في رسالة بعث بها إلى زوجه حينما كان بعيدا عنها يقول فيها :

سلام كرشف الظل في مبسم الورد وسيل نسيم الريح بالقضب الملد

سلام كما ارتاح المشوق مبشرا بروي من يهواه من دون ما وعد

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.425.

[2] أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي ،**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ،تح: روحية عبد الرحمن السويفي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ص.92.

[3] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.83.

سلام كما يرضي المحب حبيبه من الجد في الإخلاص والصدق في
الوعد سلام وتكريم وبر ورحمة بقدر مزيد الشوق أو منتهى الود
على ظبية في الأنس مرتعها الحشا فتأوي إليه لا لشيح ولا رند [1].

وكذلك ما أنشده أبو بكر محمد بن مقاتل ت 739ه /1338م:

أيا لبنى الرفاء تنظى ظباؤهم جفون ظباهم والفؤاد كليم
لقد قطع الأحشاء منهم مهفهف له التبر خد واللجين أديم
يسدد إذ يرمي قسى حواجب وأسهمها من مقلتيه تسوم
وتسقمني عيناه وهي سقيمة ومن عجب سقم جناه سقيم [2]

ومنها أيضا ما أنشده أبو عبد الله بن محمد البلوي :

عللوني ولو بوعد محال وحلوني ولو بطيف خيال
واعلموا أني اسير هواكم لست أنفك إلا عن عقال
فدموعي من بينكم في انسكاب وفؤادي من سحركم في انشغال
من مجيري من لحظ ريم ظلوم حلل الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسمر الجفن منى طال منه الجوى بطول الليالي [3]

كما وردت قصائد عديدة صبت في باب الزهد والتوجع من أحوال الدنيا الآلية نحو الزوال ؛كانت في مجملها عبارة عن تنبيهات صادرة عن من خاضوا التجارب وازدادوا منها بصيرة ،من ذلك قول أحمد بن محمد بن سعيد بن جزى :

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.31 ،33.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.380.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.385.

أما واعظي شيب سما فوق لمتي سمو حباب الماء حالا على حال

أنار به ليل الشباب كأنه مصابيح رهبان تشب لقفال

نهاني عن غي وقال منبها ألست ترى السمارى والناس أحوالي

تشغفك الدنيا وما ان شغفتها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي

ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها ديار لسلمى عافيات بذي خال

فأين الذين استاثروا قبلنا بها لناموا فما إن من حديث ولا صال

ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من لعوب تنسيني إذا قمت سربالي [1]

ومنه كذلك قول أبو بكر محمد بن مفضل اللخمي :

لا تخدعنك ترهات أحدثت وخزعبلات للجهول تروق

واعكف على القرآن دهرك واجتمع فالشغل عنك لغيره تفريق

إن الحديث وفقهه وعلومه هذا الذي للمؤمنين يليق

والحق بقوم قد عنوا بتجارة نفقت لهم يوم القيامة سوق

واقنع بعلم الوحي علما ثم لا يذهب بك التشفيق والتوفيق

لا ترضى فيه بالدنية ولتمت إذا لم تسق منه رحيق [2]

وكذلك قول محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي ت686 ه/1287م:

اقنع بما أوتيته تنل الغنى وإذا دهتك ملة فالتصبر

واعلم بأن الرزق مقسوم فلو رمنا زيادة ذرة لم نقدر

والله أرحم بالعباد فلا تسل أحدا تعش عيش الكرام وتؤجر

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.160.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.423.

وإذا سخطت لبؤس حالك مرة   ورأيت نفسك قد غوت فالتصبر [1]

ولم يقف الشعر عند هذا الحد بل اعتبر في كثير من الأحيان بمثابة مرجع حضاري وقالب قصصي حفظ الكثير من الحوادث التي شهدتها غرناطة عبر فترات تاريخها المجيد تراوحت بين المسرات والأحزان ،أثرت في مجملها في نفسية الشعراء الغرناطيين كل على طريقته أو منزلته الإجتماعية.

وإن جيء إلى ترتيب الشعراء بغرناطة عبر سنواتها الطوال نجد منهم من كان يشابه شعراء المشرق الإسلامي الأوائل في نظمهم للشعر ومدى قوة العبارات والألفاظ والأساليب المستخدمة فيه ؛أمثال بن زمرك الصديق العدو الذي يصفه بن الخطيب بأنه شعلة من شعل الذكاء ،كلفا بالقراءة مشارك في العديد من الفنون ،قصائده في مدى الإجادة ،قرأ ببلده على شيوخ كثر أمثال أبو عبد الله بن الفخار وأبو سعيد بن لب وبفاس على جماعة من العلماء على رأسهم أبي عبد الله العلوي التلمساني[2].

كما كان للمرأة الغرناطية دورها كذلك في نظم الشعر والعناية به ولعل من أشهرهن حفصة بنت الحاج الركوني ت 580ه/1184م فريدة زمانها في الحسن والأدب ،زينتها بديهة جيدة وشعر سريع ،جعلت منها مطلبا لذوي الشأن يستعذبون أشعارها ويستأنسون بما تجود به قرائحها من أطيب الأقوال وأعذب التعابير ،من ذلك طلب أخت الوزير أبو بكر يحي بن محمد بن عمر الهمذاني أن تنظم لها شيئا بأناملها فكتبت لها :

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم   غضي جفونك عما خطه القلم

تصفحيه بلحظ الود منعمة   لا تحفل بقبيح الخط والكلم

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.428.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.301 وما بعدها.

جاوزت شهرتها بلدها غرناطة أين دعيت لتدريس نساء الأمراء والسلاطين ،حيث دعاها منصور الموحدين للإشراف على تعليم نسائه ،وسألها يوما أن تنشده ارتجالا فقالت :

أمنن علي بصك	يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه	الحمد لله وحده [1] .

ونجد أيضا حمدة بنت زياد المكتب وأختها زينب الشاعرتان اللتان كانتا تجتمعان بأهل الأدب وتنظمان الشعر ،غير أن زينب كانت أقل حظا من أختها التي أورد لنا بن الخطيب بعضا من أشعارها منها قولها :

أباح الدمع أسراري بوادي	له في الحسن أثار من وادي
فمن نهر يطوف بكل روض	ومن روض يطوف بكل وادي
ومن عين الظبا مهات إنس	سبت لي وقد سلبت فؤادي
لها لحظ ترقده لأمر	وذاك الأمر يمنعني رقادي

وكذلك قولها :

ولما أبى الواشون إلا قتالنا	وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على آذاننا من غارة	وقلت حماتي عند ذاك وأنصار
رميتهم من مقلتيك وأدمعي	ومن نفسي بالسيف والسيل والنار [2]

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص .491 وما بعدها .
[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.490.

وتضاف إليهما فاضلة أخرى وصفها بن الخطيب بأنها ثالثة حمدة وولادة ،وفاضلة الأدب والمجادة ،ألا وهي أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي نشأت في بيت علم فاغترفت من أبيها الأدب والطب وأجادت قراءة القرآن وفنون الخط ناهيك عن نظمها الشعر الذي منه قولها :

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلي لا أبغي به بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس [1]

ومن المؤلفات الشعرية التي اشتهرت بغرناطة **ديوان نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان** لمحمد بن أحمد بن جبير الرحالة الشهير ت614ه/1217م ،وكذلك ديوانه الآخر **نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح** الذي نظمه على شكل رثاء في زوجته أم المجد التي فقدها عند إقامته بفاس[2].

وكتاب "**بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار**" لأبي القاسم محمد بن علي الهمداني ت596ه/1199م[3] ،وكتابا "**المشرف الأصفى في المأرب الأوفى**" ،و"**الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية**"لأبي جعفر أحمد بن الحسن بن الزيات ت728ه /1327م [4].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.430،431.

[2] **نفسه** ،مج2 ،ص.232.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص.489.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.289 ،290.

الموشحات :

ظهر في الأندلس نوع من الشعر الشعبي صار يعرف بالموشحات والأزجال [1] ،اشترك فيه المثقفون وعامة الشعب[2] وكانت تستعمل فيه اللهجات العامية التي لا تلتزم بقواعد اللغة[3] وبمرور السنين اشتهر في بين الأندلسيين وتناقلوه فيما بينهم خصوصا في مواسم العصير وأيام القطاف[4] ،وقد لفت هذا الفن انتباه العديد من المؤرخين نظرا لأهميته في إضافة معلومات عن الرصيد الأدبي لتلك البقاع الإسلامية وتفردها بهذا الفن ،ولعل أشهرهم بن خلدون الذي أفرد له فصلا خاصا في مقدمته عند حديثه عن الشعر عرف به وبخاصياته ،من ذلك قوله "...ينظمونها أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ،ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد..."[5].

ويعتبر أبو بكر بن قزمان ت555ه/1160م[6] من أشهر الذين برزوا في هذا المجال نظرا لما خلفه من موشحات بلغ صداها إلى بقاع مختلفة في العصر الوسيط ولقرون عديدة فيما بعد[7] حتى لقب بإمام الزجالين[8] ،يليه في المرتبة كل من بن عبد ربه [9] وأبو

---

[1] عرفت الموشحات أنها زبدة الشعر ونخبته ،وخلاصة جوهره وصفوته ،وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق ،وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق (أنظر: المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص.19).

[2] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،ج3 ،ص.191.

[3] محمد رضوان الداية ،**المختار من الشعر الأندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال** ،ط3 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،1413ه/1992م ،ص.296.

[4] إحسان عباس ،**تاريخ الأندلس :عصر الطوائف والمرابطين** ،ط1 ،دار الثقافة ،بيروت ،1962م ،ص.22.

[5] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص .612.

[6] الزركلي ،**المرجع السابق** ،ج6 ،ص.322.

[7] أ نظر. Mahmoud guettat: la musique classique du Maghreb , la bibliothèque arabe sindbad ,paris ,1980,p.135.

[8] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.619.

[9] **نفسه** ،ص.612.

العباس أحمد بن عبد الله الشهير بالأعمى التيطلي ت 520 ه/ 1123 م[1] ،وبن بشري صاحب كتاب **عدة الجليس ومؤانسة الوزير والأنيس** الذي ضمنه أزيد من ثلاث مئة موشحة[2].

كان بن قزمان يتردد على غرناطة بين الفينة والأخرى على حسب ما تقتضيه الضرورة أين كانت له جلسات يجتمع بمحبيه في إحدى القرى نعتها بن الخطيب بالزاوية ،وذكر وصف نزهون القليعية الأديبة له ببقرة بني إسرائيل بعد مناظرة جرت بينهما.

ومن مقطوعاته في هذا الفن ما نظمه على إثر سقوطه بأحد برك غرناطة نظرا لتمكن السكر منه :

إيه أبا بكر ولا حول لي   بدفع أعيان وأنذال

وذات جرح واسع دافق   بالماء يحكي حال أذيال

غرقتني في الماء يا سيدي   كفره بالتغريق في المال [3]

ولابن الخطيب بدوره تأليف هام في هذا اللون الأدبي سماه **جيش التوشيح** [4] عرض عرض فيه العديد من المقطوعات الزجلية ،ومن بعض نظمه في هذا اللون قوله:

رب ليل ظفرت بالبدر   ونجوم السما لم تدر

حفظ الله ليلنا ورعا   أي الشمل في الهوى جمعا   غفل الدهر والرقيب معا

ليت نهر السر لم يجر   حكم الله لي على الفجر

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص.241.

[2] أحمد بسام ساعي ،الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب عدة الجليس ،مجلة أفاق الثقافة والتراث ،تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي ،السنة 01 ،العدد3 ،رجب 1414ه/ديسمبر 1993م ،ص ص.18،19.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.505.

[4] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب** ،ج1 ،ص.23 ؛إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.388.

علل النفس يا أخا الطرب بحديث أحلى من الضرب في هوى من وصاله أرب [1]

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.525.

الفصل الخامس

العلوم الإجتماعية

- التاريخ
- الجغرافيا
- الفلسفة
- التصوف

تشكل العلوم الإجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة إضافة إلى التصوف دورا هاما في حقل الدراسات الإنسانية نظرا لما تساهم به من تدعيم معلوماتي للرصيد المعرفي الإنساني الذي له قيمته الخاصة في إطار الأنشطة الحضارية ،وذلك لا يتم إلا من خلال التعرض إلى الكثيرين من المهتمين بهذه العلوم على اختلاف مشاربهم المعرفية وتوجهاتهم الفكرية والكشف عن إنتاجهم الغزير فيه والذي يعتبر في مجمله بمثابة حوصلة لتجارب طويلة ورؤى مختلفة ،سواء بالمشاهدة أو بالسماع ،وهذا ما سنحاول التطرق إليه بغرناطة ومقارنته بما كان قائما بالإمارات الأندلسية والإسلامية عامة.

العلوم الإجتماعية :

1/ االتاريخ :

اتسم تدوين الحوادث التاريخية عند المسلمين منذ أول وهلة بارتباطه المتين بالعلوم الشرعية من فقه وحديث[1] في قالب السيرة النبوية الشريفة التي عرفت فيما بعد باسم المغازي[2] لعل أشهرها **كتاب السيرة** لمحمد بن إسحاق بن يسار ت151ه/768م الذي ضمنه تاريخ الخليقة إلى غاية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم [3] ،وكذلك كتاب **المغازي** لمحمد بن مسلم الزهري ت124ه/741م [4].

ولعل اهتمام الخلفاء المسلمين بهذا الفن العزيز يعود الفضل فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اتخذ من الهجرة النبوية منطلقا لتاريخ المسلمين [5] ،وسار على نهجه الخلفاء من بعده كما هو شأن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الذي كان يسجل أخبار الملوك وسيرهم في دفاتر رتب غلمانا لقراءتها[6].

ونظرا لما لحق العديد من الوقائع التاريخية من زيغ وتحريف لجأ أهله إلى اعتماد طرق المحدثين من إسناد وجرح وتعديل [7] ،فظهرت مؤلفات عديدة تنحوا هذا النهج في تحقيق الأخبار ومحاولة تحري الحقائق كما هو شأن بن جرير الطبري في **تاريخ الأمم**

---

[1] عبد العزيز سالم ،**التاريخ والمؤرخون العرب** ،ص.26.

[2] علي حسني الخربوطلي ،**الحضارة العربية الإسلامية** ،ط2 ،مطبعة الخانجي ،القاهرة ،1415ه/1994م ،ص.274.

[3] جب هاملتون ،**دراسات في حضارة الإسلام** ،ترجمة إحسان عباس وآخرون ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1979م ،ص.148.

[4] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1460.

[5] شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي،**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ،حققه وعلق عليه:فرانز روزنثال ،د.ط ،مطبعة العاني ،بغداد ،1382ه/1963م ،ص.143.

[6] محمد عبد الحي الكتاني ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.197.

[7] يسرى عبد الغني عبد الله ،**معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري** ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411ه/1991م ،ص.12.

والملوك [1] ،وبن كثير في **البداية والنهاية** ،تلاها بعد ذلك كتب التاريخ الجامعة لأخبار الخلفاء والحكام مثل كتاب **الوزراء** لإسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ت 385ه/995 م [2] ،وكتاب **وفيات الأعيان** لشمس الدين أحمد ابن خلكان ت681ه/1282م [3]،وكذلك كتاب **فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك** لأبي الفضل محمد بن أحمد الباعوني ت 871ه/1466م[4].

ويضاف إليها الكتب التي اهتمت بتاريخ الدول وأحوالها مثل كتاب **التاريخ** لليعقوبي ت282ه/895م[5] ،و**أخبار مكة** للواقدي[6] ،و**تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي ت463ه/1073م[7] بالإضافة إلى كتاب **فضائل الشام** لأبي الحسن علي بن محمد الربعي[8] الربعي[8] ،و**القند في تاريخ سمرقند** لأبي حفص نجم الدين السمرقندي ت537ه /1142م[9]. /1142م[9].

وقد يلحظ المتتبع لحركة التأريخ ببلاد الأندلس أنه غلب عليها طابع ديني وأدبي ظهر في تراجم الشخصيات من علماء وقضاة [10] وقادة جيوش بدرجة أولى وبحظ وافر **كأخبار الفقهاء والمحدثين** للخشني ت361ه /971م[11] ،و**تاريخ علماء الأندلس** لأبي الوليد عبد

---

[1] أحمد أمين ،**فجر الإسلام** ،ص.252 وما بعدها ؛حسن إبراهيم حسن ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.349.

[2] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1469.

[3] أحمد مدحت إسلام ،**علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية** ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر ،القاهرة ،1420ه/1999م ،ص.164.

[4] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1243.

[5] حسن إبراهيم حسن ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.405.

[6] محمد أحمد ترحيني ،**المرجع السابق** ،ص.54.

[7] حسن إبراهيم حسن ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.409.

[8] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1275.

[9] **نفسه** ،مج2 ،ص.1356.

[10] عبد العزيز سالم ،**المرجع السابق** ،ص.114.

[11] محمد بن الحارث الخشني ،**أخبار الفقهاء والمحدثين** ،دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا ،د.ط ،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ،مدريد ،1991م ،ص.9 وما بعدها.

الله بن محمد الفرضي ت403ه/1012م[1] و**طبقات النحويين** للزبيدي[2] وكتاب **أخبار فقهاء فقهاء قرطبة** لابن عبد البر القرطبي ت338ه/949م[3] ،وكتاب **تاريخ المحدثين** لأبي عمر عمر أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي ت350ه/961م [4] ،وكتاب **أخبار دولة لمتونة** لابن الصيرفي[5] حتى أن منهم من ترجم لعلماء جهة من الجهات ككتاب "**تاريخ علماء إلبيرة**" لمحمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن حقل الغافقي ت619ه/1022م [6] ومنهم من اهتم بشخصية معينة كمحمد بن أبي عامر الحاجب المنصور الذي ألف فيه حسين بن عاصم كتاب سماه **المآثر العامرية** [7].

كما كان في بداية الأمر مقتصرا على المتصلين بالبلاط لكنه لم يلبث أن تجاوز ذلك أين نجد المؤرخون الأندلسيون أولو أهمية كبيرة لوقائع الفتح الإسلامي لبلادهم[8] ،تجلى ذلك في **تاريخ بن القوطية** الشهير الذي صنفه في فتح الأندلس[9] ،وكتاب **الرايات** لمؤلفه محمد بن موسى الرازي ت272 ه/885م والذي وصف فيه حملة موسى بن نصير التي كللت بنصر عظيم[10] ،ومن بعده ابنه أحمد بن محمد بن موسى الرازي صاحب كتاب **حجاب خلفاء الأندلس** [11] ،وكذلك كتاب **العبر في التاريخ** لأبي بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض ت459ه /1066م[12].

---

[1] مصطفى الشكعة ،**المغرب والأندلس** ،ص.346.

[2] السيوطي ،**بغية الوعاة** ،مج1 ،ص.84.

[3] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.45.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.217.

[5] بن حزم وآخران ،**فضائل أهل الأندلس** ،ص.23.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.177.

[7] الحميدي ،**المصدر السابق** ،ص.170.

[8] كارل بروكلمان ،**المرجع السابق**،ص.301.

[9] عبد العزيز سالم ،**المرجع السابق** ،ص.113.

[10] **نفسه** ،ص.116.

[11] أنخيل بالنثيا ،**تاريخ الفكر الأندلسي** ،ص.198.

[12] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.78.

دون نسيان أحد كبار المؤرخين ببلاد الأندلس قاطبة ألا وهو أبو مروان حيان بن خلف ت469هـ/1076م صاحب **الكتاب المبين في تاريخ الأندلس** الذي جمعه في نحو ستين مجلدا[1].

والحديث عن التاريخ في عصر الأندلس الأخير على العموم ومملكة غرناطة على وجه الخصوص كان له مكانة خاصة لدى الناس الذين شغفوا به بدرجة كبيرة نظرا لما يمثله من إرث الأجداد والآباء المليء بالأحداث والذكريات السارة والحزينة على حد سواء ،زيادة على الوعي الكبير بأهمية هذا الفن العزيز والذي تبلور بمرور السنين لدى مؤرخي المملكة وهذا ما يمكن استخلاصه من قول أبو بكر بن علي بن خميس صاحب **كتاب تاريخ مالقة** :" إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة ،معرفة الأخبار ،وتقييد المناقب والآثار ،ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه..."[2].

ومما يوحي بمدى اهتمام الغرناطيين بهذا العلم تأليفا وقراءة ما قام به أبو بكر يحي بن محمد بن الصيرفي ت570هـ/1174م أحد أكابر علماء غرناطة الذي كان يشغل منصب كاتب لدى الأمير محمد بن تاشفين المرابطي ت531هـ/1136م بمؤلفيه الأول بعنوان "**الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية**" ؛رجع إليه بن الخطيب في العديد من المناسبات التي تخص تاريخ الأندلس عامة وغرناطة خاصة ،والثاني بعنوان "**تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء**"[3] ،وكذلك ما قام به أبو بكر محمد بن الحكيم اللخمي ت750هـ/1351م الذي كمل تاريخ بن رشيق المسمى ب "**ميزان العمل** " ،كما ألف كتاب "**الأخبار المذهبة** " [4] ،إضافة إلى أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي صاحب كتاب

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1456.

[2] أبو بكر بن محمد بن علي بن خميس ،**كتاب تاريخ مالقة** ،نقلا عن السخاوي ،**المصدر السابق** ،ص.49.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.407.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.274،275.

تاريخ غرناطة الذي نال حظه من الاهتمام [1] وهو شبيه بكتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبي الذي شرع في تأليفه عام 755ه/1354م ولم يكمله [2] ،وكذلك أبو جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي ت728ه/1327م صاحب كتاب **نظم السلوك في شيم الملوك** [3] ،وأبو بكر بن الحكيم له كتاب **الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة** الذي كان بن الخطيب يعود إليه عند التعرض لمختلف الشخصيات الهامة التي دخلت غرناطة [4] ،وكتاب **التاريخ الكبير** لأبي القاسم أصبغ بن محمد المهدي [5] ،وكتاب **تاريخ ألمرية** لأبي عيشون محمد بن محمد بن إبراهيم بن عياش [6] ،و**مصنف أخبار معاوية** لأبي القاسم محمد محمد بن علي الهمداني ت596ه/1199م[7].

واشتهر بغرناطة أيضا كتاب **المسهب في غرائب المغرب** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري الذي ألفه لعبد الملك بن سعيد صاحب القلعة الشهيرة باسمه والذي ضمنه العديد من الأخبار والحوادث الطريفة [8] .

وكذلك كتابا **الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد** و**المغرب في حلى المغرب** لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد الأندلسي ت685ه/1286م[9].

ونزعة التأليف في هذا الميدان نجدها حتى عند أمراء غرناطة ،فهذا أبو القاسم أصبغ بن محمد الغرناطي ت426ه /1034م الذي كان ملازما لأمير غرناطة حبوس بن

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.385.
[2] **نفسه** ،مج2 ،ص257.
[3] **نفسه** ،مج 1 ،ص.290.
[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.375.
[5] **نفسه** ،مج1 ،ص.428.
[6] **نفسه** ،مج2 ،ص.148.
[7] **نفسه** ،مج2 ،ص.489.
[8] **نفسه** ،مج3 ،ص.433.
[9] **نفسه** ،مج4 ،ص.153.

ماكسن الصنهاجي ت429ه /1037م ألف له كتابا كبيرا في التاريخ[1] ،والأمير عبد الله بن بن بلكين الصنهاجي آخر ملوك بن زيري بغرناطة نجده يؤلف كتابا وهو بمنفاه بأغمات ؛تعرض فيه إلى سيرة أسرته منذ اعتلائه للحكم حتى سقوطها على يد دولة المرابطين عام 483ه /1090م وقد سماه **بكتاب التبيان**[2].

كما ظهر بغرناطة من اهتم بتتبع الأنساب وأخبار أهلها خصوصا إذا كانت الشخصية المتكلم عنها من أولي الشأن والجاه سواء من أمراء أو وزراء أو طبقة علماء ،لذا نجد العديد من النسابة الذين اشتهروا بهذا العلم كأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الغساني ت619ه /1222م صاحب الشروح والمختصرات منها **الشهاب** وكتاب **اختصار إقتباس الأنوار** ،إضافة إلى قرضه للشعر الذي نظم منه في باب الأنساب :

الشعب ثم قبيلة وعمارة   بطن وفخذ والفصيلة تابعة

فالشعب يجمع للقبائل كلها   ثم القبيلة للعمارة جامعة

والبطن يجمعه العمار فاعلمن   والفخذ يجمعه البطون الواسعة

والفخذ يجمع للفصائل كلها   جاءت على نسق لها متتابعة [3]

والشأن نفس اهتم به أبو القاسم الملاحي الذي ألف فيه كتاب **الشجرة في الأنساب** [4].

ذلك الاهتمام الجاد بالتاريخ لدى الغرناطيين حفظ لنا الكثير من الأحداث التي شهدتها بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى غاية عهد بن الخطيب التي أولاها بدوره عناية خاصة نظرا لأهميتها الكبيرة ،سواء منها ما كان يدور بين أمراء الأندلس والنصارى أو بين الأمراء الأندلسيين بينهم خصوصا في عهد ملوك الطوائف ،لذا كانوا

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.428.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.379 ،380.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.175.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.177.

يسجلونها ويعطونها نوعا من الأهمية لاسيما إذا تعلق الأمر بمصالح الدولة الغرناطية ،منها وصفه لوقيعة النيبل التي حدثت سنة 478ه/1085م بين أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي أحد قادة عبد الله بن بلقين أمير غرناطة وبين نصارى الروم[1].

كما لا يمكن أن ننسى ماله من طول باع في هذا الباب نظرا لتلك المؤلفات العديدة التي سبق ذكرها عند سرد إنتاجه الفكري ككتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** [2] وكتاب **قطع السلوك** والمعروف كذلك **برقم الحلل في نظم الدول** [3] الذي كان يعود إليه بين الفينة والأخرى عند الحديث عن الأمراء والملوك كما هو حال السلطان الغرناطي أبو الوليد إسماعيل بن نصر الذي يحدثنا فيه عن مقتله بواد آش بعد أن سرد خصاله الحميدة وانجازاته الكبيرة في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين [4] ،ونجده في إحدى المناسبات يذكر بأن الفن التاريخي لما كان فيه مأرب للبشر وداع إلى ترك الأثر ،يعرفون به أنسابهم ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والترفيه ،ظهر أن القول بفضله يقضي به العقل والدين[5].

كما أن التاريخ على حد تعبيره يكفيه شرفا أنه حفل بذكر سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم طيلة حياته ،ناهيك عن كونه أداة لتدوين الحديث الشريف ومسائل الجرح والتعديل وأحوال الناسخ والمنسوخ[6].

غير أن فهم بن الخطيب للحادثة التاريخية كغيره من المؤرخين أمثال بن القوطية ت367ه /977 م صاحب كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** وبن عذارى صاحب **البيان المغرب** يلزمها نوع من الطابع العلمي الذي كان بن خلدون يدعو إليه دوما ،كون التاريخ

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.300.

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص.459.

[3] **نفسه** ،مج4 ،ص.462.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.397.

[5] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** ،ج1 ،ص ص.32،33.

[6] بن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،ص.13.

لا يقف عند حدود الرواية وتدوين الحوادث من غث وسمين بل لابد من دراسته كعلم قائم على أسس منهجية من خلالها يتيسر للمؤرخ فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيرها[1].

كما كان للعديد من الحوادث التي واجهته في حياته دور بارز ومؤثر في الآن ذاته على إنتاجه التاريخي ومن ثمة على طبيعة منهجيته ونظرته للوقائع ؛من ذلك وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني سنة 774ه/1372م تاركا عرشه في خطر بحكم صغر سن ولي عهده ،الأمر الذي حذا به إلى تأليف كتاب **أعمال الأعلام** تأييدا للأمير الصبي وحماية لنفسه من مطاردة السلطان محمد الغني بالله الغرناطي.

وكذلك مؤلفه **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** الذي دونه أثناء وجوده بالمغرب منفيا بين سنتي 761ه/1359م و763ه/1361م [2] ،دون تجاهل كتاب **الكتيبة الكامنة** التي راجع فيه رأيه في بعض الشخصيات التي أساءت إلى حسن صنيعه معها أمثال القاضي النباهي وبن زمرك[3].

فكانت السمة العامة لهذه المؤلفات استخدامه للعبارات المناسبة لكل موقف واستحضار الشواهد المؤيدة لما يكتب بأسلوب راقي مفيد ،غلبت عليه الحقائق التاريخية وان شابها نوع من الذاتية التي كانت تظهر في مناسبات مختلفة بين الفينة والأخرى على رأسها امتداحه المتواصل لسلاطين بلده من بني الأحمر الذين تقلب في خدمتهم لسنوات طوال منها قوله في السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري: " أمير المسلمين الذي تقع العين منه على بدر تمام وجمال الهيئة ،عظيم الهيبة ثاقب الذهن ،بعيد الغور متفطنا للمعاريض " [4] ،ومن بعده ابنه أبو عبد الله محمد : "المجاهد الفاتح

---

[1] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.21.

[2] من بين الأحداث التي أشار إليها سرده لوثوب السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج الغرناطي على ملك غرناطة سنة 760ه /1359م والذي وصفه بالشيطان ،الذميم الخلق ،حرفوشا على عرف المشارقة (أنظر: **نفاضة الجراب** ،ص.41).

[3] بن الخطيب ،**الكتيبة الكامنة** ،ص.38.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.318.

الماهر...شمس أفق الملة وفخر الخلفاء الجلة ... لو نطق الدين الحنيف لحياه وبداه أو تمثل الكمال صورة ما تعداه "[1].

وكذلك ما يستخلص من قوله في إحدى المناسبات أنه داخلته لقومه عصبية لا تقدح في دين ولا منصب ،وحمية لا يذم في مثلها متعصب ...فلست ببدع ممن فتن بحب وطن ولا بأول من شاقه منزل فألقى بالعطن [2].

ولعله إن جيء إلى تتبع منهجية بن الخطيب التاريخية نجد أنه لم يكتفي بتدوين الأحداث السياسية والعسكرية وأخبار السلاطين والأمراء بل تجاوز ذلك بذكر البقاع الجغرافية وخصائصها ؛كأحوال شعبها وطبيعة الحكم القائم بها إلى جانب أوضاعها الإقتصادية ،ويظهر ذلك جليا في أغلب مؤلفاته وعلى رأسها كتابا **الإحاطة** و**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** اللذين ضمنها عددا من الوثاق التاريخية الهامة كوصفه للغزوات التي قام بها سلطانه محمد الغني بالله ضمنها في رسالته إلى أمير تونس أبو إسحاق بن أبي بكر بن أبي زكريا [3] ،كما نجده في أغلب الأحيان يظهر للقارىء نوع من النقد وعدم الرضى عن ما كان يحدث ببلده غرناطة والأندلس عامة سواء في عصره أو قبله ،كظاهرة تميع الأخلاق لدى أبناء وطنه وتسابق أمراء الطوائف ودخولهم في نزاعات فيما بينهم [4].

---

[1] بن الخطيب ،،**ريحانة الكتاب** ،ج1 ،ص.40.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.83 وما بعدها ؛**ريحانة الكتاب** ،ج1 ،ص.34.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.561 وما بعدها.

[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.139.

2/ الجغرافيا :

تعد الجغرافيا [1] من العلوم الهامة التي لها دور كبير في حياة البشر نظرا لظواهرها المختلفة [2] لذا أولاها المسلمون عناية خاصة تجلت في الحفاظ على إرث الحضارات السابقة في هذا المجال على رأسها الإغريقية [3] زيادة على تدوين كل ما له علاقة بكل من الفتح الإسلامي للقارات الثلاث وطرق التجارة البرية والبحرية [4] ،لذا جاءت المؤلفات العديدة التي تصب في هذا المطلب كما هو حال كتاب **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** لأبي عبد الله محمد المقدسي ت387ه/ 999م الذي ضمنه ملاحظاته التي استقاها من رحلاته المختلفة [5] وكتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للإدريسي ت564ه/1168م ،وكذلك كتاب **رحلة التاجر سليمان** للسيرافي [6].

وبعد استقرار المسلمين بالأندلس وتحرك عجلة التأليف لديهم في مختلف العلوم جاء اهتمامهم بعلم الجغرافيا ملحوظا نظرا لما لها من دور كبير في معرفة حدود بلادهم وطبيعة أراضيها [7] ، خصوصا في عصر الخلافة الذي يعتبر منطلقا رئيسا للدراسات الجغرافية بحكم العلاقات التجارية الهامة التي كانت تربط قرطبة مع إمارات الشمال والجنوب [8] ،وكان ازدهار هذا العلم مرتبطا أيما ارتباط بالمؤلفات التاريخية بحكم أن

---

[1] يهتم علم الجغرافيا بالظواهر الطبيعية على سطح الأرض من موقع وتضاريس ومناخ وتوزيع الكائنات الحية وعلاقتها بها وذلك عن طريق رسم الخرائط والأجهزة العلمية وإجراء المقابلات ،هي على أقسام ؛طبيعية وإقليمية وبشرية وحيوية (أنظر: أحمد مهدي محمد الشويخات ،**المرجع السابق** ،ج8 ،ص.401 وما بعدها).

[2] قاسم يزبك ،**التاريخ ومنهجية البحث التاريخي** ،ط1 ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،1990م ،ص.55.

[3] محمد محمود محمدين ،**المرجع السابق** ،ص.42.

[4] عبد الرحمن حميدة ،**أعلام الجغرافيين العرب** ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1984م ،ص.43 وما بعدها.

[5] حسن إبراهيم حسن ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.413.

[6] أحمد مدحت إسلام ،**المرجع السابق** ،ص.56.

[7] عبد العزيز سالم ،**التاريخ والمؤرخون العرب** ،ص.200.

[8] موريس لومبارد ،**الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ،ترجمة: عبد الرحمن حميدة ،ط1 ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1982م ،ص.118.

أغلب من نبغ في هذا الباب كانوا من المؤرخين[1] كما هو شأن أحمد بن محمد الرازي ت344ه/955م الذي يعد من أشهر جغرافيي الأندلس وذلك بتأليفه لكتاب كبير وصف فيه طرق الأندلس وموانئها [2] وأحمد بن عمر العذري ت478ه /1085م مؤلف كتاب **نظام المرجان في المسالك والممالك** [3] ، وكذلك أبو عبيد الله عمرو بن محمد البكري ت487 ه/1094م صاحب كتاب **معجم ما استعجم** [4].

وبمقارنة المؤلفات الجغرافية الغرناطية مع نظيرتها التاريخية نجدها أقل منها ،لكن ذلك لم يمنع ما وجد منها من أن يساهم مؤلفوها ولو بالنزر البسيط في التعريف ببلدهم وما جاوره من أقاليم الأندلس وحتى خارجه نتيجة الرحلات التي كانوا يقومون بها كلما سمحت لهم الفرصة بذلك ؛كما هو حال شيخ بن الخطيب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد الله الحضرمي صاحب كتاب **تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق** الذي ألفه بعد رحلته العلمية إلى المشرق فأطلع منه على حد قول لسان الدين نور أضاء الآفاق وأثرى منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق[5].

وعلي بن موسى بن سعيد ت685ه/1286م صاحب كتاب **النفحة المسكية في الرحلة المكية** التي ذكر فيها عديد البلدان التي زارها كمصر وبيت المقدس وحمص وحماه وبغداد والبصرة [6] ،وكذلك أبو البقاء خالد بن عيسى بن أبي خالد البلوي في كتابه

---

[1] حسين مؤنس ،**الجغرافية والجغرافيون في الأندلس** ،ص.221.

[2] المقري ،**نفح الطيب** ،مج3 ،ص.160.

[3] القزويني ،**المصدر السابق** ،ص.503 ،ص.545..

[4] أحمد مهدي محمد الشويخات ،**المرجع السابق** ،ج8 ،ص.407.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص.11،12.

[6] **نفسه** ،مج4 ،ص ص.157،158.

تاج المفرق في تحلية تاج المشرق [1] ،وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري مؤلف رحلة **فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب**[2].

ويعتبر كتاب **رحلة** بن جبير ت614ه/1217م من أشهر المؤلفات التي جاوزت شهرتها غرناطة ،فرغم حمله لاسم الرحلة إلا أنه حفل بالأخبار والمعلومات الجغرافية الهامة عن عجائب بلدان كانت مجهولة من قبل لدى الغرناطيين وأهل الأندلس معا ،خصوصا وأنه قام بثلاث رحلات ،الأولتان منها كانتا بين 578ه/1182م و587ه/1191م كونه مات بعد الثالثة التي لم يعد منها إلى بلده ،من ذلك ذكره لمعالم القدس الشريف الذي زاره على إثر انتصارات صلاح الدين الأيوبي إلى غير ذلك من الأخبار[3].

دون أن ننسى ذكر **رحلة** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بابن بطوطة الذي عرج على غرناطة عند عودته إلى بلده من سفريته التي قادته إلى كل من مصر وبلاد الشام والعراق والهند والصين وختمها بأداء مناسك الحج عام726ه/1325م ،وتكمن الأهمية الجغرافية لهذه الأخيرة أن صاحبها كان يروي ما رآه أثناء تجوله بالبلدان السالفة الذكر وعلى رأسها مدينة القسطنطينية التي وصف كنيستها بأنها غريبة من حيث البنيان وعدد الأساقفة الذين يخدمونها [4].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.500.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.347.

[3] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.231،232.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص.273.

3/ الفلسفة :

استقى العرب أولى عناصر فلسفة [1] الطبيعة من مؤلفات أقليدس وبطليموس وأبقراط وجالينوس [2]حيث لقيت بمرور السنين قبولا عند الشيعة بادئ الأمر وغيرهم من الفرق الأخرى والتي عملت على نشرها بينهم صائبة حران[3].

ومما زاد من انتشارها في مختلف بقاع العالم الإسلامي حركة التعريب الكبيرة التي شهدتها الدولة العباسية [4] على عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ودور بيت الحكمة في ذلك[5] ؛ فصارت محل اهتمام الكثير من الدارسين والمتشوقين لمعرفة ماهية هذا العلم الجديد على ثقافاتهم المختلفة فكان أن ظهرت الـــتآليف المتعددة التي اهتمت بهذا الشأن **كرسائل إخوان الصفا وخلان الوفا** [6] التي أعطت مفهوما آخرا للتوحيد على يد مجموعة من الدعاة كمحمد إسماعيل التميمي وأبو العلاء المعري [7] ،وكتاب **مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليفة** لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي ت721ه/1321م [8] ،و**فصوص الحكمة** لأبي نصر محمد بن محمد الفرابي

---

[1] أورد بن خلدون فصلا في مقدمته عن إبطال صنعة الفلسفة وفساد منتحلها وذلك نظرا لما لها من الضرر الكثير على الدين ،لذا نصح بعدم الإنكباب على تعلمها ما لم يكن الفرد ذا معرفة واسعة بعلوم الشرع (أنظر: **المقدمة** ،ص.532).

[2] محمد عطية الأبراشي ،**المرجع السابق** ،ص.63.

[3] دي بور ،**تاريخ الفلسفة في الإسلام** ،نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374هــ/ 1954م ،ص.120.

[4] سليمان الدخيل ،**الفوز بالمراد في تاريخ بغداد** ،تقديم وتعليق: د.محمد زينهم محمد عزب ،ط1 ،دار الآفاق العربية القاهرة ،1423ه/2003م ،ص.151.

[5] محمد عبد الهادي أبو ريدة ،**المرجع السابق** ،ص ص.20،21.

[6] بن القفطي ،**المصدر السابق** ،ص.82.

[7] نايف زهر ،**مناهل الحكماء والأولياء ومآثر الأعلام والموحدين** ،ط1 ،المركز العربي للأبحاث والتوثيق ،بيروت ،1997م ،ص.84.

[8] عبد الله كنون ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص.380.

ت339ه/950م [1] وكتاب **المنطق** لحسن بن عبد الله العسكري ت382ه/992م [2] وكذلك كتابي **تهافت الفلاسفة** و**مقاصد الفلاسفة** لأبي حامد الغزالي[3].

والحديث عن الفلسفة بالأندلس ومدى تعاطي أهله معها يعطينا صورة واضحة عن رد فعلهم اتجاه هذا النمط الفكري المتشعب الاتجاهات ؛كون الذين أرخوا لأعلام الأندلس لم يفردوا لها فصولا بغرض التبيان لكنهم يشيرون إليها عند ذكرهم لعلماء كان لهم نصيب فيها أو الذين نفروا منها عند التعرض لبعض رجالها [4].

كما أن المدارس الأندلسية بدورها لم توليها شأنا كبيرا نظرا لاكتفائها بعلوم الشرع ومحاربتها لتسرب أفكارها [5] ناهيك عن عدم تسامح أولي الأمر مع المشتغلين بها ،هذا ما ما جعلها لا تظهر عموما في قالب مدرسة أو جماعة تهتم بتدريسها بل بقيت حكرا على أفراد في الخفاء يحتالون لتعلمها[6] ،وهو ما صرح به كل من بن سعيد المغربي من أن هذا هذا العلم ممقوت ببلدهم لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه التي يؤدي إظهارها إلى حد القتل[7].

وكذلك ما أورده المقري عند سرده لحال الأندلس وصفات أهله وحظهم من العلوم ؛إذ يرى أن كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ،فإن لهما حظا عظيما

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1256.

[2] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1464.

[3] محمد لطفي جمعة ،**تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب** ،د.ط ،المكتبة العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.78.

[4] محمد إبراهيم الفيومي ،**المرجع السابق** ،ص.436.

[5] سالم يفوت ،**ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس** ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،1986م ،ص.251.

[6] محمد الفيومي ،**المرجع السابق** ،ص.212 وما بعدها .

[7] بن حزم وآخران ،**المصدر السابق** ،ص.27.

عند خواصهم ولا يتظاهروا بها خوف العامة ،فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقوا عليه اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه[1].

ومما يوحي بمدى صعوبة ممارسة هذا النشاط الفكري هو تلك المضايقات التي كان الفلاسفة عرضة لها كما هو حال بن رشد الحفيد ت595ه/1198م الذي عوقب بالنفي من بلده [2] بسب أقاويل طعنت في عقيدته [3] بعد ما عناه من نكبات كتلك التي حدثت له عندما كان رفقة ابنه عبد الله بأحد مساجد قرطبة أين ثار عليه بعض العامة فأخرج منه [4] ،والشأن ذاته حدث مع بن حبيب الاشبيلي الذي قتل على عهد المأمون المنصور الموحدي[5].

وهذه الظاهرة كانت منتشرة في أغلب إمارات البلد منذ الوهلة الأولى لبروز هذا النمط التفكيري الجديد على يد بن مسرة القرطبي ت319ه/931م الذي أنشأ حلقة من الطلاب والمريدين حوالي سنة281ه/894م كان يجتمع بهم في إحدى صوامع منحدرات جبل قرطبة [6] ،والتي عدت فيما بعد بمثابة أول مدرسة فلسفية أثرت في الثقافة العقلية للكثير من المفكرين [7] ،الذين لقوا بدورهم معارضة شديدة من أصحاب القرار وذوي النفوذ على أساس أن علمهم هذا يبعد الناس عن تعاليم الشرع خصوصا فيما يتعلق بتحريف تأويل آي القرآن الكريم [8] ناهيك عن القول بالاعتزال في عديد المسائل الغيبية

---

[1] المقري ،**نفح الطيب** ،مج1 ،ص.211.

[2] عنان ،**نهاية الأندلس** ،ص ص.437،438.

[3] عاطف العراقي ،**النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد** ،ط5 ،دار المعارف ،القاهرة ،1993م ،ص.47.

[4] أحمد أمين ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.248.

[5] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.138.

[6] كارل بروكلمان ،**المرجع السابق** ،ص ص.300،301.

[7] محمد لبيب البتوني ،**رحلة الأندلس** ،ط2 ،مطبعة مصر ،القاهرة ،د.ت ،ص.42.

[8] أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ،**تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة والرواة للعلم بالأندلس)** ،تح :روحية عبد الرحمن السويفي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ص.324.

كالوعد والوعيد [1] والعقدية كـــالقول بخلق القـــــــــــــــرآن [2]

القـــــــــــــــرآن [2] ،وموقفهم من القضاء والقدر [3] ،وقولهم أن علم علم الله تعالى هو غيره وهو محدث مخلوق [4] ،لذا ظهرت التآليف في الرد على هذه الأقاويل مثل كتاب هتك ستور الملحدين لأبي بكر الزبيدي ت379ه/989م في الرد على على ابن مسرة وأتباعه [5].

ولعل أبرز تلك المضايقات هي التي قام بها الأمير عبد الرحمن الناصر القرطبي الذي أوكل للفقيه محمد بن يبقى بن زرب مهمة تتبع تحركات أتباع بن مسرة فما كان منه إلا أن أوقف العديد منهم وأحرق مؤلفاتهم خارج مسجد قرطبة الجامع [6] ،والأمر ذاته تكرر مع المنصور محمد بن أبي عامر الذي أمر بمراقبة نشاط الفلاسفة وإتلاف كتبهم التي كانت موجودة بخزانة الحكم المستنصر ت366ه/976م [7] ،مستندا إلى فتاوى العلماء واجتهاداتهم الفقهية أمثال الفقيه أبو العباس بن ذكوان [8].

لكن نشاطهم لم ينطمس بالكلية بل لقي حماسا كبيرا بين أوساط أتباع ساهموا بمرور الوقت في انتشاره على نطاق أوسع ،خصوصا عندما كانوا يجدون نوعا من الليونة من طرف بعض الحكام الذين كانوا شغوفين بمعرفة الفلسفة وأحوالها أمثال عبد الرحمن بن

---

[1] الخشني ،**المصدر السابق** ،ص.178.

[2] قاسم حبيب جابر ،**الفلسفة والإعتزال في نهج البلاغة** ،ط1 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،1407ه/1987م ،ص.82.

[3] سميح دغيم ،**فلسفة القدر في فكر المعتزلة** ،ط1 ،دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت ،1992م ،ص.56 وما وما بعدها.

[4] أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ،**الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،تح:محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ،ط2 ،دار الجليل ،بيروت ،1416ه/1996م ،ج2 ،ص.293.

[5] السيوطي ،**بغية الوعاة** ،مج1 ،ص.85.

[6] بروفنسال ،**حضارة العرب** ،ص ص.174،175.

[7] أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ،**طبقات الأمم** ،نشره لويس شيخو اليسوعي ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ،1912م ،ص ص.66.

[8] عنان ،**دولة الإسلام في الأندلس** ،العصر الأول ،القسم الثاني ،ص.527.

الحكم القرطبي ت238ه/852م [1] ،وهو ما يوضحه ذلك العدد من الفلاسفة الذين برزوا فيما بعد في هذا الباب من خلال ما تركوه من مؤلفات أمثال بن باجة صاحب كتاب **تدبير المتوحد**[2] ،وبن رشد مؤلف كتاب **تهافت التهافت**[3] ،وابن حزم مؤلف كتاب **التقريب التقريب لحدود المنطق** [4]،وكذلك أبو عثمان سعيد بن فتحون صاحب رسالة **شجرة الحكمة الحكمة في الفلسفة**[5].

وغرناطة بدورها لم يختلف حالها كثيرا عن إمارات الأندلس الأخرى من حيث التعامل مع الفلسفة وأهلها ،فقد وجدت معارضين وقفوا لمنتحليها بالمرصاد سواء بالتشهير بهم أو بالتحذير من مسلكهم ومجالستهم ،من ذلك ما نظمه الأصولي أبو يزيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي ت627ه/1229م :

دع الفلاسفة الذميم جميعهم ومقالهم تأتى الأحق الواجب

يا طالب البرهان في أوضاعهم أعزز علي بأن تعمر جانبا

فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا فيمن ترى إلا دعيا كاذبا

أعيته أعباء الشريعة شدة فارتد مسلوبا ويحسب سالبا [6]

غير أن ذلك لم يمنع من ظهور البعض من الفلاسفة أو خاضوا في هذا الباب أمثال أبو محمد عبد الله بن سهل الغرناطي الذي اشتهر بعلم المنطق ومسايرة العلوم القديمة

---

[1] المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص.48.

[2] محمد أبو ريدة ،**المرجع السابق** ،ص.306.

[3] يوسف فرحات ،**الفلسفة الإسلامية وأعلامها** ،ط1 ،تراد كسيم ،جنيف ،1986م ،ص.178.

[4] صاعد الأندلسي ،**المصدر السابق** ،ص.76.

[5] **نفسه** ،ص.68.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص521.

،فعظم صيته وعلا ذكره بين أهل الملل حيث كان النصارى يأتونه من طليطلة للأخذ عنه وكثيرا ما كان يناظر قساوستهم ويتفوق عليهم[1].

وكذلك أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن صفوان ت763ه/1361م الذي كانت له مشاركة في الفلسفة كلفا بها ،استدعاه ثان سلاطين غرناطة أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701ه /1301م ليكون من جلة الكتاب[2].

وأبو علي منصور بن علي عبد الله الزواوي الذي كانت على اضطلاع بالفلسفة والمنطق مقيدا فيه كغيرهما من العلوم الأخرى[3].

ولعل من أشهرهم على الإطلاق أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي ت581ه/1185م الفيلسوف الشهير العارف بالمقالات والآراء الفلسفية على اختلافها مؤلف **رسالة حي بن يقظان** ،كان يشغل منصب كاتب لأحد ولاة غرناطة ،رحل عنها بعد ذلك إلى مراكش أين اختص بتطبيب سلطانها يعقوب المنصور الموحدي وبقي بها إلى آخر حياته [4].

كما كان بعض الفلاسفة يقبلون على غرناطة لأغراض مختلفة كما هو حال أبو العباس أحمد بن شعيب الكرياني ت749ه/1348م من أهل فاس الذي دخلها على عهد السلطان محمد بن نصر الغرناطي[5].

وإذا جيء إلى مؤلفات الغرناطيين في الفلسفة وجدنا البعض منها كرسالة **الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق** لأبي القاسم محمد بن يوسف بن خلصون العارف بالعلوم

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 3 ،ص.404.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.222.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.325.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص.479.

[5] **نفسه** ،مج1 ،ص.272.

العقلية [1] ،وكذلك **كتاب في الجدل** لأبي محمد عبد المنعم بن محمد بن فرج الخزرجي ت597ه /1200م[2].

4/ التصوف :

لم يكن لفظ التصوف[3] مشهورا في القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية[4] ،وإنما ذاع صيته بعد ذلك واشتهر بالبصرة التي شهدت أول دويرة صوفية أقامها أصحاب عبد الواحد بن زيد [5] ويرجع انتشاره في العالم الإسلامي نتيجة لانغماس البعض في ملذات الحياة [6] وضروب اللهو[7].

وقد أثارت مسألة التصوف أراء الكثير من العلماء والمتخصصين في هذا الشأن كابن الجوزي ت597ه/1200م الذي يرى أنه في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كلمة مسلم ومؤمن ثم نشأت كلمة زاهد وعابد ،ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص258.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.543.

[3] يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف أي كثير الصوف ،وصوفة قوم كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية .(أنظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ،**معجم مقاييس اللغة** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411ه/1991م ،مج3 ،ص.322) .

[4] يقصد بالقرون المشهود لها بالخيرية القرون الثلاثة التي تلت البعثة النبوية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الصحابي عمران بن حصين رضي الله عنه: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته (أنظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ،**الجامع الصحيح المختصر** ،تح: مصطفى ديب البغا ،ط3 ،دار بن كثير ،بيروت ،1407ه/1987م ،ج2 ،ص.938 ،رقم :2509) .

[5] عبد الواحد محمد بن قاسم ،**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ،د.ط ،مكتبة المعارف ،الرباط ،د.ت.ط ،مج11 ،ص ص.5 ،6 ؛أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس ،**مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية** ،ط1 ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419ه/1998م ،مج1 ،ص.36.

[6] صابر طعيمة ،**بحوث في الفرق:** الشيعة ،النصيرية ،الباطنية ،الصوفية ،الخوارج ،د.ط ،مكتبة المعارف ،الرياض ،1400ه ،ص.104.

[7] حسين علي حمد ،**قاموس المذاهب والأديان** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1419ه/1998م ،ص.139.

واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ،هكذا كان أوائل القوم ولبس عليهم إبليس أشياء ثم على من بعدهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن[1].

وقال عنهم بن خلدون ت808ه/1406م أن هذا العلم هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ،وأصل طريقتهم العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى بمحاسبة النفس والكلام في زخرف الدنيا من مال وجاه ،ثم ترقوا إلى التأليف في هذا الفن فألفوا في الورع والمحاسبة كما فعله القشيري في **الرسالة** والسهروردي في كتاب **عوارف المعارف** ،وذلك بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط [2].

ويصف بن حزم حالهم بأن منهم طائفة أدعت أن في أولياء الله من هو أفضل من جميع الأنبياء ،وأن من عرف الله فقد سقطت عنه الأعمال [3].

وزاد حنق العلماء والعامة على العديد من المتصوفة نظرا لما باتوا يحدثونه من أقوال ومظاهر تعبدية لم يكن علها سلف الأمة ؛تجلت فيما يعرف بالشطحات [4] والأوراد والإدعاء بالتطلع لعلم الغيب وفق نظريات الكشف الصوفي بأنواعه الذي يرون بأنه ضروري لإدراك الحقائق الروحانية [5] ،والصحو والسكر اللتين ضمنهما القشيري في قوله قوله من أن العبد في حال سكره يشاهد الحال وفي حال صحوه يشاهد العلم إلا أنه في

---

[1] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ،**تلبيس إبليس** ،تح: ماهر عبد الغني ،د.ط ،دار الكتاب الحديث ،لبنان ،1432ه/2001م ،ص.152 وما بعدها .

[2] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص ص.462 ،463.

[3] بن حزم ،**الفصل في الملل والنحل** ،ج2،ص.271.

[4] أبي حامد الغزالي ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.52.

[5] عبد العزيز سيد الأهل ،**المرجع السابق** ،ص.511..

حال سكره محفوظ لا يتكلفه ،وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه [1] ،إلى غير ذلك من العبارات الصوفية [2].

ولقد تعددت المؤلفات التي عنت بمفاهيم التصوف وأحوال أصحابه مثل كتاب **آداب المريدين** لأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ت371ه/981م [3] ،وكتاب **القواعد الوفية في أصل حكمة خرقة الصوفية** لأحمد بن أبي بكر الزبيدي ت821ه/1418م [4] ،إضافة إلى كتاب كتاب **وجد العاشقين** لمحمد بن يوسف الهندي [5] ،وكذلك كتاب **وصية العارفين** لمحمد بن ركن الدين الخوافي ت838ه/1434م [6].

وكان ظهور التصوف بالأندلس كعلم قائم له قواعد لأول مرة على يد محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي [7] ومن بعده أبو بكر محمد بن علي المعروف بابن عربي ت656ه/1258م [8] صاحب كتاب **المعارف الإلاهية** [9] وما أحدثاه من انقلاب في مجال التصوف من القول بالإعتزال ووحدة الوجود [10] ،لتظهر فيه بعد ذلك عديد المؤلفات كما هو حال كتاب **العباد** لمحمد بن وضاح ت287ه/900م [11] ،وكتاب **بد العارف** لأبي محمد

---

[1] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن طلحة القشيري ،**الرسالة القشيرية في علم التصوف** ،ط1 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1419ه/1998م ،ص.135.

[2] رفيق العجم ،**موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1999م ،ص.119 وما بعدها.

[3] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.4.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص.1360.

[5] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.701.

[6] **نفسه** ،مج2 ،ص.711.

[7] اختلف الناس في شخصية بن مسرة على وجهين ؛رأى فيه أولهم صفة العالم الزاهد أما الآخرون فوصفوه بالمبتدع بعدما لمسوا فيه خروجه عن العلوم المعتادة بالأندلس (أنظر: بن الفرضي ،**المصدر السابق** ،ص ص.41،42).

[8] يوسف فرحات ،**المرجع السابق** ،ص.142.

[9] المقري ،**نفح الطيب** ،مج2 ،ص.175.

[10] أحمد أمين ،**ظهر الإسلام** ،ج3 ،ص .69 وما بعدها .

[11] عياض ،**المصدر السابق** ،ج4 ،ص.440.

عبد الحق بن ابراهيم بن سبعين ت669ه/1270م [1] ،وكتاب **محاسن المجالس** لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف ت537ه/1142م [2].

ومما زاد من اندفاع الناس نحوه الظروف التي آلت إليها بلاد الأندلس في مطلع القرن الثاني عشر ميلادي /السابع هجري إلى غاية سقوط غرناطة[3].

وجد التصوف بغرناطة متنفسا له ساعد على تطوره جمع من المتصوفة ساهموا في نشره بين الناس وكسبوا من خلاله مكانة مميزة بينهم ؛أمثال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالصناع ت749ه/1348م الذي كان كثير الأتباع ،اتخذ من طريقة شيخه أبو عبد الله الساحلي مذهبا ومن حصون المخشوشنين مقرا له [4].

وأبو محمد عبد الله بن الحسن الأنصاري ت611ه/1214م الذي كان يتخذ مكان له في جبل فاره بجنوب شرق مالقة يقرأ فيه القرآن ويطالع فيه للطلبة مختلف العلوم[5].

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الملقب بالمواق ،خطيب مسجد ربض الفخارين ،قصده الناس في حياته التماسا للدعاء لما عرف عنه من صلاح ولين عريكة ،غير أنهم غلو فيه بعد موته بتعظيم حجارة قبره وجلب أواني المياه للتداوي[6].

والحال نفسها تكررت مع محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ت715ه/1315م الذي اعتقد الناس فيه القدرة على تلبية حاجاتهم وشفاء مرضاهم بعد موته[7].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.35.

[2] بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج1 ،ص.168.

[3] ليفي بروفنسال ،**حضارة العرب في الأندلس** ،ص.62 ؛ليفي بروفنسال ،**الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية** ،ص35.

[4] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.229 ،230.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.407.

[6] **نفسه** ،مج3 ،ص.230 ،231.

[7] **نفسه** ،مج3 ،ص.273.

وكذلك أبو أحمد جعفر بن أحمد بن علي الغرناطي ت765ﻫ/1363م الذي سكن قومه بربض البيازين بعد قدومهم من شرق الأندلس ،اتخذوا من طريقة الحلاج [1] منهجا لهم في التصوف من ارتداء اللباس الخشن والمرقع وابتداء المجالس بتلاوة القرآن والقيام بركعات ثم يتناوبون في ذكر أبيات معروفة لدى شيوخهم يهيجون عند سماعها فيتطايرون رقصا ويكر بعضهم على بعض إلى أواخر الليل.

تقلد مناصب عديدة كالإمامة والقضاء الشرعي بالربض المذكور لدى قاضي الجماعة نظرا لشهرته بين العام والخاص [2].

وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمود النفري الغرناطي الحافظ الفقيه ،الماهر في اللغة والنحو اللتين أخذهما عن بن يربوع ،والقراءة عن أبي عبد الله الحضرمي والحديث عن أبي الحسن عمر الوادي آشي ،رحل إلى الحج فالتقى هناك بصدور العلماء وأكابر الصوفية الذين أخذ عنهم صحيح البخاري سماعا أمثال الشريف أبو محمد بن يونس ونصر بن أبي الفرج الحضرمي ،وجامع الترمذي وسنن أبي داود على أبي الحسين بن أبي المكارم البغدادي وأبي عبد الله محمد بن مستري .

ومن شعره في باب الزهد قوله :

يا من أنامله كالمزن هامية	وجود كفيه أجرى من يجاريها
بحق من خلق الإنسان من علق	أنظر إلى رقعتي وافهم معانيها
أني فقير ومسكين بلا سبب	سوى حروف من القرآن أتلوها
سفينة الفقر في بحر الرجا غرقت	فامنن عليها بريح منك يجريها

[1] هو أبو مغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج من أصل فارسي ،ترعرع بالعراق وصحب أبا القاسم الجنيد ،اشتهر بالزهد ونظرا لعديد أرائه في الدين اتهم بالإلحاد فقتل بأمر من الخليفة المقتدر بالله العباسي عام 309ﻫ/921م (أنظر: بن خلكان ،**المصدر السابق** ،مج2 ،ص.140 وما بعدها).

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.459 ،461.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها [1] .

وبلغ من مكانة أهل التصوف بغرناطة أن حملت بعض الأماكن الهامة أسمائهم مثل أبو عبد الله محمد بن حسون الحميري ت705ه/1305م الذي ينسب إليه مسجد القصبة القديمة نظرا لاشتهاره بالصلاح وجملة من الكرامات ؛منها سماعه لصبية يتكلمون عن الدخول للسجن فحمل نفسه إليه ولما بلغ ذلك السلطان أخرجه رفقة جميع المساجين[2].

كما لقي البعض منهم مكانة خاصة لدى ملوك بني الأحمر كأبي الطاهر محمد بن أحمد بن حسن بن صفوان القيسي ت749ه/1348م خطيب المسجد الجامع من الربض الشرقي مؤلف كتاب جر الحر في التوحيد ،والذي ألف بدوره كتابا في التصوف والكلام على اصطلاح القوم بأمر من السلطان أبو الحجاج يوسف النصري وعلى ظهر هذا المؤلف كتب أبو الحسن بن الجياب :

أيا مولاي الخليفة يوسف   جاءت بهذا العالم المتصوف

فكفي بما أسدى من الحكم التي   أبدين من سر الطريقة ما خف

إن بن صفوان إمام هداية صافى   فصوفي فهو صوفي صف

وإن اختبرت فإنه صفو بن صفو   ظاهر في طيه صفو خف [3]

غير أن هناك من المتصوفة من كانوا يتعرضون للمضايقات والوشايات إلى ذوي الشأن من السلاطين والأمراء من ذلك ما حدث لمحمد بن إبراهيم البلفيقي ت 694ه/1294م الذي اشتهر بحث العامة على جهاد النصارى ووجوب الإتحاد بين

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.367 وما بعدها .

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.231 ،232.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.236 وما بعدها .

المسلمين ،امتحن بتهمة إغراء أحد سلاطين المغرب على وجوب ضم ما بقي من بلاد الأندلس إلى ملكه ،فصودرت أملاكه[1].

والحال ذاتها تكررت مع أبو عمرو محمد بن يحي بن إبراهيم بن عباد الذي كان يتجول في نواحي الأندلس ،كثير الإقبال على الربط ،متكلما على طريقة الحكماء والمتصوفة ،ابتلي بالسجن بحجة الإساءة لدولة بني مرين ،فصدر عنه من سجنه شعر يخاطب فيه سلطانها :

تركت لكم عز الغنى فأبيتم   أن تتركوني للمذلة والفقر

ونازعتموني في الخمول وإنه   لذي مهجتي أحلى من البنى والأمر [2]

كما حرص بعض المتصوفة الغرناطيين الذين تسنىت لهم الرحلة عن بلدهم على ملاقاة من لهم شهرة في هذا المجال من ذلك حرص أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون ت741ه/1340م على اللقاء بالمشرق بالشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن خليل السكوني ،وبفاس بسارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية والتي أجازته بدورها وألبسته خرقة التصوف[3].

ومن كتب التصوف التي ألفت في غرناطة نجد كتاب **أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلسمن الزهاد والأبرار** لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري ت559ه/1163م والذي أتمه إبنه عبد الله بعد وفاته[4] ،وكتاب **ردع الجاهل عن اغتياب المجاهل** لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708ه/ 1308م ،ألفه ردا على فرقة الشودية إحدى الفرق الصوفية بالمغرب[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.251.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.252.

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص.402.

[4] **نفسه** ،مج 1 ،ص.185.

[5] **نفسه** ،مج1 ،ص.190.

وكذلك كتاب **اللبس والصحبة** لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن قاسم النميري والذي جمع فيه طرق المتصوفة وأشعارهم [1] ،وكتاب **مواهب العقول وحقائق المعقول** لأبي إسحاق إبراهيم النفري المذكور آنفا [2].

وكتاب **مطلع الأنوار الإلهية** لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان ت763ه/1361م صاحب القصائد الطويلة في باب التصوف التي كلف بها الناس وأنشدوها فيما بينهم ،وهو الذي كان يشغل منصب كاتب لدى سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ت701ه/1301م[3].

إضافة إلى عديد الكتب مثل **اللطائف الروحانية والعوارف الربانية** لأبي جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي المعروف بابن الزيات [4] ،وكتابا أبو الحاج يوسف بن موسى الجذامي ؛الأول بعنوان **لمح البهيج ونفح الأريج** ،والثاني **توجع الراثي في تنوع المراثي** [5] ،وكتابا ،وكتابا **بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب** و **الإشارة الصوفية والنكت الأدبية** لأبي بكر محمد بن محمد اللخمي ت750ه/1349م [6].

وكذلك كتاب **بغية السالك في أشرف المسالك** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري ت754ه/1353م [7] ،وكتاب **الأنوار في المخاطبات والأسرار** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الشهير بالمواق ت 705ه/1305م ضمنه مجموع رسائل تحض

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ، ،مج1 ،ص.347.
[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.369.
[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.223.
[4] **نفسه** ،مج1 ،ص.290.
[5] **نفسه** ،مج4 ،ص.389.
[6] **نفسه** ،مج2 ،ص275.
[7] **نفسه** ،مج3 ،ص.193.

على مكارم الأخلاق وأقاويل شيوخ الطريقة كالشيخ أبي الحسن الشادلي وأبو بكر بن محمد الرندي[1].

ولابن الخطيب بدوره كتاب سماه **بكتاب المحبة** [2] ويعرف كذلك **بروضة التعريف بالحب الشريف** [3] وصفه بأنه يحتوي على أرض زكية وشجرات فلكية وثمرات ملكية وعيون غير بكية[4] ،وهذا التأليف نال بدوره إعجاب العديد ممن عاصروا لسان الدين كما هو حال أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الذي وصفه بكونه عجيب الـــتأليف جمعا وترتيبا ،تضمن زبدة العلوم وثمرة الفهوم ،وموضوعه لب اللباب وخلاصة الألباب[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.235.

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص.459.

[3] المقري ،**أزهار الرياض** ،ج 1،ص.189.

[4] بن الخطيب ،**روضة التعريف** ،ص.91.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.455.

الفصل السادس

العلوم التطبيقية

- الطب
- الصيدلة
- الفلك
- الحساب
- الهندسة

يعتبر الطب من العلوم التطبيقية التي أولاه المسلمون عناية فائقة واستطاعوا من خلاله أن يحدثوا العديد من النظريات ويألفوا العديد من المؤلفات التي صار لها وقعها بين المختصين في هذا الباب ؛والكلام عن دورهم في هذا المجال وما يتبعه كالجراحة بفروعها المختلفة يكشف لنا على أن الإسهامات الإسلامية قضت نوعا ما على صور الجهل والسحر اللذين اختلط بهما طب القدماء وذلك عن طريق البحث الجاد ونقد الآراء لتوضيح مواقع الصواب والإخفاق ،وهي صورة تكرر ظهورها في إمارات الأندلس كما هو حال غرناطة ،ناهيك عن الصيدلة التي تعد بمثابة تكملة لهذا العلم وذلك من خلال ما تستحدثه من أدوية تساعد على إنجاح مهمته النبيلة المقصد ،هذا دون إهمال علوم أخرى كالفلك والحساب والهندسة وما قدمته من خدمات للإنسانية جمعاء .

1/ الطب :

يعرف بن خلدون صناعة الطب أنها من فروع الطبيعيات التي تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة فيحاول صاحبها حفظها وبرء بالأدوية والأغذية ،وهي من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف[1] ،وقد عرف العرب هذه المهنة منذ القدم أين كانت تستخدم فيها العقاقير والأشربة على رأسها العسل الذي عالجوا به أمراض البطن[2] ،ناهيك عن استعمالهم لأذواق وطرق مختلفة في التعامل مع الحالات الطارئة كبتر الأعضاء بالنار بواسطة حديدة تعرف بالحاسمة مثل ما حدث لصخر أخ الخنساء بنت عمرو لطعنة أصابته في جنبه[3] ،واقروا أن حول البصر يستقيم بإدامة النظر إلى دوران حجر الرحى[4].

ويعتبر الحارث بن كلدة الثقفي من أطباء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام[5] وعرف بطبيب العرب[6] ،ومن قبله زينب طبيبة بني أود التي نبغت في جراحة العيون[7].

ونظرا لعناية الإسلام لأحوال العباد وشؤونهم الدينية والدنيوية فقد حثهم على الاهتمام بهذا العلم الرفيع الشأن ،وهو ما يفهم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ؛منها الحديث الذي رواه الصحابي أسامة بن شريك رضي الله عنه: " تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم "[8] ،وقوله في الحديث الذي رواه

---

1 بن خلدون ، **المقدمة** ،ص ص.490،491.

2 جرجي زيدان ،**تاريخ التمدن الإسلامي** ،د.ط ،مطبعة الهلال ،مصر ،1904م ،ج3 ،ص .20.

3 أحمد شوكة الشطي ،**الطب عند العرب** ،ص. 53.

4 جرجي زيدان ،**تاريخ التمدن** ،ج3 ،ص .20 .

5 علي حسين الشطشاط ،**تاريخ الجراحة في الطب العربي** (من القرن 3 – 7 هـ / 9 – 13 م) ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1991م ،مج1 ،ص ص. 97 ، 98.

6 أنظر: ibn al-qifti's ,tarih al-hukama ,Von : Julius lippert ,Leipzig ,1903 ,p.161.

7 موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ،شرح وتحقيق: نزار رضا ،د.ط ،منشورات مكتبة دار الحياة ،بيروت ،د.ت.ط ،ص.181.

8 ابن ماجة ،**المصدر السابق** ،ص.575. كتاب الطب: حديث رقم 3436.

الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم ،وكية نار ،وأنهى أمتي عن الكي"[1] ،فكانت المحاربة رفيدة بنت سعد الأسلمية من أولى الأطباء الذين اشتهروا على عهده[2].

وزاد اهتمام المسلمين به فيما بعد أيما اهتمام لدوره الفعال في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء ،وذلك ما يوضحه العدد الكبير من المختصين الذين نبغوا فيه كابن أبي أصيبعة صاحب كتاب " **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**"[3] ،وبن جلجل مؤلف كتاب " **طبقات الأطباء والحكماء**" [4] ،وكذلك محمد بن إبراهيم الشهير بابن الأكفاني صاحب كتاب **غنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب** [5] ،و أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ت311ه/923 م مؤلف كتاب **الحاوي في الطب** [6].

وجد الوعي بهذه المهنة النبيلة في الأندلس منذ أول وهلة ميدانا خصبا لازدهاره في ما بعد بحكم أن الأندلسيين كانوا في بادئ الأمر أقل دراية ومعرفة به ،لذا أكثروا من الإعتماد على ما كان عند النصارى من كتب ترجموها للعربية ككتاب " **الإبريشم**" أي **الجامع**[7] ،وكتاب **الفصول** لأبقراط الذي لخصه أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بابن أبي

أبي

---

1 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ،ط 2 ،دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419ه/1999م ،ص.1006 ،كتاب الطب: حديث رقم:5860.

2 أحمد شوكت الشطي ،**المرجع السابق** ،ص. 29 ؛ على بن عبد الله الدفاع ،**رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية** ،ط1 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ،1419 ه/1989م ،ص.142.

3 محمد عبد الرحمن مرحبا ،**الجامع في تاريخ العلوم عند العرب** ،ط2 ،منشورات عويدات ،بيروت ،1988م ،ص.249.

4 على بن عبد الله الدفاع ،**المرجع السابق** ،ص.242.

5 إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص ص.1211 ،1212.

6 ibn al-qifti's .op.cit.p.247.

7 صاعد الأندلسي ،**المصدر السابق** ،ص.78.

الصادق[1] ،ومؤلفات ديسقوريدس[2].

وما إن تم لهم ذلك حتى برعوا في فروعه المختلفة كما هو الحال الطبيب أبو القاسم الزهراوي ت 403هـ /1012م الذي ذاع صيته في الجراحة[3] بابتكاره للعديد من أدواتها أوردها في كتابه الشهير " **التصريف لمن عجز عن التأليف**"[4] الذي حظي باهتمام كبير في في الدراسات الطبية بعد أن ترجم إلى عدة لغات أوربية [5] ،والطبيب أبو مروان عبد الملك الملك بن زهر الاشبيلي تـ 560هـ/1164م[6] صاحب كتاب " **التسيير في المداواة والتدبير**" الذي يعد موسوعة الطبية كشفت عن تضلع صاحبها في هذا العلم[7] كما استطاع معالجة داء الجرب[8].

وازدهر الطب في غرناطة أين أصبح مادة تدرس الأمر الذي ساعد على نبوغ العديد من الأطباء الذين صار لهم شأن كبير بها، فاقوا بعلمهم أطباء كثيرين اشتهروا بالأندلس من قبل، والذين يمكن تصنيفهم في أقسام ثلاثة: أطباء عامون مارسوا نشاطهم في المجتمع الغرناطي ،وأطباء خاصون تميزوا بخدمتهم لدى سلاطين المملكة وآخرون جاوزت شهرتهم حدود البلد ،الأمر الذي حملهم على القيام برحلات نظرا لكثرة الطلب عليهم.

---

1 إسماعيل باشا ،**المرجع السابق** ،مج2 ،1267،1268.

2 عامر النجار ،**في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية** ،ط3 ،دار المعارف ،القاهرة ،1994م ،ص.223.

3 فيليب حتي ،**تاريخ العرب** ،ص. 661 ؛هونكة ،**المرجع السابق** ،ص.277 ؛على حسين الشطشاط ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.175.

4 سمير عرابي ،**علوم الطب والجراحة والأدوية عند العلماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م ،ص.44.

5 محمد فارس ،**موسوعة علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1993م ،ص.142.

6 فيليب حتي ،**المرجع السابق** ،ص. 662.

7 هونكة ،**المرجع السابق** ،ص .289.

8 عامر النجار ،**المرجع السابق** ،ص.228.

فعن الصنف الأول وهم الأطباء العامون فقد أورد بن الخطيب عددا منهم يمكن الاقتصار على أشهرهم وأسبقية ظهورهم ؛كأبي الحسين علي بن عبد الرحمن السعدي تـــ 530هــ/1135م الذي تفنن في الطب واشتهر في علومه النظرية ،تعلم مبادئه على يد أبي العلاء بن زهر بإلبيرة ومنها تابع تحصيله بغرناطة فاحكم قوانينه[1] ،وإبراهيم بن يحي محمد بن زكريا الأنصاري 687-751هــ /1288 - 1352 م الذي تتلمذ على شيوخ عدة كان لهم نصيب هام في صقل معارفه حتى صار خبيرا بشؤون وخبايا هذا العلم[2].

وكذلك الطبيب أحمد بن محمد الكرني الغرناطي الذي يعتبره بن الخطيب شيخ أطباء غرناطة في عصره نظرا لمهارته في هذا العلم تعليما وعلاجا إلى جانب وقاره ونزاهته بين العامة ؛أخذ هذه الصنعة عن الأستاذ أبو عبد الله الرقوطي الذي نازعه فيها لدى سلاطين غرناطة فيما بعد؛ وعن الطبيب بن عروس وغيرهما كثير وبدوره أخذ عنه كل من الطبيب أبو عبد الله بن سالم والطبيب أبو عبد الله بن السراج ت 730هــ/1329م ، قال عنه لسان الدين أنه كان حيا عام 690ه/1291م[3].

ومن الذين برزوا في هذا الميدان أيضا نجد أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي المشهور بالشاقوري الذي يذكر بن الخطيب أنه كان معما ومخولا في الصناعة ؛أي له أعمام وأخوال احترفوا الطب الأمر الذي حفزه على تقليدهم واتباع سيرتهم ،تتلمذ على شيوخ عدة أولهم جده أبو تمام غالب بن على الشاقوري ت 741 هــ/1340م ،وعلى الطبيب خالد بن خالة الوزير والطبيب الشهير أبو زكريا يحي بن هذيل ت 753هــ/1352م ،تصدر لهذه المهنة وهو ليزال شابا ،أبدى فيها نباهة كبيرة مع حيطة

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.419 وما بعدها.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.192.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص ص. 206 ،207 .

ولطيف علاج ناهيك عن إصلاح ونصح لمن صحبه وهي صفات أوصلته إلى أرقى المنازل إذ استدعى إلى السلطنة وجعل من أطبائها المقربين[1].

ومن مؤلفاته " **تحفة المتوسل** " والتي أعدها لقاضي غرناطة أبو القاسم محمد بن أحمد الحسن السبتي المشهور بالشريف الغرناطي ت 760ه/1358م[2] ,دار موضوعها حول أمراض المعدة و أنواع الإسهال وكيفية علاجها بعد أن بدأ بتشريح للجهاز الهضمي وتبيين وظائفه , وله مؤلف عنوانه " **مقالة في الطب"** أورد فيها مجموعة من الأدوية التي تم تجريبها في مختلف أمراض البدن كما له أيضا كتاب سماه **"تحقيق النبأ عن أمر الوبأ"** الذي يعتبر إضافة إلى مؤلفات من سبقوه حول وباء الطاعون الذي اجتاح العالم سنة 749هــ/1348م ؛وسار على نهجه الطبيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جعفر الأسلمي المعروف بالبلياني ت 764هــ /1362م صاحب كتاب " **إصلاح النية في المسألة الطاعونية** "[3].

كما أن هناك طبيب آخر يعد من مهرة الأطباء في عصره وهو أبو عبد الله محمد بن فرج القربلياني الشهير بالشفرة ت 761هــ/ 1359م ،إشتغل بالطب على تعدد تخصصاته ومنه مال إلى العلاج الذي أصبح له باع فيه ،حفظ الكثير من أقوال أهله سجلها في كنانيشه ،قرأ على الطبيب أبو عبد الله بن سراج الغرناطي ت 730هــ/1329م ،وأخذ الجراحة عن جمع من المتخصصين فيها عالج السلطان نصر بوادي آش عندما داهمها الوباء عام 750هــ /1349م[4].

وفي ثلاثينيات القرن العشرين نشر الطبيب الفرنسي "رونو " h.pj.ronald بحثا عنونه بــ " **جراح مسلم من مملكة غرناطة** " تحدث فيه عن بن فرج القربلياني وعن

---

1 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص.177،178.

2 **نفسه** ،مج3 ،ص.179.

3 **نفسه** ،مج2 ،ص.364 وما بعدها .

4 **نفسه** ،مج3 ،ص ص.179،180.

أحد كتبه الشهيرة المعروفة باسم " **الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام**" ،أبدى حوله ملاحظات عديدة ومن بينها أن المؤلف استعمل لفظ الأورام استعمالا عاما ،فهو لا يعني بها ما يقابلها بالفرنسية "tumeurs" بل تتعداها إلى مختلف أنواع الالتهابات الجلدية inflammations كالحمرة والحروق فضلا عن القروح وتوابعها[1].

وفي نفس السياق كشف عن تـــأثر بن الفرج بالطبيب القرطبي أبو القاسم الزهراوي ت 403هـــ /1012م ،حيث ينقل عنه بعض أقواله ويشيد بها في غير ما موضع كتلك المتعلقة بالجروح والكسور وخلع العظام إلى جانب الأورام مع ذكر الوصفات التي أعدها لها[2].

ويعتبر بن الخطيب بدوره من مفاخر أطباء غرناطة الذين أولوا هذا التخصص عناية فائقة دلت على مدى سعة إطلاعه وتمكنه في شتى ميادين العلوم على اختلاف منهاجها إلا أن نشاطه في هذا الحقل لم يعنى به حق عناية مقارنة بأعماله الأخرى ؛هذا العلم على حد تعبيره أخذه عن الإمام بن زكريا بن هذيل الذي لازمه إلى آخر حياته ،وعنه يقول " وأخذت عنه الطب والتعاليم وصناعة التعديل"[3].

ورغم انشغاله الكبير بأمور الدولة وأحوال أهلها نجده يدلي بدلوه في هذا الفن ،الذي يظهر في مؤلفيه الضخمين الأول عنونه " **عمل من طب لمن حب** " وضعه للسلطان المغربي أبو سالم بن أبي الحسن المريني 760- 762 هـــ/ 1358-1360م [4] ،أثناء

---

[1] محمد العربي الخطاب ،**الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية**: دراسة وتراجم ونصوص ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988م ،ج2 ،ص ص.30،31.

[2] محمد العربي الخطابي ،**المرجع السابق** ،ص.31.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص .459.

[4] بن الخطيب ،**ريحانة الكتاب** ،ج1 ،ص37.

إقامته الأولى بفاس عام 761هـ /1359م ،إعرابا منه عن شكر الصنيعة والجميل اللذين أغدقه بهما [1].

والثاني عنوانه "**الوصول لحفظ الصحة من الفصول**" الذي أهداه لسلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد الغني بالله النصري 755– 793هـ/1354- 1390م، تراوحت مواضيعه بين أحوال النوم واليقظة ووجوب الاعتدال في الأكل وتجنب الشهوات وذالك بعد أن قسمه إلى جزأين ؛الأول جزء التعريف تعرض فيه للجانب النظري العام ،والثاني جزء التصريف بين فيه الجانب العملي لوقاية الصحة وسلامتها وكتب في نهايته أنه فرغ من تأليفه عام770هـ[2].

ولم يكن هذا إنتاجه فحسب بل تعدد بتعدد أصناف الطب وأحواله فنجده يتعرض للأمراض جميعها بنوعيها الكلي والجزئي في" **أرجوزة في الطب**" أوردها في نحو ألف وست مائة بيت ،و" **أرجوزة الأغذية** " التي تقع في نحو ألف ومائتي بيت ؛تضمنت ذكر طبائع الأطعمة و منافعها ومضارها على حد سواء وكيفية معالجتها ،رتبها صاحبها على حروف المعجم ،هذا إلى جانب **الرسالة الطبية** التي تعد من نوع خاص ألفها عن طاعون سنة 749هـ / 1348م سماها" **مقنعة السائل عن المرض الهائل**"[3].

كما ترك رسائل أخرى ك "**المسائل الطبية**" و"**اليوسفي في صناعة الطب**" ،إضافة إلى كتاب في **البيطرة** عالج فيه خصائص الخيل وذكر محاسنها[4].

أما الصنف الثاني المتعلق بالأطباء الخاصون فقد كانوا بدورهم يمثلون عدد لابأس به لدى سلاطين غرناطة ومن هؤلاء محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي ت 715هـ /

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.66.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.67.

[3] **نفسه** ،مج4 ،ص.462.

[4] **نفسه** ،مج4 ،ص.462.

1315م الذي أقرأ الطب بها بعد استدعاء السلطان محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701ه /1301م له من بجاية فانتفع الناس به[1].

والأمر نفسه نجده يتكرر مع الطبيب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالسراج ت 730هـ/1329م الذي ينعته بن الخطيب بطبيب الدار السلطانية ؛تتلمذ على الشيخ أبي جعفر الكزني إمام الصناعة في وقته ،تعرض إلى محنة شديدة على إثر موت السلطان محمد الفقيه مسموما من طعام أرسله إليه ولي عهده فشكك في أمره [2].

ومن الذين اشتهروا أيضا في هذا الباب طبيب المملكة أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن خلف القيسي ت 717هـ /1317م الذي أخذ هذه الصناعة عن أبى جعفر الكزني داهية عصره فيها ومن شعره في هذا الفن يقول مخاطبا للدار السلطانية :

قد جمعنا ببابكم سطر علم   لبلوغ المن ونيل الإرادة

ومن أسمائنا لكم حسن فال   غالب ثم سالم وسعادة [3]

وبرع أيضا الطبيب زكريا يحي بن أحمد بن هذيل ت753هـ /1352م صاحب كتابي " **الإختبار والإعتبار في الطب** " و " **التذكرة في الطب** " ،الذي قرأ على يد الطبيبين أبو عبد الله الأركشي وأبي زكريا القصري فعلا نجمه في هذا المجال مما أهله للقعود بمدرسة غرناطة مدرسا له، ودعي للخدمة بباب السلطان[4].

وكذلك الطبيب أبو علي عيسى بن محمد بن سعادة 728هـ/1327م الذي كان قاضيا بمدينة لوشة أستقدم إلى غرناطة فتصدر بها لإقراء الطب والمعالجة اللتين تعلمهما

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** مج3 ،ص ص.69،70.

[2] **نفسه** ،،مج3 ،ص.160 وما بعدها .

[3] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.171،172.

[4] **نفسه** ،مج4 ،ص ص.390،391.

على أبي عبد الله محمد الرقوطي المرسي وعلى بن خلصون ،ألف كتابا بعنوان "**القفل والمفتاح في علاج السموم والأرواح**" اشتمل على كثير من العلوم الطبية[1].

فيما يخص الصنف الثالث وهم الأطباء الذين جاوز علمهم بلدهم غرناطة نجد الطبيب أبو جعفر أحمد بن حسان الغرناطي الذي أجاد علما وأدبا ،رافق الرحالة الشهير أبو الحسن بن جبير الغرناطي ت614ه/ 1217م إلى البقاع المقدسة ،وفي طريق عودته إلى بلده استقر به المقام طبيبا لدى الخليفة المنصور الموحدي بفاس إلى أن مات بها حيث ألف له كتابا في فن الطب بعنوان " **تدبير الصحة** "[2].

وكذلك الطبيب محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالسواس الذي عرف بتمكنه بين أبناء بلده ،هذه المعرفة ازدادت أثناء رحلته إلى المشرق من أجل الحج ،الأمر الذي جعله محل اهتمام الذين لقوه فكثر عليه الطلب بعد عودته إلى وطنه هو ما حمله على الرحلة من جديد ،ليستقر طبيبا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كما عين بها أمينا على أحباس المسجد النبوي[3].

والأمر نفسه مع الطبيب محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ت 757هـــ/1356م الذي عين رئيسا لمارستان[4] فاس عام 754 هـــ/1353م[5].

كما يجب أن لا ننسى اشتهار ابن الخطيب في هذا الباب ؛فقد ألف بدوره في الطب للسلطان أبو سالم بن أبي الحسن المريني كتاب بعنوان " **عمل طب لمن حب**" وذلك أثناء

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص.235،236.

[2] بن أبي أصيبعة ،**المصدر السابق** ،ص.535.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.233،234.

[4] المارستان كلمة فارسية مكونة من كلمتين وهما **بيمار** التي تعني مريض أو مصاب ،و**ستان** بمعنى مكان أو دار ،وبجمعها تصير موضع المرض أو داره (أنظر: بن أبي أصيبعة ،**المصدر السابق** ،ص.27)..

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص ص.515،516.

إقامته الأولى بفاس عام 761هـ/1359م إعرابا منه عن شكر الصنيعة والجميل اللذين أغدقه بهما[1].

وحالة بن الخطيب في هذا العلم كانت فريدة من نوعها كون أغلب الأطباء اتخذوا هذه المهنة كحرفة مالية موازاة مع أعمال أخرى يتعاطونها كالفلسفة والشعر مثل بن رشد الحفيد ت595هـ /1198م صاحب كتاب " **الكليات**" وبن ميمون القرطبي ت605هـ/1208م غير أن الذين تخصصوا في الجراحة كانوا أقل بكثير من الذين اشتغلوا بالتطبيب[2].

كما لقي الطب عند سلاطين بني نصر الغرناطيين مكانة هامة فأولوه عناية خاصة تليق بهذه المهنة النبيلة وأهلها ؛من ذلك بناء أول مارستان كبير بمدينة غرناطة من طرف السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ،حيث أجرى عليه الأموال وأقام به العديد من المساكن وخزائن المياه ،فصار على حد تعبير بن الخطيب حسنة التخوم القصوى ومزية المدينة الفضلى[3].

وكانت هذه المؤسسة في تاريخ الإسلام تقام بأمر من الخليفة أو الولاة كما هو حال البيمارستان الذي أسس على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في مرج عذراء إلى الشمال الشرقي من دمشق عام 88ه/706م[4] ،وفي الكثير من الأحيان بنيت بطلب من

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.66.

[2] زينب نجيب ،**الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ،ط1 ،دار الأمير للثقافة والعلوم ،بيروت ،1415ه/1995م ،ج2 ،ص.381 ،يوسف عيد ويوسف فرحات ،**معجم الحضارة الأندلسية** ،ط1 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،2000م ،ص.200.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة**،مج2 ،ص.50.

[4] أحمد علي الملا ،**المرجع السابق** ،ص.140.

الأطباء الذين أقدموا بدورهم على تجهيزها لاستقبال المرضى[1] ،كمارستان بغداد الذي أشار أبو بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بنائه[2].

ونظرا لحالة الطب الجيدة بغرناطة جعل منها قبلة لمن استعصى مداواته من المرض ،وذلك ما أورده الخشني عن حديثه مع أبو علي الغساني الجياني الأصل ت498ه/1104م عند لقائه إياه بها قادما إليها من جهة ألميرية للتطبب بها من علة أصابته وذلك سنة 495ه/1101م[3].

2/ الصيدلة:

يقصد بالصيدلة علم الأدوية وهي كلمة ذات أصول هندية من إسم جند ناني أي صيدلاني وجندن بمعنى صندل الذي يعد من العطور المعروفة عند العرب[4].

ويعتبر كتاب **الحشائش** لدسقوريدس ت60 م[5] الذي فسر أسماء أدويته المفردة فيما بعد أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الرومية ت637ه /1239م [6] من أوائل المؤلفات التي عنيت بهذا العلم[7] ،تلاه جالينوس ت201م بكتابه "**تدبير الأصحاء**"[8] الذي ترجمه إلى العربية الطبيب أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي ت260ه/873 م[9] ،ليجد هذا الفن اهتماما كبيرا عند المسلمين فيما بعد ،برز فيه العديد من المشاهير كالرازي

---

[1] هونكة ،**المرجع السابق** ،ص.230.

[2] Ibn al-qifti's.op.cit.p.271.

[3] عبد العزيز الأهواني ،**كتاب برامج العلماء في الأندلس** ،د.ط ،مطبعة مصر ،القاهرة ،1955م ،ص ص.13،14.

[4] محمد عبد الرحمن مرحبا ،**الجامع في تاريخ العلوم عند العرب** ،ط2 ،منشورات عويدات ،بيروت ،1988م ،ص.281.

[5] بن أبي أصيبعة ،**المصدر السابق** ،ص.59 ،جرجي زيدان ،**المرجع السابق** ،ج3 ،ص.155.

[6] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج1 ،ص.303.

[7] فاضل أحمد الطائي ،**علم الصيدلة عند العرب** ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1995م ،ج1 ،ص.316.

[8] Ibn al-qifti's, op.cit.p.129.

[9] الزركلي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.325.

ت313ه/925م[1] ،وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ت441ه/1049م صاحب **كتاب الصيدلة**[2] ،وأبو الحسن علي بن سهل الطبري صاحب كتاب " **فردوس الحكمة**"[3] ،وعلى بن العباس مؤلف كتاب " **كامل الصناعة الطبية**"[4] الذي كشف فيه عن طرق معالجة الكثير الكثير من الأمراض بأدوية مختلفة من أشربة وأقراص ومراهم وحقن[5] ،وكذلك كتاب **تفاسير العقاقير** لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت565ه/1169م[6].

غير أن كتاب " **التصريف لمن عجز عن التأليف** " لأبي القاسم الزهراوي ت403 ه /1012م الذي سبقت الإشارة إليه يعد من أشهر المؤلفات في تاريخ الإسلام في هذا الباب ،فرغم اهتمامه بالطب والجراحة إلا أنه تضمن الكثير من المعلومات عن أسماء النباتات وأماكن وجودها وكيفية تخزينها وطرق تحضير الأدوية بنوعيها المفردة والمركبة[7].

وعلى هذا النسق سار صيادلة الأندلس مثل أبى جعفر أحمد بن إبراهيم الشهير بابن الجزار ت 399ه/1008م صاحب كتاب " **البغية في الأدوية المركبة** "[8] ،وأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي ت 466ه/1073م مؤلف كتاب "**الأدوية المفردة**" [9] [9] ،وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموي المعروف بالعشاب الاشبيلي صاحب كتاب "**شرح حشائش دياسقوريدس وأدوية جالينوس**"[10].

---

[1] رحاب عكاوي ،**بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشي** ،ط1 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،1996م ،ص.34 .

[2] فاضل أحمد الطائي ،**المرجع السابق** ،ص.388.

[3] Ibn al-qifti's,ibid.p231. ،فيليب حتي ،**المرجع السابق** ،ص.435.

[4] ibid.p.232.

[5] فيليب حتي ،**المرجع السابق** ،ص.437.

[6] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج1 ،ص300.

[7] بن أبي أصيبعة ،**المصدر السابق** ،ص.52..

[8] **نفسه** ،ص.482.

[9] حكمت نجيب عبد الرحمن ،**دراسات في تاريخ العلوم** ،ص.242.

[10] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج 1 ،ص.212.

ولأهمية الصيدلة في حياة الأفراد اهتم أهل الحسبة[1] بهذا المجال الواسع ومختلف الأحوال وذلك بمنح الصيادلة تصاريح مزاولة مهنهم[2] بحكم أن إمكانية الغش فيها من الصعب الكشف عنه[3] ،لذا كان من الواجب على ممتهنها أن يكون ثقة ذا دين ومعرفة وبصيرة بالعقاقير المستخدمة في إعداد الأدوية ناهيك عن حرصه على ملاقاة العارفين بها[4].

ونظرا لارتباط هذه المهنة بإعداد الأدوية وتحضيرها فقد كان لزاما على أصحابها أن يوسعوا من دراساتهم وأبحاثهم في هذا المجال ،وهو ما تحقق بالفعل في غرناطة التي ظهر بها عدد من الصيادلة كما هو حال أبو عبد الله محمد بن على القربلياني الذي كان عارفا بنباتات مع كونه طبيب من خلال تردده على المنابت وصروح الجبال[5] ،وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالسراج الذي يصفه بن الخطيب أنه كان ذا علم وافر ومعرفة واسعة بأنواع الأعشاب وأعيان النبات[6] ،وكذلك أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن بن أحمد المالقي 646ه/1248م[7] مؤلف كتاب" **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**"[8]

---

[1] الحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله والإحتساب طلب الأجر ،ويقال فلان لحسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه ،وفي الإصطلاح هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله (أنظر: بن منظور ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص.314 ؛أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ،**الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ،تح: سمير مصطفى رباب ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1422ه/2001م ،ص.260).

[2] هونكة ،**المرجع السابق** ،ص.329.

[3] سمير عرابي ،**علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م ،ص.15.

[4] السقطي ،**المصدر السابق** ،ص.43.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.179،180.

[6] **نفسه** ،مج3 ،ص.160.

[7] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج2 ،ص.196.

[8] المقري ،**نفح الطيب** ،ج2 ،ص.691.

،وكتاب "**الأدوية المفردة** " الذي تعرض فيه لوصف الأعضاء وطرق معالجتها بالعقاقير[1].

ومما ساعد على تطور الصيدلة بهذه الصرح الإسلامي العتيد ما حوته جبالها من أعشاب ونباتات عدت بمثابة مادة أولية لصناعة الأدوية بأنواعها المختلفة ،خصوصا بجبل شلير الواقع في جنوبها الشرقي والذي وصفه بن الخطيب بأنه مستودع الأدوية [2].

3/ علم الفلك :

يعد الفلك[3] من أقدم العلوم التي شهدتها أولى الحضارات الإنسانية كواد الرافدين[4] وبلاد الإغريق[5] ؛إذ استخدمت ظواهره في حساب الزمن وتوالي المواسم[6].

وأطلق عليها العرب إسم علم النجوم التعليمي وكذا علم صناعة النجوم[7] ؛إذ نجد العباسيون السباقين للاهتمام بهذا العلم على عهد أبو جعفر المنصور [8] الذي أمر بترجمة المقالات التيأحضرها الفلكي الهندي كنكة إلى بغداد [9].

---

[1] محمد بن شاكر الكتبي ،**فوات الوفيات والذيل عليها** ،تح: إحسان عباس ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،د.ت.ط ،مج2 ،ص ص.159،160.

[2] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.96.

[3]عرف بن خلدون الفلك بأنه علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ،ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك ،لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية (أنظر: **المقدمة** ،ص.484) .

[4] الدومبيلي ،**العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي** ،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى د.ط، ،القاهرة ،1962 ،ص.37.

[5] هونكة ،**المرجع السابق** ،ص.128.

[6] محمد عبد الرحمن مرحبا ،**المرجع السابق** ،ص.163.

[7] كرلو نلينو ،**علم الفلك :تاريخه عند العرب في القرون الوسطى** ،د.ط ،المكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط ،ص ص.24،25.

[8] محمد عطية الأبراشي ،**المرجع السابق** ،ص.62.

[9] Ibn al-qafti's, op.cit,p.409.

واعتنى المسلمون بهذا العلم حرصا منهم على فهم الآيات القرآنية الكريمة منها قوله سبحانه وتعالى :" وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون "[1] ،وزاد من ذلك تشجيع أولي الأمر المستغلين به في حدود ما يتماشى و تعاليم الشرع الحنيف[2] ،زيادة على الحاجة الماسة لمعرفة أوقات الصلاة والصيام[3].

وكان من الطبيعي أن تظهر بصمات المسلمين في هذا العلم وذلك من خلال عديد المؤلفات التي كتبت عنه ،عدت في مجملها بمثابة محاولات وإسهامات حضارية للدولة الإسلامية منها كتاب **قانون التعليم في صناعة التنجيم** لأبي المحامد محمد بن مسعود الغزنوي [4] ،وكتاب **القانون المسعودي** لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ت430ه/1038م [5] ،وكذلك كتاب **الزيج الكبير** لمحمد بن الحسين المعروف بابن الآدمي[6] الآدمي[6] ،بالإضافة إلى كتاب **البراهين وتهيئة الآلات** لأبي العباس الفضل بن حاتم النيريزي[7] ،وكتاب **علم الجداول** لأبي العباس أحمد بن عثمان الشهير بابن البناء المراكشي[8].

ولم تقل إنتاجات الأندلسيين الفلكية عن ما كانت عليه عند المشارقة غير أن إتلاف أغلب مخطوطاتها حال في الكثير من المرات دون معرفة تلك الآثار غير أسماء أصحابها

---

[1] **سورة الأنعام** ،الآية :97.

[2] سمير عرابي ،**علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1419ه /1999م ،ص.7.

[3] محمد محمود محمدين ،**المرجع السابق** ،ص.46.

[4] إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،مج2 ،ص.1310.

[5] **نفسه** ،مج2 ،ص.1314.

[6] ibn al-qifti's, ibid,p.282.

[7] محمد فارس ،**المرجع السابق** ،ص.210.

[8] **نفسه** ،ص.23.

وإشارات موجزة عنها[1] مثل صاعد الأندلسي الذي ألف كتاب **إصلاح حركات الكواكب** [2] ،ومسلمة المجريطي صاحب كتاب **تعديل الكواكب**[3] الذي يعتبر من أبرز الأندلسيين دراية بالفلك وحركات النجوم[4] ،ومحمد بن أبي جمعة القرطبي الذي أمر المنصور محمد بن أبي أبي عامر بقطع لسانه ثم قتله نظرا لعلاقته بالمنجمين[5] ؛كون هذا العلم اعتبر من العلوم المهجورة التي عد كل من اهتم به من الخارجين عن الملة الأمر الذي جعله مكتوما لسنوات طويلة إلى أن ظهرت كتبه بعد المأساة التي حلت بقرطبة سنة 399ه/1008م[6].

وعلى غرار مدارس إشبيلية وقرطبة وطليطلة الفلكية شهدت غرناطة بدورها ظهورا ملحوظا لهذا العلم تألق فيه عدد من الفلكيين الذين ساهموا بقسط وافر فيه من خلال عديد المؤلفات التي تركوها في هذا الباب[7].

وقد استخدم الغرناطيون الفلك في قياس المسافات وتدوين الحوادث الهامة في تاريخ بلدهم ؛من ذلك ما ذكره بن الخطيب عند تعرضه لمجال غرناطة الفلكي بين طول وعرض[8] ،وعند حديثه عن ميلاد السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج النصري[9].

ومن الفلكيين الغرناطيين الذين اشتهروا في هذا العلم نجد أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الذي كان ذا بصيرة بالفلك وصناعة لجداول الأبراج ،تعلم على كل من أبي

---

[1] غوستاف لوبون ،**حضارة العرب** ،ص ص.461،462.

[2] صاعد الأندلسي ،**المصدر السابق** ،ص.69.

[3] بالنثيا ،**المرجع السابق** ،ص.448.

[4] الزركلي ،**المرجع السابق** ،ج7 ،ص.224.

[5] عنان ،**دولة الإسلام في الأندلس** ،العصر الأول ،القسم الثاني ،ص.527.

[6] صاعد الأندلسي ،**المصدر السابق** ،ص ص.66،67.

[7] علي حسن موسى ،**علم الفلك في التراث العربي** ،ط1 ،المطبعة العلمية ،دمشق ،2001م ،ص.245.

[8] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.94 .

[9] **نفسه** ،مج2 ،ص.91.

عبد الله الفخار وأبي زيد بن مثنى وأبي زكريا بن هذيل ،نفي إلى تونس رفقة عدد من المغربين نظرا لتدربه على أحكام النجوم واتهامهم بالضلوع في تأليب الأوضاع بغرناطة واختيار وقت ثورتها وذلك في أواخر سنة 763ه/1361م[1].

وأبو علي حسن بن محمد بن باصة ت719ه /1319م الذي قرأ على يديه صفوة الطلبة من أبناء ذوي الوجاهة والنباهة الذين اغترفوا من مؤلفاته واستنباطاته الكثير ،نظرا لشهرته ومهارته في هذا العلم إلى جانب التزامه لحدود الشرع فيه وفق ما أقره العلماء[2].

وكذلك ابنه أبو جعفر أحمد بن حسن ت709ه/1309م الذي انفرد بدوره بمعرفة الفلك وإحكامه لآلاته التي كان يصنعها حتى بلغت درجة عالية نالت إعجاب معاصريه وفاق بها من سبقوه من الأعلام الفلكيين[3].

وأبو يحي محمد بن رضوان بن أرقم النميري ت757ه /1356م الذي برع في علم النجوم فقيد فيه بين منثور ومنظوم ،زيادة على رسالة في الإسطرلاب الخطي وكيفية العمل به ،وصفه بن الخطيب بأنه أبرع من لقيه من ذوي النباهة بحضرة غرناطة لكثرة تردده على مجالس الكبار[4].

وكذلك محمد بن إبراهيم الأوسي ت715ه/1315م الذي كان أستاذا متفننا في علوم مختلفة كالطب والحساب والهندسة غير أنه في الفلك أبرع ،حيث ألف فيه كتابا بعنوان الزيج القويم الغريب المرصد فصار مرجعا لمن جاء بعده من الفلكيين[5].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.205،206.

[2] **نفسه** ،مج1 ،ص.468.

[3] **نفسه** ،مج1 ،ص.204.

[4] **نفسه** ،مج2 ،ص ص.141،142.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.69،70.

بالإضافة إلى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الذي قدم على غرناطة من بغداد عام 406ه/1015م على عهد باديس بن حبوس الصنهاجي أين صار يلقي تعاليم الفلك موازاة مع فنون أخرى كالشعر والفلسفة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الإهتمام بهذا العلم لم يكن مسموحا به في غرناطة من قبل وذلك ما أشار إليه بن الخطيب عند تعرضه لشخصية السلطان يوسف بن محمد بن يوسف بن نصر ت660ه/1261م ثاني سلاطين غرناطة أن أباه السلطان الغالب بالله محمد بن الأحمر وبخه في أحد الأيام على كثير من كتب التنجيم وجدها ببيته كان ابنه كلفا بتعلمها[2]

4/ **الحساب:**

عرف المسلمون الحساب [3] كغيرهم من الأمم الأخرى وعمدوا إلى ترجمة أعمال الشعوب القديمة التي برعت في هذا المجال كما هو حال كتاب " **سند هند** " « sand hanata » [4] الذي استعمل فيه الأرقام التسعة والصفر كرقم عاشر[5] ،فأمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور محمد بن إبراهيم الفزاري بترجمته إلى العربية عام 156ه/772م[6].

ويعتبر محمد بن موسى الخوارزمي ت 232ه/846م أول رياضي مسلم ألف كتابا شرح فيه نظام الأرقام الهندية وطرق استخدامها [7] ،وشاع هذا التأليف الجديد في الأمصار

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.455.

[2] **نفسه** ،مج4 ،ص.354.

[3] ذكر أهل العلوم أن في تعلم الحساب فوائد جليلة منها أنها تمكن الإنسان من البحث عن الصواب في جميع شؤونه ،إضافة إلى تعويده الصدق وملازمته إياه ؛نظرا لما فيه من صحة المباني ومناقشة النفس (أنظر: بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.480).

[4] Ibn al-qifti's, op.cit, p.270.

[5] هونكة ،**المرجع السابق** ،ص.73.

[6] Ibn al-qifti's,op.cit , p.270.

[7] أحمد مدحت إسلام ،**المرجع السابق** ،ص.43.

الأمصار الإسلامية ووصل استعماله إلى الأندلس ومنها إلى غرب أوروبا التي كانت تشهد صعوبات حسابية بسبب الأعداد الرومانية المعقدة [1].

ويعد الجبر من بين العلوم التي اشتهرت عند العرب وسموها بلفظ من لغتهم وانتقلت إلى سائر لغات العالم بهذا الاسم[2] ،وزاد من اهتمامهم الكبير به أن أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار إضافة إلى تطبيقهم لعلم الجبر على الهندسة وحلهم للمعادلات التكعيبية[3].

كما كان حرص المسلمين على مواقيت الصلاة وتحديد اتجاه القبلة إحدى الأمور الرئيسة التي أدت بهم إلى الاشتغال بعلوم الرياضيات[4] ،إضافة إلى دوره الكبير في شحذ الذهن وتدرب الفهم وتسهيل معرفة القوانين الفقهية في قسمة الشركات والمساحات إلى غير ذلك من المسائل الحياة العلمية [5].

ومن الكتب التي عنيت بهذا العلم نجد كتاب **كافية الحساب في علم الحساب** لمحمد بن عبدان الحكيم ت621ه/1224م [6] ،و**كتاب الحساب** لابن البناء المراكشي [7] ،وكذلك كتاب **خواص الأعداد** لأبي الفضل عبد الحميد بن واسع [8]،وكتاب **التكملة في الحساب** لأبي منصور عبد القادر البغدادي[9].

---

1 محمد فارس ،**المرجع السابق** ،ص.128.

2 محمد عبد الرحمن مرحبا ،**المرجع السابق** ،ص.395.

3 غوستاف لوبون ،**المرجع السابق** ،ص.455.

4 سمير عرابي ،**علوم الفلك والرياضيات** ،ص.33.

5 بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.480 وما بعدها.

6 إسماعيل باشا البغدادي ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص.1370.

7 **نفسه** ،ج2 ،ص.1412.

8 Ibn al-qifti's, op.cit,p.230.

9 عمر رضا كحالة ،**معجم المؤلفين** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج5 ،ص.309.

أما بالأندلس فوجدت العديد ممن المؤلفات التي برزت في هذا الباب مثل **معاملات** الزهراوي[1]،وكتاب **القانون في الحساب** لأبي الحسن علي بن محمد القلصاوي الأندلسي ت891ه /1486م[2] ،وكتاب **التكسير** لمحمد بن عبدون الجبلي[3] ،وكذلك كتاب **ثمار علم العدد** لمسلمة المجريطي[4].

ومن الذين اشتهروا في هذا العلم بغرناطة نجد أبو جعفر أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ؛كانت له دراية في المساحة والحساب إلى جانب معرفته بأحكام النجوم ،جعلته مقصدا للعلاج في الرقى والعزائم ،غضب عليه السلطان محمد الغني بالله على حد قول بن الخطيب فجلده ونفاه إلى تونس[5].

وكذلك محمد بن إبراهيم الأوسي المعروف بابن الرقام ت715ه/1315م الذي كان عالما بالحساب إلى جانب علوم أخرى كالهندسة والطب[6].

ومما يدل كذلك على مكانة الحساب وأهله بغرناطة ما قاله أبو محمد عبد الله بن محمد بن جزى مداعبا لبعض مقرئيه به :

يا ناصبا علم الحساب حباله   لقناص ظبى ساحر الألباب

إن كنت ترجو الحساب وصاله   فالبدر يرزقنا بغير حساب [7]

ونظرا لتفوق الغرناطيين في هذا الميدان كان الفقهاء في العديد من المرات يستنجدون بهم من داخل غرناطة ومن خارجها ،سواء في المسائل التي تتعلق بالزكاة

---

[1] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.481.

[2] إسماعيل باشا ،**المرجع السابق** ،ج2 ،ص1311.

[3] صاعد الأندلسي ،**المصدر السابق** ،ص.81.

[4] آنخل بالنثيا ،**المرجع السابق** ،ص.448.

[5] بن الخطيب ،**الإحاطة**، مج1،ص ص.205،206.

[6] **نفسه** ،مج3،ص ص.70، 69.

[7] **نفسه** ،مج3 ،ص.397.

والمواريث أو بقياسات الأراضي ،من ذلك ما حدث مع أبو محمد عبد الله بن يحي بن زكريا الأنصاري ت745ه /1344م الذي كان ذا نظر ثاقب في العدد ؛حيث عرضت عليه مسألة من تونس في رجل فرط في إخراج أموال الزكاة لسنوات عديدة ،وطلب منه أن يجد لها حلا وفق طريقة الأربعة الأعداد المتناسبة ،فأجاب عنها بحل فريد نقله كل فقهاء تونس[1].

والأمر نفسه حصل مع أبو محمد بن عبد الله بن محمد الشراط الذي استدعي إلى الخدمة السلطانية حيث أوكلت له مهمة تعليم الأمراء نظرا لتفوقه في الحساب وقدرته على البرهنة في مسائله[2].

كما كان لذوي الوجاهة في غرناطة اهتمام خاص بفروع الرياضيات من جبر وهندسة كما هو حال الوزير يوسف بن إسماعيل بن النغريلة اليهودي ت459ه/1066م على عهد الأمير الغرناطي باديس بن حبوس الصنهاجي ت465ه/1072م حيث ألف كتابا سماه **السجيع في علوم الأوائل الرياضية**[3].

5/ الهندسة :

تعتبر الهندسة [4] من العلوم التي شهدت اهتماما لا بأس به عند المسلمين نظرا لارتباطها بالحساب ،لذا كانوا حريصين على العناية بكل تأليف فيها ،كما يظهر ذلك من كتاب **الأصول** أو **الأركان** لأقليدس الذي ترجم إلى العربية على عهد الخليفة أبو جعفر

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج3 ،ص ص.413،414.

[2] **نفسه** ،مج3 ،ص.441.

[3] **نفسه** ،ج1 ،ص.438.

[4] يقصد بالهندسة النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم والمنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية ،ومن أقسامها الأشكال الكروية والمخروطات والمساحة (أنظر: بن خلدون ،**المقدمة** ،ص ص.482،483).

المنصور العباسي[1] ،وكتابا **إعجاز المهندسين** و**المثلث القائم الزاوية** للسموأل بن يحي بن عباس المغربي ت570ه /1174م اللذين اشتهرا بين أهل المشرق[2].

ومن الغرناطيين الذين عنوا بهذا العلم نجد أبو القاسم أصبغ بن محمد بن المهدي ت426ه /1034م الذي كان ذا دراية كبيرة بها جعلته يؤلف فيها كتابين الأول بعنوان **المدخل إلى الهندسة** والثاني حمل اسم **الكتاب الكبير في الهندسة** الذي وضح فيه أجزائها[3].

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي ت715ه/1315م الذي كان فريد دهره علما بالحساب والهندسة على حد قول بن الخطيب ،دعاه ثاني سلاطين غرناطة محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه ت701ه/1301م لتعليم الطلبة الغرناطيين بعد أن كان مقيما ببجاية ،فأنشأ المؤلفات والمختصرات التي انتفع الناس بها[4].

وكذلك أبو علي منصور بن عبد الله الزواوي الذي كان ذا دراية كبيرة بفروع الهندسة إلى جانب الحساب وعلوم أخرى ،أهلته لتدريسها بمدرسة غرناطة بطلب من سلطانها أبو الحجاج يوسف النصري[5].

كما لا يمكن إغفال شيخ بن الخطيب العلامة أبو زكريا يحي بن هذيل الذي نعته بخاتمة حملة العلوم العقلية بالأندلس نظرا لتبحره في فنون عديدة على رأسها الحساب

---

[1] بن خلدون ،**المقدمة** ،ص.482.

[2] بن أبي أصيبعة ،**المصدر السابق** ،ص ص.471،472.

[3] بن الخطيب ، **الإحاطة** ،مج1 ،ص.428.

[4] **نفسه** ،مج3 ،ص ص.69،70.

[5] **نفسه** ،مج3 ،ص.325.

والهندسة إلى جانب الطب ،وهي علوم أخذها على الترتيب عن شيوخ عدة أمثال أبي الحسن بن راشد ،وأبي عبد الله بن الرقام وأبي عبد الله الأركشي[1].

ومما يدل على تفوق الغرناطيين في هذا المجال هو استخدامهم لتقنياتها المختلفة في مظاهر الحياة اليومية ؛كشق قنوات المياه المستعملة في الحاجات المنزلية كالحمامات[2] وفي عمليات ري البساتين الكثيفة والحقول الواسعة التي عدها بن الخطيب بأنها فاقت أربعة عشر ألفا مجتمعة[3] ،بالإضافة إلى المخلفات العمرانية كالقلاع[4] والقناطر[5] ومن بعده القرى التي ذكر بأنها جاوزت الثلاث مائة قرية[6] ،دون تجاهل المدرسة النصرية الذي يصفها بأنها كانت فخمة البنيان ،بهية المنظر نظرا للهندسة الراقية المستخدمة فيها[7].

ولعل أبرز إنجاز حضاري كشف عن براعة المهندس الغرناطي وشهد له بطول الباع في التصميم والتخطيط الدقيق ناهيك عن الحدائق والبساتين البديعة تمثل في ما بات يعرف بقصر الحمراء[8] Alhambra الذي يجسد قمة جمال العمارة الإسلامية بالأندلس نظرا لتلك الطرق الهندسية البديعة التي استخدمت فيه حتى صار تحفة عمرانية ضاهت بكثير قصور قرطبة وإشبيلية[9].

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص ص.390،391.

[2] أنظر: **الملحق** رقم:05.

[3] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.124.

[4] أنظر: **الملحق** رقم:06.

[5] أنظر **الملحق** رقم:07.

[6] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص.126.

[7] **نفسه** ،مج1 ،ص.509.

[8] تغنى نبهاء غرناطة بقصر مدينة الحمراء كثيرا من ذلك ما قاله بن مالك الرعيني:

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته ذهبت به للأنس والليل قد ذهب

ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب (أنظر: شكيب أرسلان ،**المرجع السابق**، ج1 ،ص ص.214،215).

[9] عن قصر الحمراء أنظر: **الملحق** رقم: 08.

الخاتمة

الخاتمة:

يمكن لمتتبع الحركة العلمية بغرناطة في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري /الحادي عشر – الرابع عشر ميلادي انطلاقا من مصدر هام مثل كتاب الإحاطة لابن الخطيب أن يصل إلى بعض الاستنتاجات التي قد تعطي في مجملها صورة جلية عن الأوضاع العلمية العامة القائمة آنذاك من بينها:

استطاع الغرناطيون بمرور السنين أن يشكلوا قاعدة متينة للعديد من العلوم بعد أن كانوا في بداية عهد إمارتهم يتطلعون إلى كل ما يأتيهم من الغير ؛سواء من الإمارات الأندلسية المجاورة التي كانت تشهد نشاطا علميا مزدهرا كقرطبة وإشبيلية أو من المشرق الإسلامي بحكم رحلات الحج التي سمحت بدورها بنقل كل ما له علاقة بالحركة العلمية كالمناظرات التي كانت تعرفها حلقات العلماء الفقهية والأدبية على وجه الخصوص ،زيادة على زيارة العديد من الحواضر العلمية الشهيرة آنذاك مثل فاس وتلمسان وبجاية والقيروان والقاهرة ودمشق وبغداد أكسبتهم وعي وتجربة حول الواقع العام الذي كان يشهده عالم العصر الوسيط.

أن النشاط العلمي بغرناطة لم يتقوقع في جانب دون الآخر بل شمل عديد العلوم من شرعية وأدبية واجتماعية وتطبيقية ،فعل سبيل المثال لا الحصر كان الاهتمام بالفلسفة والفلك منتشرا في هذه الفترة خصوصا القرنيين السابع والثامن الهجريين مقارنة بالقرون السالفة وذلك راجع إلى ظهور شخصيات برزت في علوم أخرى كالفقه واللغة كان لها مكانة بين عامة الغرناطيين وخاصتهم ،حملت على عاتقها مهمة الدفع بهذين العلمين إلى مصاف البحوث الجادة.

كذلك الجهد المبذول والعمل الدعوب لمختلف شرائح المجتمع يؤتي أكله بمرور السنين والذي تظهر أثاره على الواقع في قالب حضاري متنوع يميط اللثام عن مدى وعي هذا

المجتمع الذي انزوى في آخر حياته كهيكل سياسي رسمي في رقعة جغرافية ضيقة بسبب تكالب قوى النصرانية عليها ،إلا أن ذلك لم يمنع من نبوغ أعلام أمثال ابن الخطيب وابن جزي وابن الجياب وابن هذيل سجلوا أسمائهم على صفحات التاريخ الأندلسي في أبوابه المختلفة السياسية والعلمية ،رغم التقلبات التي كانت يشهدها وطنهم بين الفينة والأخرى أبرزها التحرشات النصرانية عليها ،ناهيك عن بروز ظاهرة التشاحن بين أعلامها وصلت إلى حد أن يضحي أحدهم بمن أحسن إليه بالأمس القريب كما حدث لابن الخطيب مع بن زمرك والنباهي.

المتابعة المتواصلة للهيئات العليا والمتمثلة في السلطة تكون دوما بمثابة الحصن المنيع الذي يشجع المبدعين ويصون إرثهم الفكري ،ويعمل على تقريبهم والغدق عليهم بالأمان الذي يضاف إلى العطايا والمنح من صلات ومناصب تليق بأمثالهم من الأعلام في سائر أصقاع الأرض ،تشعرهم بقيمة ما يقومون به من انجازات تعود بالنفع العام عبر مر السنين ،ومما يزيدها قوة هو أن يكون من الطبقة الحاكمة ممن له اهتمام بالعلوم كما هو حال سلاطين غرناطة أمثال محمد بن الأحمر و محمد الفقيه ومحمد الغني بالله المعروف عنهم تعلقهم بالعلم و رعايتهم لأهله.

رغم التناقض الكبير الذي أملته الأوضاع المتوترة التي كانت تشهدها غرناطة في فترات مختلفة الداخلية والخارجية ،تمكنت بدورها من النجاح في المساهمة الحضارية الأندلسية بنصيب هام وفي إشعاع نور الحضارة الإسلامية الذي استفادت منه أوربا في نهضتها الفكرية فيما بعد ،ولعل المخلفات المكتوبة والأثرية أنبأ دليل على ذلك.

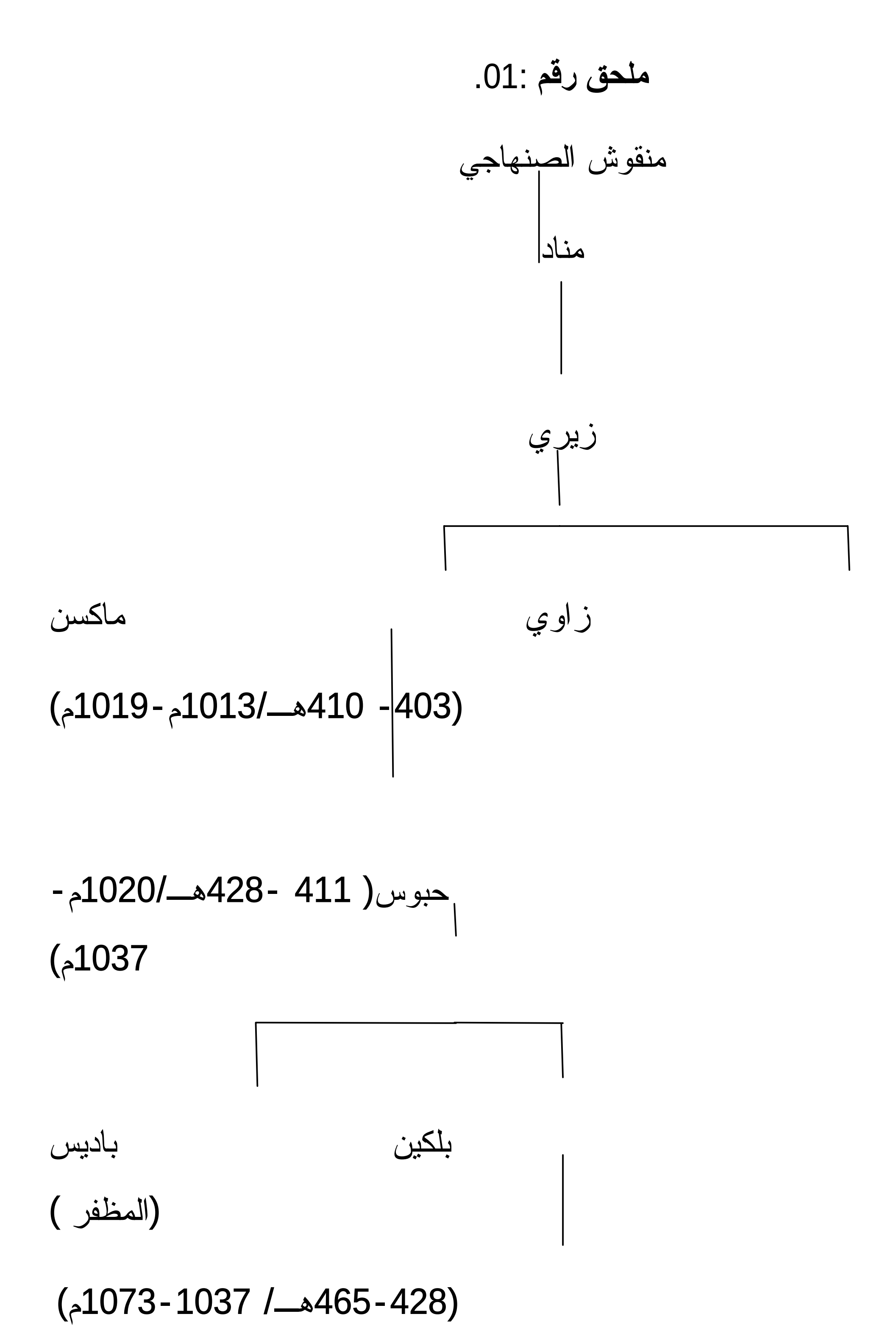
إن الأنانية وحب الذات المنفردة عن الجماعة تؤدي إلى القضاء على إرث حضاري هام ومتنوع وإطفاء شموع الإبداع ناهيك عن المساهمة في تشجيع الأعمال المشينة التي لا تعكس الوجه الحقيقي لرسالة الإسلام الحضارية ؛وما كانت تشهده غرناطة من هذا

القبيل ليس بالقليل بل تكرر حدوثه مرات عديدة بسبب المصلحة كان مؤلف محور هذه الدراسة أحد ضحاياها.

إستطاع بن الخطيب من خلال كتابه الإحاطة أن يساهم بحظ كبير في مد الدارسين للعلوم والمهتمين بشأن أهلها بمعلومات وافية وفوائد جليلة تتبأ في مجملها عن مدى وعي أبناء تلك الفترة بما كان يدور حولهم من القضايا العامة المتداخلة فيما بينها ؛السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لها صلة وثيقة بالحركة العلمية وتأثيراتها المختلفة عليها من حيث الإنتاج العلمي وعلاقة أهله بمختلف طبقات المجتمع ،لذا كان لا يتوانى في ذكر العديد من الوقائع وتسجيل مختلف الملاحظات التي من شأنها تذليل التضارب في الأفكار وتبسيط التصورات للباحثين ،نظرا لما رأى فيها من أهمية بالغة بحكم تجربته الطويلة العلمية والسياسية التي جعلت منه علما حق بالتبجيل والإهتمام.

الملاحق

ملحق رقم :01.



منقوش الصنهاجي
مناد
زيري
زاوي
ماكسن
(403- 410هـ/1013م-1019م)
حبوس(411 -428هـ/1020م-1037م)
بلكين
باديس
(المظفر)
(428-465هـ/ 1037-1073م)

عبد الله(465-483هـ/1073-1090م (1)

ملحق رقم:02

صيغة وقف وتحبيس كتاب الإحاطة (2)

" الحمد الله ،اشهد مولانا الملك الإمام ،مطاع السيوف والأقلام ،ظل الله الممدود على عباده ،ومنفضي أحكامه في أرضه وبلاده سيدنا على باي باشا صاحب المملكة التونسية ، حرس الله بهجته السنية ؛انه حبس هذا الكتاب وهو الجزء الأول من الإحاطة في أخبار غرناطة على من له أهلية الانتفاع به بمكتبة الجامع الأعظم بحاضرة تونس ،عمره الله بدوام ذكره ،مشترطا عدم إخراجه منها ،وان يجري العمل فيه على مقتضى الترتيب المؤرخ بالثاني والعشرين من ربيع الثاني عام اثنان وتسعين الفارط ،الممضى من جانب المقدس المغرور أخيه سيدنا محمد الصادق باشا تخمده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه قاصدا بذلك وجه الله العظيم راجيا ثوابه الجسيم ،أشهدنا أيده الله بذلك ،وهو بأكمل حال وحسبما يتضمنه طابعه السعيد أعلاه ،دام فخره وعلاه ،بتاريخ غرة المحرم الحرام عام ثلاثمائة وألف.

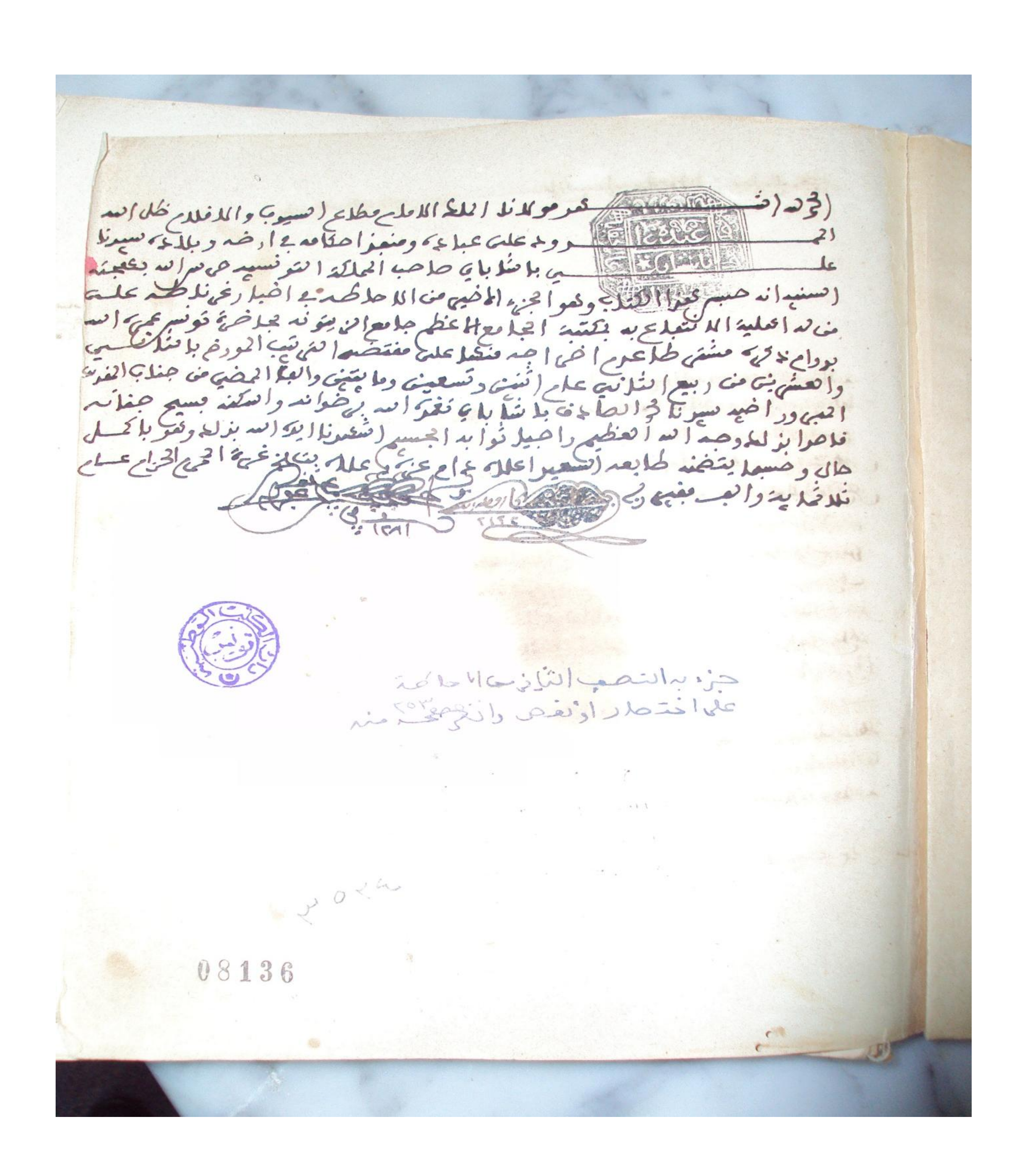
---

(1) زامباور ،**معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ،تخريج محمد حسن حسن بك وحسن أحمد محمود ،دار الرائد العربي ،بيروت 1400هـ /1980م ،ص.111.

2 بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج1 ،ص ص.10،11.

ملحق رقم03[1]

[1] صورة لمخطوط الإحاطة بدار الكتب التونسية



الحمد لله ... مولانا الملك الأمجد مطاع الجيوش والأعلام خلد الله
الحمد ... على عباده ومنفذ أحكامه في أرضه وبلاده سيدنا
على ... باشا باي صاحب المملكة التونسية حرسه الله بعينه
الحسنى أنه حبس هذا الكتاب وهو الجزء الماضي من الإحاطة في أخبار غرناطة علامة
من له أهلية الانتفاع به بمكتبة الجامع الأعظم جامع الزيتونة بحاضرة تونس حماها الله
بدوام ذكره مشتهى طالعوه آخر آجره فيتصل على مقتضاها التي تحت الموضح [illegible]
والعشرين من ربيع الثاني عام اثنين وتسعين ومائتين والألف الماضي من جناب الفقيه
المبرور الأمجد سيدنا أحمد الصادق باشا باي تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه
فلا يحل [illegible] وجه الله العظيم راجيا ثوابه الجسيم أشهدنا أيده الله بذلك وهو بأكمل
حال وشهد بما يتضمنه طابعه الشريف أعلاه عام [illegible] الحرام عام
ثلاثة وتسعين ومائتين وألف [illegible]

١٢٩١

جزء به النصف الثاني من الإحاطة
على اختصار أو نقص وانظر صحيفة ٢٥٣ منه

ملحق رقم:04

بعض ما قاله بن الخطيب في مدح سلطانه محمد الغني بالله:

ما على القلب من بعدكم جناح أن يرى طائرا بغير جناح

وعلى الشوق أن يشب إذا هب بأنفاسكم نسم الصباح

جيرة الحي والحديث شجون والليالي تلين بعد الجماح

أترون السلو خامر قلبي بعذلكم لا وفالق الإصباح

ولو أني أعطى اقتراحي على الأيام ما كان بعدكم باقتراح

معالي محمد بن أبي الحجاج ليث العدا وغيث السماح

يا سراج النادي وحتف الأعادي وعماد الملك الكريم المناح

جمع الله من حلى آل عباس لعلياك في سبيل امتداح

بين رأي موفق واعتزام مستعين وصارم سفاح

وخفضت الجناح في الأرض حتى لم تدع فوق ظهرها من جناح

أنت مصباحها ونور دجالها دافع الله عنك من مصباح

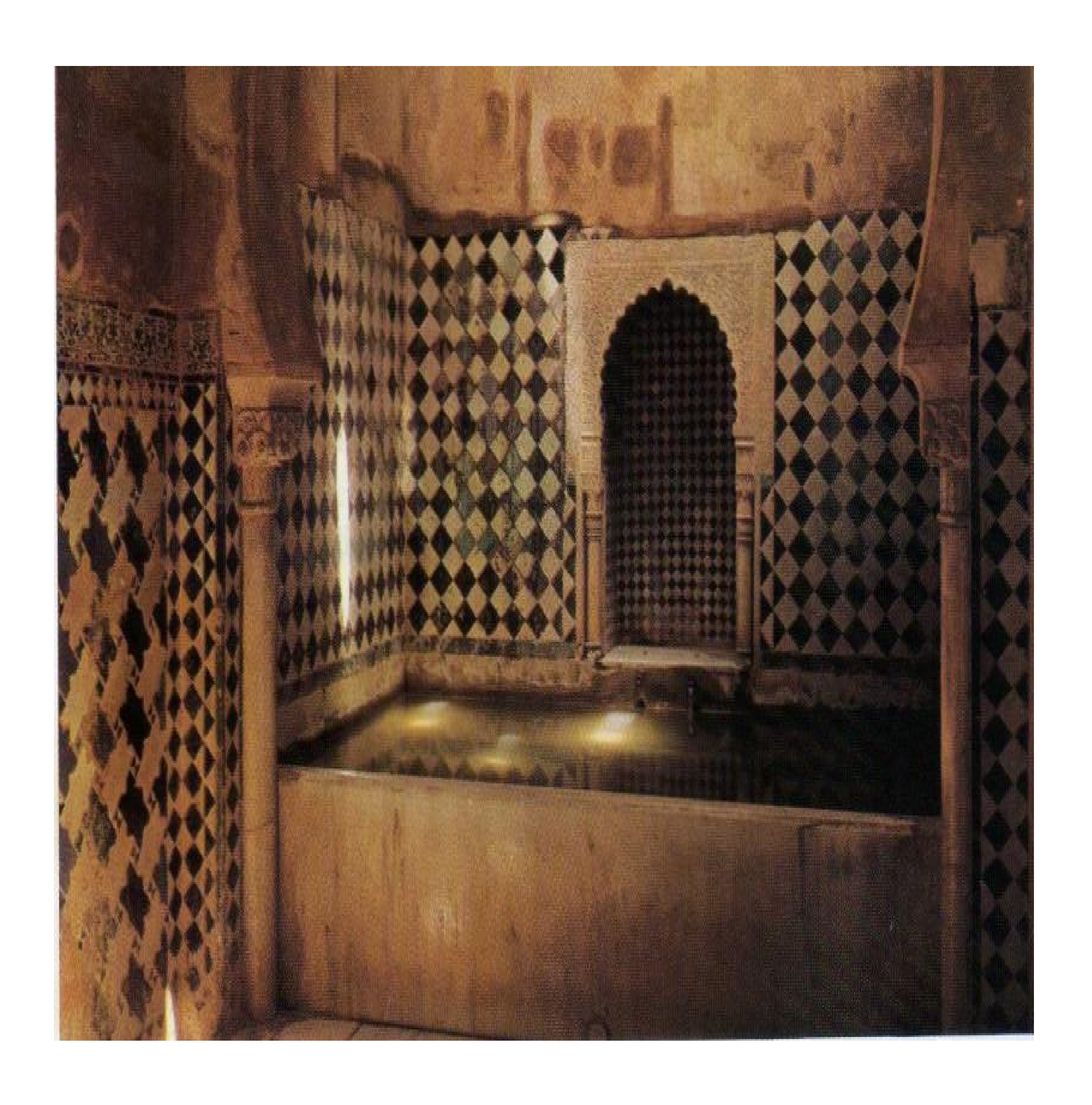
دمت في عزة ورفعة قدر بين مغد موفق ومراح

ما تولت دهم الدجنة غدوا وجرت خلفهن شهب الصباح [1]

الملحق رقم:05 ([2])

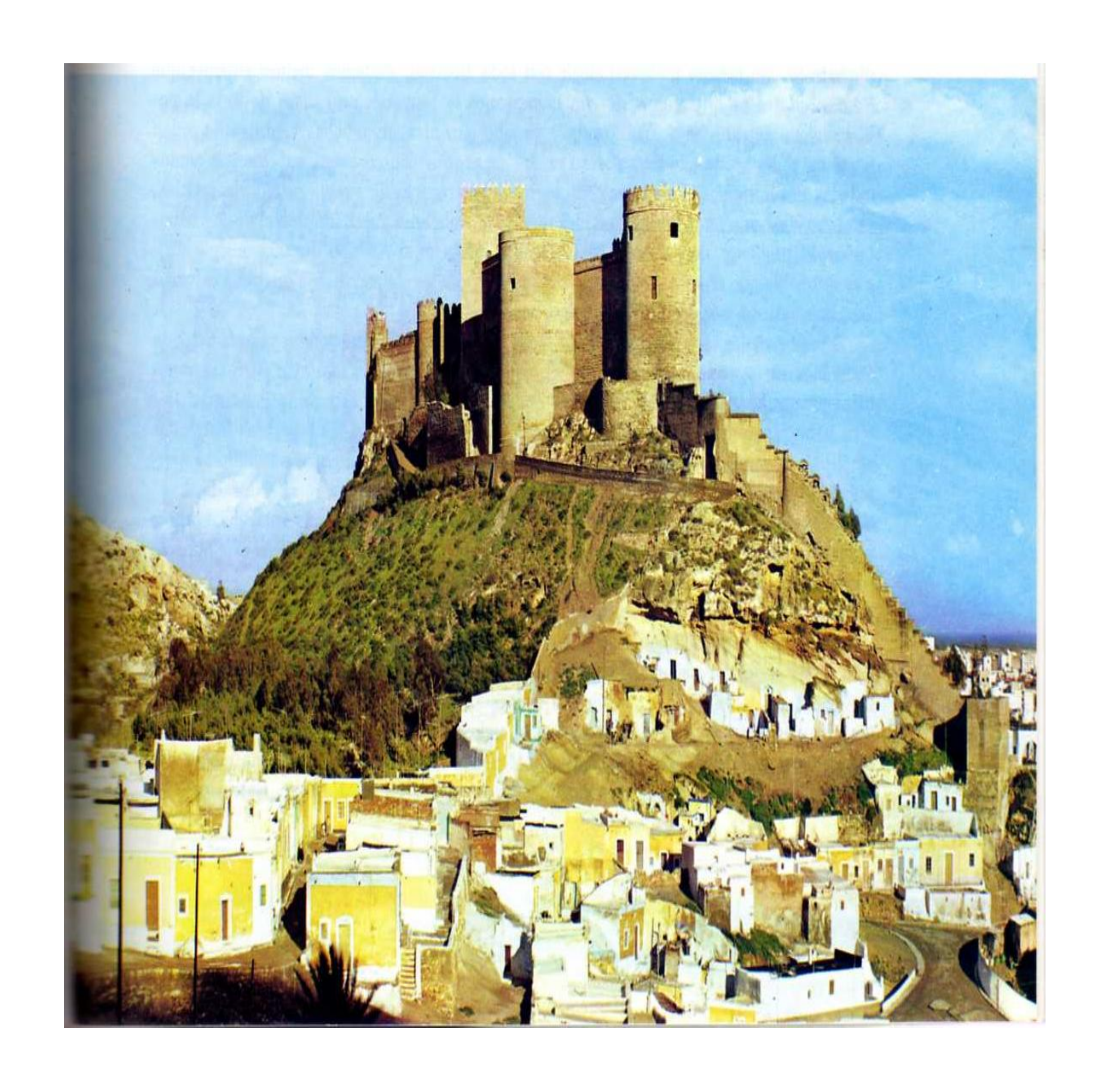
[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،مج4 ،ص.469 وما بعدها.

[2] Ramon Menédez Pidal, Historia de Espa□a : Espa□a Musulmana (711-1031) La Conquista, El Emirato, El Califato, Octava Edicion Espasa Calpe , S.A. Madrid, 1996, Tomo IV. P.45.



الملحق رقم: 06 ([1])

[1] : Ramon Menédez Pidal, OP.CIT.P.92.



الملحق رقم: 07 ([1])

[1] : Ramon Menédez Pidal, OP.CIT.P.412.



الملحق رقم:8[1]



[1] www.wikipedia.org

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ح

خ

ج

ذ

ر

س

ش

ف

ق

ك

م

ع

غ

ن

ه

و

ي

ابن يعمر يحي العدواني:127.

ابن يغمراسن أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن:82.

فهرس الكنى والأماكن

1/الكنى:

أ

2/الأماكن: أ

ب

ت

ط

ف

ق

قائمة المصادر والمراجع

1/المصادر والمراجع العربية:

أ/ المصادر:

1- القرآن الكريم

2- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي ،**التكملة لكتاب الصلة** ،عنى بطبعه وتعليق حواشيه ألفريد بل وبن أبي شنب ،د.ط ،المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا ،الجزائر ،1337ه/1919م.

3- **الحلة السيراء** ،حققه وعلق حواشيه: د.حسن مؤنس ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1985م ،ج1.

4- ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد ،**أسد الغابة في معرفة الصحابة** ،تح: الشيخ خليل مأمون شيحا ،ط1 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418ه/1997م ،ج3.

5- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ،**نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان** ،تح: محمد رضوان الداية ،ط1 ،دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت ،1967م.

6- **روضة النسرين في دولة بني مرين** ،تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط3 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1411ه/1991م.

7- الأدنروي أحمد بن محمد ،**طبقات المفسرين** ،تح: سليمان بن صالح الخزي ،ط1 ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،1417ه/1997م .

8- الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ،**كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ،ط1 ،عالم الكتاب ،بيروت ،1409هـ /1989م ،مج 2.

9- الإدريسي محمد عبد الحي الكتاني ،**نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية** ،إعتناء وتحقيق محمد عبد الله الخالدي ،ط2 ،دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2.

10- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ،شرح وتحقيق: نزار رضا ،د.ط ،منشورات مكتبة دار الحياة ،بيروت ،د.ت.ط.

11- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي ،**كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل** ،دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس ،ط1 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416 ه/1996م.

12- ابن عبد البر أبو عمر يوسف القرطبي ،**الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415هـ/1335م ،ج1.

13- **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1.

14- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ،**الجامع الصحيح المختصر** ،تح: مصطفى ديب البغا ،ط3 ،دار بن كثير ،بيروت ،1407ه/1987م ،ج2.

15- ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني ،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،تح: سالم مصطفى البدري ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1419ه/1998م ،مج1.

16- البغدادي إسماعيل باشا ،**إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،د.ت.ط ،مج1.

17- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود ،**شرح السنة** ،حققه وعلق عليه: الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1412ه/1992م ،ج2.

18- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي ،**كتاب أخبار المهدي بن تومرت** ،تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات ،د.ط ،المطبعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،2007م.

19- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله ،**رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار** ،شرحه و كتب هوامشه طلال حرب ،ط3 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1423هـ /2002م.

20- ابن بلبان علاء الدين علي الفارسي ،**صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان** ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ،ط3 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1418هـ/1997م ،مج4.

21- ابن بلكين الأمير عبد الله ،،**مذكرات الأمير عبد الله والمعروف بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ،حرره: علي عمر ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1427ه/2006م.

22- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة ،**سنن الترمذي** ،تع: محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط.

23- التنبكتي أحمد بابا ،**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ،إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة ،ط1 ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1398ه/1989م.

24- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ،**الإستقامة** ،تح: محمد رشاد سالم ،ط2 ،توزيع مكتبة السنة ،القاهرة ،1409ه ،مج1.

25- ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ،**فتح الباري في شرح صحيح البخاري** ،تح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،ط1 ،مكتبة دار السلام ،الرياض ،ودار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،1418ه/1997م ،ج7.

26- **الإصابة في تمييز الصحابة** ،حقق أصوله وظبط أعلامه ووضع فهارسه: علي محمد البجاوي ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1412ه/1992م ،مج1.

27- **إنباء الغمر بأنباء العمر** ،تح :حسن حبشي ،د.ط ،لجنة إحياء التراث ،القاهرة ،1389ه/1969م ،ج1.

28- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ،د.ط ،دار الجليل ،بيروت ،1414ه/1993م ،ج3.

29- ابن حجر أبو العباس أحمد بن علي الهيثمي ،**تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال** ،تح: محمد سهيل الرس ،وإشراف محمود الأرناؤوط ،ط2 ،دار بن كثير ،بيروت ،1407هـ/1987م.

30- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ،**جمهرة أنساب العرب** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418ه /1998م.

31- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ،تح:محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ،ط2 ،دار الجليل ،بيروت ،1416ه/1996م ،ج2.

32- ابن حزم وبن سعيد والشقندي ،**فضائل الأندلس وأهلها** ،تح: صلاح الدين المنجد ،د.ط ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1387هـ/1968م.

33- الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ،**التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة بن الصلاح** ،وضع حواشيه: محمد عبد الله شاهين ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م.

34- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت405هـ ،**معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه** ،شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1424هـ/2003م.

35- ابن عبد الحق ،**مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ،تح: محمد البجاوي ،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،1955م.

36- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ،**معجم البلدان** ،ط1،دار صادر،بيروت ،1993م ج4 .

37- الحميدي أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ،**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ،تح: روحية عبد الرحمن السويفي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م.

38- الحميري محمد بن عبد المنعم ،**الروض المعطار في خبر الأقطار** ،تح: إحسان عباس ،ط2 ،مطابع هيد لبرغ ،بيروت ،1984م.

39- الحميري أبو محمد عبد الملك المعارفي البصري ،**السيرة النبوية**،حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدماتها وفهارسها عبد الرؤوف سعد ،د.ط، دار الجليل ،بيروت ،د.ت.ط ،مج2، ج3.

40- الحنبلي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي ،**العدة في أصول الفقه** ،حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د.أحمد بن علي سير المباركي، ط3،د.م.ط ،الرياض ،1414هـ/1993م ،مج1.

41- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ت 469هـ/1076م ،**المقتبس في أخبار الأندلس** ،تح: عبد الرحمن علي الحجي، د.ط ،مطبعة سيما ،بيروت ،1956م.

42- الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث ، **أخبار الفقهاء والمحدثين** ،دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا ،د.ط ،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ،مدريد ،1991م.

43- **قضاة قرطبة** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط2 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ، 1410هـ/1989م.

44- الخطيب أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ،**تاريخ بغداد أو مدينة السلام** ،دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ج2.

45- **الكفاية في علوم الرواية** ،تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم ،ط2،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1406هـ/1986م.

46- **شرف أصحاب الحديث** ،تح: محمد سعيد خطيب أوغلي ،د.ط ،نشرته دار إحياء السنة النبوية ،أنقرة ،1971م.

47- **الرحلة في طلب الحديث** ،حققه وعلق عليه نور الدين عتر ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1395هـ/1975م.

48- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد ،**الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تح: محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1393هـ/1973م ،مج1 ،مج2 ،مج3 ،مج4.

49- **رقم الحلل في نظم الدول** ،د.ط ،المطبعة العمومية ،تونس ،1316ه.

50- **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانية الإسلامية**،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ،ط2 ،دار المكشوف ،بيروت ،1956م.

51- **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1 ،المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1400ه /1980م ،مج 1 ،1401ه/1981م ،مج2.

52- **اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية** ،تح: لجنة إحياء التراث العربي ،د.ط ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،د.ت.ط .

53- **كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ،تح: محمد كمال شبانة ،مراجعة حسن محمود ،د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،1386ه/1966م.

54- **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة** ،تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي ،د .ط ،المؤسسة الوطنية لفنون المطبعية ،الجزائر ،1983م طباعة والنشر ،القاهرة ،1386ه/1966م.

55- **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل)** ،نشر وتحقيق: أحمد مختار العبادي ،د.ط ،مطبعة جامعة الإسكندرية ،مصر ،1958م.

56- **ديوان الصيب والجهام والماضي و الكهام** ،دراسة وتحقيق د: محمد الشريف قاهر ،ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1973م.

57- **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تح: إحسان عباس ،ط 1 ،

58- **رقم الحلل في نظم الدول** ،د.ط ،المطبعة العمومية ،تونس ،1316ه.

59- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن ،**تاريخ بن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ،د.ط ،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ،1391ه/1971م ،ج6 ،ج7.

60 - **رحلة بن خلدون شرقا وغربا 1352 – 1401 هـ** ،عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي ،حررها وقدما لها: نوري الجراح ،ط1 ،دارالسويدي للنشر والتوزيع ،أبوظبي ،2003م.

61- **المقدمة** ،ط1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1424ه /2003م.

62- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين ،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان** ،تح : إحسان عباس، د.ط ،دار صادر ،بيروت ،1978م ،ج2 ،ج3 ،ج5.

63- ابن خير أبو بكر محمد الأموي الإشبيلي ،**فهرسة بن خير** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410هـ/1989م ،ج1 ،ج2.
64- الجرجاني علي بن محمد بن علي ،**كتاب التعريفات** ،تحقيق وتقديم: إبراهيم الأبياري ،ط3 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1417ه/1996م.

65- ابن جماعة بدر الدين الكناني ،**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط.
66- الجمحي بن سلام ،**طبقات فحول الشعراء** ،تح: محمود محمد شاكر ،د.ط،مطبعة المدني ،مصر ،د.ت.ط .

67- ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي ،**تلبيس إبليس** ،تح: ماهر عبد الغني ،د.ط ،دار الكتاب الحديث ،لبنان ،1432ه/2001م.

68- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1359ه ،ج8 ،ج9.
69- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ،**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى التنوخي ،صححه وعلق عليه إبراهيم شبوح ،د.ط ،المكتبة العتيقة ،تونس ،1413ه/1993م ،ج1.

70- أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ،**سنن أبي داود** ،تع: محمد ناصر الدين الألباني ،إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط.
71- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ،**سير أعلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم ،ط1 ،مكتبة الصفا، القاهرة ،ج3.

72- ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي ،**آداب الحسبة والمحتسب**، تح: فاطمة الإدريسي ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1425هـ/2005م.

73- ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر السبتي ،**رحلة ابن رشيد السبتي** ،دراسة وتحليل: أحمد حدادي ،د.ط ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1424ه/2003م ،ج1.
74- الزبيدي أبو بكر ،**طبقات النحويين واللغويين** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط.،دار المعارف،مصر،1973م.
75- الزجاجي أبو القاسم ،**الإيضاح في علل النحو** ،تح: مازن المبارك ،د.ط ،دار العروبة ،القاهرة ،1378ه/1959م.
76- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1972م.
77- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،**كتاب الجغرافيا** ،تح: محمد حاج صادق ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط.
78- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي ،**طبقات الشافعية الكبرى** ،تح: عبد الفتاح محمد الحلو ،محمود محمد الطناحي ،ط2 ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،مصر ،1413ه/1992م ،ج3.
79- السبكي تاج الدين ،**معيد النعم ومبيد النقم** " الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية ، تصدير أحمد عبيدلي ،ط2 ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1985م.
80- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ،**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ،حققه وعلق عليه:فرانز روزنثال ،د.ط ،مطبعة العاني ،بغداد ،1382ه/1963م.
81- السلاوي أحمد بن خالد الناصري ،**كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى** ،تحقيق وتعليق: الأستاذ أحمد الناصري ،د.ط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،2001م ،ج3.
82- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ،**الطبقات الكبرى** ،دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1418ه/1997م ،مج1 ،مج3.

83- ابن سعيد علي بن موسى المغربي الغرناطي الأندلسي ،**المغرب في حلى المغرب** ،وضع حواشيه خليل المنصور ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1997م ،ج2.
84- السقطي أبو عبد الله محمد المالقي ،**كتاب في آداب الحسبة** ، تح: كولين ولفي بروفننسال ،د.ط ،مكتبة أرنست لوروكس ،باريس ،د.ت.ط.

85- السيرافي أبو سعيد ،**أخبار النحويين البصريين** ،اعتنى بنشره وتهذيبه: فريتس كرنكو ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،1936م.
86- السيوطي أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن ت911ه ،**الإتقان في علوم القرآن** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1418ه/1997م ،ج1.
87- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ،تح: أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2.
88- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** ،شرح ألفاظه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صالح بن محمد بن عويضة ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م ،ج2.
89- **الدرر المنثور في التفسير المأثور**،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411هـ/1990م.
90- **طبقات الحفاظ** ،ط2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1414ه/1994م.
91- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ،**الملل والنحل** ،تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود ،ط6 ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1417ه /1997م.
92- **كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام** ،حرره وصححه: ألفرد جيوم ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط.
93- صاعد أبو القاسم بن أحمد بن صاعد الأندلسي ،**طبقات الأمم** ،نشره لويس شيخو اليسوعي ،د.ط ،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ،1912م.
94- **طبقات الأمم** ،د.ط ،مطبعة السعادة ،مصر ،1932 م.

95- الضبي بن عميرة ،**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1410هـ / 1989 م ،ج1.
96- ابن طولون شمس الدين محمد الصالحي الدمشقي ،**نقد الطالب لزغل المناصب** ،تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،1412هـ /1992م.
97- ابن عبدون محمد بن أحمد الاشبيلي ،**رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ،تح: ليفي بروفنسال ،د.ط ،مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة ،1955م.

98- ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،تح: ج.س.كولان وليفي بروفنسال ،ط3 ،دار الثقافة ،بيروت ،1983م ،ج1 ،ج2 ،ج3.
99- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،تح: إحسان عباس ،ط3 ،دار الثقافة ،بيروت ،ج4 ،1983م.
100- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،تح:محمد إبراهيم الكتاني ،محمد بن تاويت ،محمد زنيبر ،عبد القادر زمامة ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،1406ه/1985م ،قسم الموحدين.
101- العثماني محمد بن غازي ،**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عبد الوهاب بن منصور ،ط3 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1420ه/1999م.
102- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي ،**قانون التأويل** ،دراسة وتحقيق: محمد السليماني ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1990م.
103- ابن العماد الحنبلي ،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،د.ت.ط ،ج6.
104- العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله ،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ،تح: حمزة أحمد عباس ،ط1 ،المجمع الثقافي ،أبو ظبي ،2002م.

105- الغرناطي أبو حامد محمد ،**رحلة بن الغرناطي"تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسية"**،تحرير وتقديم قاسم وهب ،ط1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي ،2003م.

106- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ،**إحياء علوم الدين** ،اعتنى به وظبطه وراجعه ووضع فهارسه: محمد الدالي بلطة ،ط3 ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1419ه /1998م ،ج1.

107- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ،**تقويم البلدان** ، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين دسلان ،د.ط ،دار الطباعة السلطانية ،باريس ،1840م.

108- ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين المالكي ،**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ،دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه/1996م.

109- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد ،**تاريخ علماء الأندلس** ،تح: روحية عبد الرحمن السويفي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1417ه/1997م.

110- ابن فورك أبو بكر ،**مشكل الحديث وبيانه** ،تحقيق وتعليق: موسى محمد علي ،ط2 ،عالم الكتب ،بيروت ،1405ه /1985م.

111- ابن قاسم عبد الواحد محمد ،**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ،د.ط ،مكتبة المعارف ،الرباط ،د.ت.ط ،مج11.

112- ابن القاضي أحمد المكناسي،**جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ،د.ط ،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط ،1973م ،ج1.

113- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تح: عبد القادر الصحراوي ،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1403ه/1983م ،ج8.

114- القزويني زكرياء محمود ،**آثار البلاد وأخبار العباد** ،د.ط ،دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،1380هـ/1960م.

115- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن طلحة ،**الرسالة القشيرية في علم التصوف** ،ط1 ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،1419ه/1998م.

116- ابن القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ،**إنباه الرواة على أنباء النحاة** ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط.،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1369ه/1950م ،ج2.

117- القلقشندى أحمد بن علي ،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ،شرحه وعلق عليه وقابله نصوصه نبيل خالد الخطيب ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط،ج5.

118- ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن ت809ه ،**الوفيات** ،حققه وعلق عليه :عادل نويهض ،ط4 ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1403ه/1983م.

119- ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،**إعلام الموقعين عن رب العالمين،** قراءة وتقديم وتعليق أبو عبيرة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،السعودية ،1423هـ ،مج2.

120- الكتاني بن إدريس ،**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ،د.ط ،فاس ،1316هـ ،ج3.

121- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،**السنن** ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني ،اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،ط1 ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض ،د.ت.ط.

122- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ،**كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ،تح: بشير البكوش ،راجعه:محمد العروسي المطوي ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1414ه /1994م ،ج1.

123- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ،**الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ،تح: سمير مصطفى رباب ،د.ط ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1422ه /2001م .

124 - مجهول ،**أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكرى أمرائها** ،تح: إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1981م.
125- مجهول ،**كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1 ،نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،1399 هـ/1979م.

126- مجهول ،**كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ،ظبطه وعلق عليه الفريد البستاني ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،1423ه/2002م.
127- المراكشي عبد الواحد ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ،د.ط ،دار الفرجاني للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1414هـ / 1994م.

128- مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ،**صحيح مسلم** ،ط 1 ،دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419هـ/1998م.
129- المغراوي أحمد بن أبي جمعة ،**جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصيبان**،تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ،رابح بونار ،د.ط ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،د.ت.ط.
130- المقري ،**أزهار الرياض في أخبار عياض** ،ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخران ،د.ط ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1358ه /1939م ،ج1.
131- المقرى شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1968 م ،مج1 ،مج2 ،مج3 ،مج5 ،مج6 ،مج7.
132- المقريزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ،**المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،د.ت.ط ،ج2.

133- عبد الملك بن صاحب الصلاة ،**المن بالإمامة** ،تح: عبد الهادي التازي ،ط3 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1987م.

134- المناوي محمد عبد الرؤوف ،**التوقيف على مهمات التعاريف** ،تح: محمد رضوان الداية ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1410ه/1990م.

135- النباهي أبو الحسن ،**تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** ،ضبط وشرح وتعليق وتقديم مريم قاسم الطويل ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1415هـ / 1995 م.

136- ابن النديم ،**الفهرست** ،د.ط ،مطبعة الإستقامة ،القاهرة ،د.ت.ط .

137- ابن عبد الهادي أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي ،**طبقات علماء الحديث** ،تح: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1417ه/1996م ،ج2.

128- الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام ت224هـ ،**الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن** ،دراسة وتحقيق : محمد بن صالح المدفر،ط2 ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،الرياض ،1418هـ /1997م.

129-الونشريسي ،**المعيار المعرب في فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب** ،تح: محمد حجي وآخرون ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1981م ،ج8 ،ج11.

ب/المراجع:

1- الأبراشي محمد عطية ،**التربية الإسلامية وفلاسفتها** ،د.ط ،دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع ،الكويت ،د.ت.ط.

2- الأعظمي محمد مصطفى ،**دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** ،د.ط ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،1413هـ /1992م، ج1.

3- الأهواني عبد العزيز ،**كتاب برامج العلماء في الأندلس** ،د.ط ،مطبعة مصر ،القاهرة ،1955م.

4- الأهواني أحمد فؤاد ،**التربية في الإسلام** ،د.ط ،دار المعارف ،مصر ،1968م.

5- الأبياري إبراهيم ،**تاريخ القرآن** ،ط2 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1402ه/1982م.

6- إبراهيم عبد الوهاب ،**منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه وأصوله** ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1420ه/1999م.

7- إدريس أبو عبد العزيز إدريس محمود ،**مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية** ،ط1 ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419ه/1998م ،مج.1

8- أرسلان شكيب ،**الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ،د.ط ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د.ت.ط ،ج1.

9- إسلام أحمد مدحت ،**علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية** ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر ،القاهرة ،1420ه/1999م.

10- أشباخ يوسف ،**تاريخ الأندلس في عهد المرابطيين والموحدين** ،ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان ،ط2 ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417 هـ /1996 م.

11- أمين أحمد ،**فجر الإسلام** ،د.ط ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1994م.

12- **ظهر الإسلام** ،،ط3 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1962م.

13- إمام محمد كمال الدين ،**أصول الفقه الإسلامي** ،ط1 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،1416ه /1996م.

14- بالنثيا آنخل جانثالث ،**تاريخ الفكر الأندلسي** ،نقله عن العربية حسين مؤنس ،د.ط ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،د.ت.ط.

15- البتوني محمد لبيب ،**رحلة الأندلس** ،ط2 ،مطبعة شركة المساهمة المصرية ،مصر ،د.ت. ط.

16- بركة عبد الرحمن مسعد علي ،**بن جزي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل** ،ط1،منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ،ليبيا ،1994م.

17- البستاني بطرس ،**معارك العرب في الأندلس** ،د.ط ،دار مارون عبود ،بيروت ،د.ت.ط.

18- بروفنسال ليفي ،**حضارة العرب في الأندلس** ،ترجمة ذوقان قرقوط ، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت، د.ت.ط.

20- بور دي ،**تاريخ الفلسفة في الإسلام** ،نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374هـ/ 1954م ،ص.120.

21- بيدرسن يوهنس ،**الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة** ،ترجمة حيدر غيبة ،د.ط، دمشق ،1989 م.

22- ترحيني محمد أحمد ،**المؤرخون والتأريخ عند العرب** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط.

23- التونسي خير الدين ،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** ،تمهيد وتحقيق: المنصف 24- الشنوفي ،ط2 ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،تونس ،2000م ،مج1.

25- جمعة محمد لطفي ،**تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب** ،د.ط ،المكتبة العلمية ،بيروت ،د.ت.ط.

26- الجيزاني محمد بن حسين ،**معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة** ،ط3 ،دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،1422ه.

27-حتي فيليب وآخرون ،**تاريخ العرب** ،ط11 ،دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،2002م.

28- الحجي عبد الرحمن ،**الحضارة الإسلامية في الأندلس** : أسسها ،ميادينها ،تأثيرها على الحضارة الأوربية ،ط1 ،دار الإرشاد ،بيروت ،1969م.

29- حسن إبراهيم حسن ،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي** ، ط14 ،دار الجليل ،بيروت ،1416ه/1996م ،ج3.

30 -حسن إبراهيم ،**التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب** ،د.ط ،الدار العربية للكتاب ،د.م.ط ،1994م.

31- حسين أحمد فراج ،**المدخل للفقه الإسلامي** ،د.ط ،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت ،2002م.

32- الحصري أحمد ،**تاريخ الفقه الإسلامي: نشأته ،مصادره ،أدواره ،مدارسه** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411ه/1991م.

33- حميدة عبد الرحمن ،**أعلام الجغرافيين العرب** ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1984م.

34- حسن حنفي ،**بحوث في علوم أصول الدين ،أصول الفقه ،العقل والنقل** ،د.ط ،دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،د.ت.ط.

35- الخربوطلي علي حسني ،**الحضارة العربية الإسلامية** ،ط2 ،مطبعة الخانجي ،القاهرة ،1415ه/1994م.

36- الخضيري إبراهيم بن صالح ،**أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية**،د.ط، مطابع الشرق الأوسط ،الرياض ،د.ت.ط، ج1.

37- الخطابي محمد العربي ،**الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية:** دراسة وتراجم ونصوص ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988م ،ج2.

38- خليفة شعبان والعوزة وليد محمد ،**الفهرست لابن النديم** ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1991م.

39- الخولي محمد عبد العزيز ،**مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث**،ط4،دار الكتب العلمية،بيروت،1403هـ/1983م.

40- الخوند مسعود ،**الموسوعة التاريخية الجغرافية** ،د.ط ،دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان ،د.ت.ط ،ج1.

41- الداية محمد رضوان ،**المختار من الشعر الأندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال** ،ط3 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،1413ه/1992م.

42- الدخيل سليمان ،**الفوز بالمراد في تاريخ بغداد** ،تقديم وتعليق: د.محمد زينهم محمد عزب ،ط1 ،دار الآفاق العربية القاهرة ،1423ه/2003م.

43- دغيم سميح ،**فلسفة القدر في فكر المعتزلة** ،ط1 ،دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت ،1992م.

44- الدفاع على بن عبد الله ،**رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية** ،ط1 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ،1419 ه/1989م.

45- دندش عصمت عبد اللطيف ،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين – عصر الطوائف الثاني 510 – 546 هـ** ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1408هـ/ 1988 م.

46- الدومبيلي ،**العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي** ،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى د.ط ،القاهرة ،1962م.

47- دياب حامد الشافعي ،**الكتب والمكتبات الأندلس** ،ط1 ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998م.
48- دياب مفتاح محمد ،**مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة العربية الاسلامية** ،ط1 ،الهيئة القومية للبحث العلمي ،بنغازي ،1401ه/1992م.
49- ذنون عبد الحكيم ،**آفاق غرناطة**:بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ،ط1 ،دار المعرفة ،دمشق ،1408ه/1988م.

50- الرافعي مصطفى صادق ،**تاريخ آداب العرب** ،د.ط ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1425هـ /2005م ،ج1.
51- الربياني عبد المجيد عبد الحميد ،**المدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي** ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1994م.

52- ريبيرا خوليان ،**التربية الإسلامية في الأندلس**: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ،ترجمة: الطاهر أحمد مكي ،ط2 ،دار المعارف ،القاهرة ،1994م.
53- أبوريدة محمد عبد الهادي ،**تاريخ الفلسفة في الإسلام** ،ط3 ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1374ه /1954م.

54- الزركلي خير الدين ،**الأعلام** ،ط15 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،2002م ،ج6.

55- زهر نايف ،**مناهل الحكماء والأولياء ومآثر الأعلام والموحدين** ،ط1 ،المركز العربي للأبحاث والتوثيق ،بيروت ،1997م.

56- أبو زهرة محمد ،**أصول الفقه** ،،د.ط ،دار الفكر العربي للطبع والنشر ،القاهرة ،د.ت.ط.
زيدان جرجي ،**تاريخ التمدن الإسلامي** ،د.ط ،مطبعة الهلال ،مصر ،1904م ،ج3.

57- الزين سميح عاطف ،**علم أصول الفقه الميسر** ،ط1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1410ه/1990م ،ص.221.

58- سالم عبد العزيز ،**التاريخ والمؤرخون العرب** ،،د.ط ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،2008 م.

59- **تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة** ،د.ط مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،د.ت.ط.

60- السريتي عبد الودود محمد ،**تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة** ،د.ط ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1993م.

61- السويسي عبد الله ،**تاريخ رباط الفتح** ،تقديم: محمد حجي ،د.ط ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ،الرباط ،1399ه/1979م.

62- شبانة محمد كمال ،**الأندلس؛دراسة تاريخية حضارية** ،ط1 ،دار العالم العربي ،القاهرة ،1429ه/2008م.

63- شراب محمد حسن ،**المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي** ،ط1 ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،1415هــ/1994م ،مج1.

64- الشكعة مصطفى ،**المغرب والأندلس:** آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية ،ط1 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،1407ه/1987م.

65- **الأدب الأندلسي:** موضوعاته وفنونه ،ط7 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1992م.

66- الشطشاط علي حسين ،**تاريخ الجراحة في الطب العربي** (من القرن 3 – 7 هــ / 9 – 13 م) ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي ،1991م ،مج1.

67- **نهاية الوجود العربي في الأندلس** ،د .ط ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،2001م.

68- الشويخات أحمد مهدي محمد وآخرون ،**الموسوعة العربية العالمية** ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1419ه/1999م ،ج18.

69- الطائي فاضل أحمد ،**علم الصيدلة عند العرب** ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1995م ،ج1.

70- طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى ،**موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ،تح: علي دحروج ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1998م.

71- الطريفي ناصر بن عقيل بن جاسر ،**تاريخ الفقه الإسلامي** ،ط2 ،مكتبة التوبة ،الرياض ،1418ه/1997م.

72- طعيمة صابر ،**بحوث في الفرق:** الشيعة ،النصيرية ،الباطنية ،الصوفية ،الخوارج ،د.ط ،مكتبة المعارف ،الرياض ،1400ه.

73- عباس إحسان ،**تاريخ الأندلس :عصر الطوائف والمرابطين** ،ط1 ،دار الثقافة ،بيروت ،1962م.

74- عبد الله يسرى عبد الغني ،**معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر هجري** ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1411ه/1991م.

75- عبود نظير مارون ،**مؤلفات جرجي زيدان الكاملة** ،د.ط ،دار الجليل ،بيروت ،1401هـ/1981م ،ج14.

76- العجم رفيق ،**موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** ،ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،1999م.

77- عرابي سمير ،**علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م.

78- **علوم الطب والجراحة والأدوية عند العلماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1999م.

79- **علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1419ه /1999م.

80- بو عزيز يحي ،**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين** ،د.ط ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،بوزريعة ،2001م.

81- عكاوي رحاب ،**بن النفيس علي بن أبي الحزم القرشي** ،ط1 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،1996م.

82- العمري أكرم ضياء ،**بحوث في تاريخ السنة المشرفة**،ط5،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،1415هـ/1994م.

83- العوني الشريف حاتم بن عارف ،**المنهج المقترح لفهم المصطلح** ،ط1 ،دار الهجرة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1416ه/1996م.

84- عنان محمد عبد الله ،**الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال** ،ط2 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1417هـ/ 1997 م.

85- **تراجم أندلسية**؛ شرقية وأندلسية ،ط1 ،دار المعارف ،القاهرة ،1947م.

86- **دولة الإسلام في الأندلس –الخلافة الأموية والدولة العامرية** ،العصر الأول:القسم الثاني ،ط3 ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1380ه/1960م.

87- **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ،ط3 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1386هـ / 1966 م ،ص.22.

88- عبد الحليم رجب محمد ،**العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** ،د.ط، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د.ت.ط.

89- عبد الستار لبيب ،**الحضارات** ،ط14 ،دار المشرق ،بيروت ،1997م.
العراقي عاطف ،**النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد** ،ط5 ،دار المعارف ،القاهرة ،1993م.

90- بن عبد الفتاح القارىء أبو مجاهد عبد العزيز ،**سنن القراء ومناهج المجودين** ،ط1 ،مكتبة الدار ،المدينة المنورة ،1414ه.

91- أبوغدة عبد الفتاح ،**لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث** ،ط4 ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1417هـ.

92- غربال محمد شفيق ،**الموسوعة العربية الميسرة** ،د.ط ،دار الشعب ومؤسسة فرانكلين روزفلت للطباعة والنشر ،القاهرة ،1965م.

93- غيشار بيير ،**التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية حكم الموحدين :الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ،ترجمة مصطفي الرقى ،ط2 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،د.ت.ط.

94- فرحات يوسف ،**الفلسفة الإسلامية وأعلامها** ،ط1 ،تراد كسيم ،جنيف ،1986م.

95- فرحات يوسف و عيد يوسف ،**معجم الحضارة الأندلسية** ،دار الفكر العربي ،ط1 ،بيروت ،2000م.

96- فروخ عمر ،**تاريخ الأدب العربي** ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1978م ،ج.1

97- الفيومي إبراهيم ،**تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1417هـ/1997م.

98- القاسمي محمد جمال الدين ،**قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** ،د.ط ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،د.ت.ط .

99- القطان مناع ،**مباحث في علوم القرآن** ،ط34 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1418ه/1998م.

100- قلعة جي أحمد عبد الفتاح رواس ،**مدخل إلى علم الجمال الإسلامي**، دار قتيبة، بيروت ،1991م.

101- كحالة عمر رضا ،**معجم المؤلفين** ،د.ط ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د.ت.ط ،ج5.

102- **مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام** ،ط1 ،مطبعة الحجاز ،دمشق ،1394ه /1974م.

103- كريم محمد أحمد وآخران ،**تاريخ التربية والتعليم** ،د.ط ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،د.ت.ط.

104- كنون عبد الله ،**ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة** ،ط1 ،دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1430ه/2010م ،ج1.

105- اللالكائي أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور ،**شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم** ،تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ،ط5 ،دار طيبة للنشر والتوزيع ،الرياض ،1418ه ،مج1 ،ج.1

106- لوبون غوستاف ،**حضارة العرب** ،نقله إلى العربية عادل زعيتر ،دار إحياء الكتب العربية ،ط3 ،القاهرة ،1375هــ/1956م.

107- لومبارد موريس ،**الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ،ترجمة: عبد الرحمن حميدة ،ط1 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1982م.

108- محدة محمد ،**مختصر علم أصول الفقه الإسلامي** ،ط5 ،الشهاب ،باتنة ،1994م.

109- محمد فارس ،**موسوعة علماء العرب والمسلمين** ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1993م.

110- محمدين محمد محمود ،**التراث الجغرافي الإسلامي** ،ط3 ،دار العلوم للطباعة والنشر ،الرياض ،1419ه/1999م.

111- محمود حسن أحمد ،**الدولة الإسلامية الأولى عهد البعثة النبوية** ،د.ط ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1419هـ/1998م.

112- **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** ،ط2 ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،1416هـ / 1996م.

113- مرحبا محمد عبد الرحمن ،**الجامع في تاريخ العلوم عند العرب** ،ط2 ،منشورات عويدات ،بيروت ،1988م.

114- المرزوي أبو عبد الله محمد بن نصر ،**اختلاف الفقهاء** ،دراسة وتحقيق وتعليق: محمد طاهر حكيم ،ط1 ،مكتبة أضواء السلف ،الرياض ،1420ه/2000م.

115- المقطري محمد الصغير العبادلي ،**الحلل الذهبية على التحفة السنية** ،ط3 ،دار الإمام مالك ،البليدة ،1428ه/2007م.

116- الملا أحمد علي ،**أثر العلماء المسلمين في ا لحضارة الأوربية** ،ط2 ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،1417ه/1996م.

117- مؤنس حسين ،**موسوعة تاريخ الأندلس " فكر وحضارة وتراث** ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،1416هـ /1996 م.

118- **فجر الإسلام: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية – 711 -750 م** ، ط2 ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ،جدة ،1405هـ/1985م.

119- **موسوعة تاريخ الأندلس: فكر وتاريخ وحضارة وتراث** ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1416ه /1996م ،ج2.

120- موسى عز الدين عمر ،**الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونظمهم** ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1411ه/1991م.

121- موسى علي حسن ،**علم الفلك في التراث العربي** ،ط1 ،المطبعة العلمية ،دمشق ،2001م.

122- النجار عامر ،**في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية** ،ط3 ،دار المعارف ،القاهرة ،1994م.

123- نجيب زينب ،**الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ،ط1 ،دار الأمير للثقافة والعلوم ،بيروت ،1415ه/1995م ،ج2 يوسف عيد ويوسف فرحات ،**معجم الحضارة الأندلسية** ،ط1 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،2000م.

124- نلينو كرلو ،**علم الفلك :تاريخه عند العرب في القرون الوسطى** ،د.ط ،المكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ط.

125- هاملتون جب ،**دراسات في حضارة الإسلام** ،ترجمة إحسان عباس وآخرون ،ط3 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1979م.

126- وانلي خير الدين ،**المسجد في الإسلام:أحكامه ،آدابه،بدعه** ،ط4 ،المكتبة الإسلامية ،الأردن،1419هـ/1998م.

127- الولي طه ،**المساجد في الإسلام**،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت ،1409ه/1998م.
128- يزبك قاسم ،**التاريخ ومنهجية البحث التاريخي** ،ط1 ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،1990م.

129- يفوت سالم ،**ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس** ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،1986م.

ج/القواميس:

130- حمد حسين علي ،**قاموس المذاهب والأديان** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1419ه/1998م.

131- الزبيدي محب الدين أبو فيض مرتضى ،**تاج العروس من جواهر القاموس** ،دراسة وتحقيق: علي سيري ،د.ط ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1414ه/1994م ،مج14 ،ص.18.
132- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكرياء ،**معجم مقاييس اللغة** ،ط1 ،دار الجليل ،بيروت ،1411ه/1991م ،مج3.
133- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،**القاموس المحيط** ،تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،إشراف: محمد نعيم العرقسوسي ،ط6 ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1419ه/1998م.
134- ابن منظور ،**لسان العرب** ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ،1374هـ/1955م ،مج .12

د/المجلات:

1- ساعي أحمد بسام ،الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب عدة الجليس ،مجلة أفاق الثقافة والتراث ،تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي ،السنة 01 ،العدد3 ،رجب 1414ه/ديسمبر 1993م.

2- علي محمد كرد ،لسان الدين بن الخطيب ،مجلة المقتبس ،إشراف محمد يوسف نجم ،د.ط ،دار صادر ،بيروت ،1352ه/1907م ،مج.2

3- لعرج عبد العزيز محمود ، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ،مجلة الدراسات الإنسانية ،تصدر عن كلية العوم الإنسانية،العدد 1،السنة 1421هـ/2001م.

04- السايح أحمد عبد الرحيم ،المساجد ودورها الثقافي ،مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية ، دار العلوم، ديوبند ،الهند، العدد01 ،السنة 24 ،1421هـ /2000م.

05- فيك يوهان ،العربية ،عرض ونقد غازي مختار طليمات ،أفاق الثقافة والتراث ،مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،السنة الأولى ،العدد3 ،دبي ،رجب 1414ه/ديسمبر 1993م.

عنان محمد عبد الله ،وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ،صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، تصدر عن وزارة المعارف العمومية المصرية ،مدريد ،1373ه/1954م ،ع:1-2 ،مج2.

2/ المراجع الأجنبية:

1- Clot (André): l'Espagne musulmane, (VIIe XVe siècle), libraire académique, Perrin, paris.

2- Dodge Bayard : muslime education in medieval time , the middle east institute, Washington, 1962.

3- R .DOZY, histoire des musulmans d'Espagne jusqu' la conquête de L'Andalousie par les Almoravides, Leyde ,1932 ,t3

4- R.DOZY, recherches sur L'histoire et la littérature de L' Espagne pendant le moyen âge, 3eme édition, oriental presse , Amsterdam , 1956, t1.

Emilio Garc□a G□mez, cinco poetas musulmanes : biographias y estudios, secunda edicion austral. n=513 . Madrid

5- Encyclopédie de l 'Islam par b. Lewis, ch.pellat et j.schacht ,leiden, Pays-Bas ,1965.T2.

6- Fernandez: les juifs espagnols au moyen-âge, Gallimard, paris, 1983.

7- ibn al-qifti's ,tarih al-Hukama ,Von: Julius lippert ,Leipzig ,1903.

Julian Ribera y tarrago, la ensenanza entre los musulmanes espanoles ,(discurso universidade Zaragoza ,1893-1894)

Mariana: historia General de Espa□a ,edicion la borna, Madrid ,1965.t2.

8- Miguel Angel ladero quesada, Granada historia de un pais islamico (1232-1571) ,Madrid ,1969.

9- w. Montgomery : a history of Islamic Spain, Edinburgh university, press, 1987 .

10- A.R. mykl : Hispano- Arabic poetry and its relations with the old provençal, troubadours, Baltimore, 1946.
11- Palencia Angel Gonzalez : historia de la literatura ara bigo-Espanola, colleccion Labor n = 164-165,edicion , Barcelona, 1928.
12- Ramiro: revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino, Granada,1913,tome :4 .
13-Torres balbàs : contornos de las ciudades hispano musulmanas, Calpe èdicione, Madrid ,1996.

فهرس الموضوعات